

الهيئة العامة لقصور الثقافة
إصدارات خاصة

قاري عبدالله خان

ملك شعراء أفغانستان

د.نجات عبدالحميد الشيخ



ملك شعراء أفغانستان
قارى عبد الله خان

د. نجات عبد الحميد الشيخ



سلسلة
إصدارات خاصة
تصدرها
الهيئة العامة لقصور الثقافة

رئيس مجلس الإدارة
مسعود شومان
أمين عام النشر
محمد أبو المجد
مدير عام النشر
ابتهال العسلي
الإشراف الفني
د. خالد سرور

• ملك شعراء أفغانستان
قاري عبد الله خان
• د. نجات عبد الحميد الشيخ
• الطبعة الأولى:
الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة - 2014م
• تصميم الغلاف:
أحمد الجنايني
• رقم الإيداع: ١٥٧٩٨ / ٢٠١٤
• الترقيم الدولي: 978-977-718-769-5
• المراسلات:
باسم / مدير التحرير
على العنوان التالي: 116 شارع أمين سامي - القصر العيني
القاهرة - رقم بريدي 11561
ت: 7947891 (داخلي: 180)
• الطباعة والتنفيذ:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: 23904096

140

تعنى بنشر الأعمال الفكرية والثقافية
والأعمال الخاصة لأبرز الكتاب في مصر والعالم

ملك شعراء أفغانستان

قارى عبد الله خان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾

صدق الله العظيم

" سورة الكهف آية 10"

المحتوى

إهداء

إلى...

أستاذتى الفاضلة ، العالمة الجليلة

الأستاذة الدكتورة / عفاف السيد زيدان.

عرفانا بفضلها وتقديرا لمكانتها مع عظيم محبتى واحترامى.

نجات

المقدمة

فى القرن الرابع عشر الهجرى الموافق نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلاديين، بزغ نجم واحد من أعظم وأبرز شعراء الأفغان في تاريخ الأدب الفارسى الحديث والمعاصر، والذى اعترف له الجميع بثاقب فكره وعلو شأنه، وأنزلته موهبته وشاعريته الفياضة أعظم منزله .

وهذا الشاعر هو: قارى عبد الله خان، ملك شعراء أفغانستان، الذى يعد بمثابة حلقة الوصل التى حفظت الارتباط بين السبك الخراسانى والسبك الهندى للشعر برصانته وصنعته، وبين حس التجديد الذى اتسم به الشعر فى العصر الحديث. (1)

كما يعد امتدادا للمدرسة الصوفية الرصينة التى يبرز منها " حافظ الشيرازى " و" سعدى الشيرازى " و" مولانا جلال الدين الرومى " الذين أثروا الشعر الفارسى وقدموا للمدرسة الأدبية والصوفية إبداعات خالدة .

ولد ملك شعراء أفغانستان، قارى عبد الله خان، عام 1288 هجرية قمرية الموافق 1869 ميلادية وتوفى عام 1362 هجرية قمرية الموافق 1943 ميلادية، فعاش ما يقرب من خمسة وسبعين عاما، عاصر خلالها مرحلة من أهم مراحل تاريخ أفغانستان، وهى مرحلة تزخر بالأحداث المهمة فى حياة الشعب الأفغاني، حيث الصراع بين القوى الأجنبية فى أفغانستان ممثلا فى إنجلترا التى كانت تحتل أفغانستان، وروسيا التى كانت تسعى للاستيلاء على ثروات أفغانستان، كما عاصر حروب أفغانستان وسعيها للحصول على الاستقلال، وقد عبر قارى عن كل تلك الأحداث من خلال أشعاره التى جاءت صورة صادقة لهذا العصر

---

1 - سر محقق غلام حسين فرمند دو ملك الشعراى همروزگار (قارى وبيتاب) ص 33 - انتشارات رياست فرهنگ وأدب أفغانستان - چاپ أول - 1385 هجرية شمسيه

بكل ما فيه من أحداث سياسية واجتماعية واقتصادية .

وكانت أشعاره فيضا من نفس حساسة اعتملت فيها الأحداث وأثرت فيها التجارب، وقد نبع كل ذلك من حبه الشديد لوطنه الذى انعكس على الكثير من أشعاره، وجانب آخر لا يمكن إغفاله عند دراستنا لشعر قارى وهو الجانب الدينى الذى بدا سمة واضحة لأغلب أشعاره، فلقد كان للاتجاه الإسلامى عند قارى تميز خاص فى شموليته وأصالته، حيث انطلق يجمع المعانى الجميلة فى تعبيرات رائعة مظهرا حرصه على التمسك بفطرته الطاهرة وتعميق علاقته بالكون والموجودات من خلال علاقته بالخالق، فيبدو منسجما مع ما حوله من مظاهر الطبيعة والكون، ويسمو فى وصفه لها ويروق إلى الحد الذى يبدو فيه متحدا معها برباط لا تنفصم عراه، ويتضح ذلك من خلال غزلياته وأشعاره ومدائحه فى الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث يعد قارى من كبار متصوفة زمانه، وهو غزير الإنتاج متعدد الأعمال، يصلح كل عمل منها أن يكون موضوع دراسة وبحث، شأنه فى ذلك شأن كبار شعراء الفارسية الذين تعددت حول أعمالهم الدراسات والأبحاث .

وتعد أشعار قارى سندا تاريخيًا لباحث تاريخ أفغانستان فى تلك الحقبة من الزمان، نظرا لما اشتملت عليه من تنوع فى الموضوعات، بالإضافة إلى ما ورد بها من مادة تاريخية وذكر لتواريخ معظم أحداث عصره، الذى ماج بالعديد من الأحداث والصراعات بين القوى العظمى وقتها حول ثروات أفغانستان وموقعها، وليس مستغربا أن تظل هذه الصراعات تدور على ذات الأرض حتى وقتنا الحالي وإن اختلفت القوى وتغيرت الأدوات .

د. نجات عبد الحميد الشيخ

القاهرة 2014

الباب الأول

عصر قارى عبد الله خان

الفصل الأول

الحياة السياسية

ولد قارى عبد الله خان عام 1288 هجرية قمرية الموافق 1869 ميلادية، وتوفى عام 1362 هجرية قمرية الموافق 1943 ميلادية، فعاش حوالي خمسة وسبعين عاماً، عاصر خلالها حكم سبعة من ملوك أسرة البيت الباركزائى وهم:

شير على خان 1280 – 1296هجرية قمرية الموافق1863– 1879 ميلادية.

يعقوب خان1297 – 1298هجرية قمرية الموافق 1879 – 1880 ميلادية.

عبد الرحمن خان 1298 – 1319هجرية قمرية الموافق1880– 1901 ميلادية.

حبيب الله خان 1319– 1337هجرية قمرية الموافق1901– 1919 ميلادية.

أمان الله خان 1337– 1348هجرية قمرية الموافق 1919– 1929 ميلادية.

محمد نادر شاه 1348– 1352هجرية قمرية الموافق 1929– 1933 ميلادية.

وفترة من حكم محمد ظاهر شاه الذى تولى الحكم من عام 1352– 1392 هجرية قمرية الموافق 1933 – 1973 ميلادية[1].

وقد ذخرت هذه الفترة من تاريخ أفغانستان بالعديد من الأحداث السياسية، حيث التدخلات الأجنبية فى شئون البلاد، وأطماع كل من روسيا وإنجلترا فى الأراضى الأفغانية، والحروب الأفغانية الإنجليزية، وحصول أفغانستان على استقلالها، وغير ذلك من الأحداث الجسام التى

1 - أبو العنين محمد فهمي – أفغانستان بين الأمس واليوم – ص 82 – القاهرة 1969م.

- مرتضى أسعدي – وهو شنگ اعلم – أفغانستان مجموعة مقالات – ص 263 : 282 "بتصرف" تهران 1376 هـ ش.

سوف أتناولها فى هذا الفصل من خلال إلقاء الضوء على فترة حكم كل ملك من هؤلاء الملوك.

1 - **شيرعلى خان (1280 – 1296 هـ ق / 1863 – 1879م):**

تولى شير على خان الحكم بعد موت والده دوست محمد خان "1259 – 1280 هجرية قمرية الموافق 1843 – 1863 ميلادية" مؤسس أسرة بركزائي، وشيرعلى هو الابن الثالث لدوست محمد خان، وكان أبوه قد أعطاه ولاية العهد؛ لذلك وجد معارضة من أخويه الكبيرين "محمد أفضل ومحمد أعظم" وقامت حروب بينهم استمرت خمسة أعوام، هزم فيها شير على وفقد كابل وقندهار، وتولى الحكم محمد أفضل خان سنة 1283 هـ ق الموافق – 1866 م، ثم محمد أعظم خان حتى سنة 1285 هـ ق الموافق 1868م، ولكنهما لم يتمكنا من دخول هرات وخرج منها محمد يعقوب بن شير على فى قوة كبيرة استعاد بها قندهار وكابل، وبذلك استعاد شيرعلى سيطرته على كل أفغانستان، واعترفت به الحكومة البريطانية بالهند، وجلس على العرش عشرة أعوام دون منازع، وعندما شعر بأطماع ابنه محمد يعقوب فى الحكم اعتقله، وبذل نائب ملكة بريطانيا محاولات للتدخل لإطلاق سراحه ولكنها باءت بالفشل، وقد استاء شير على من هذه التدخلات لصالح ابنه[1].

وكان للأمير شير على خان بعض الإصلاحات الداخلية فى البلاد أهمها، إعداد جيش منظم بأسلوب جديد وتجهيزات عصرية، وكان هذا الجيش يتكون من ستمائة ألف شخص، وجعل لأفراده زياً رسمياً موحداً، كما أنشأ مصنعاً لصناعة المدافع وآخر لصناعة البنادق، كما شكل فى سنة 1291 هجرية قمرية الموافق 1874 ميلادية أول مجلس للوزراء تحت رئاسة الأمير "سيد نور محمد"، يتكون من ثلاثة عشر عضواً وقسم بين أعضاء هذا المجلس أعمال الدولة، كما أنشأ مدينة جديدة فى شمال كابل باسم "شيرپور". كما عمل على إصلاح النظام المالى والإدارى لأفغانستان، وكان الهدف

1 - عبد الحي حبيبي – تاريخ مختصر أفغانستان – جلد دوم – ص 122 - كابل 1970م.
- فاروق حامد بدر – تاريخ أفغانستان قبيل الفتح الإسلامي حتى الوقت الحاضر – ص 60، 61 – القاهرة 1980م.
- محمد عبد القادر أحمد "دكتور" – المسلمون في أفغانستان – ص 52– الطبعة الأولى – القاهرة 1984.
- مير غلام محمد غبار – أفغانستان در مسير تاريخ – ص 590، 592 – چاپ چهارم – تهران – 1368هـ ش.

الأساسي من إقدام شيرعلي خان على تلك الإصلاحات هو العمل على توسيع نطاق نفوذ الحكومة المركزية وتقويتها والعمل على إضعاف النظام القبلي(1).

أما على صعيد السياسة الخارجية: - فقد عمل شيرعلي خان على إقامة علاقات دبلوماسية مع جيرانه في المناسبات الأفغانية المختلفة، ومع ذلك فقد ظلت القوى العظمى "الروس والإنجليز" هم أصحاب النفوذ وذوى اليد العليا في حل المشكلات السياسية في المنطقة، فعندما اشتد النزاع بين أفغانستان وإيران على الحدود في منطقة سيستان، تولى أحد مندوبي بريطانيا ويسمى "جولد سميث" أمر التحكيم، وانتهى هذا التحكيم في عام 1290 هـ ق 1873 م بتنازل أفغانستان عن جزء كبير من أخصب أراضيها؛ مما زاد استياء شيرعلي خان من الإنجليز(2).

عندئذ أخذ يتقرب إلى الروس، وكانت الإمبراطورية الروسية آخذة في التوسع في طشقند وسمرقند، وقد أثار اقترابهم من آمودريا مخاوف الإنجليز، وفشلت محاولات الإنجليز لتنسيق سياستها مع أفغانستان إزاء التوسع الروسي، وفي سنة 1294 هـ ق الموافق 1878م وصلت بعثة روسية كبيرة تكونت من جنرالين وطبيب وخمسين فارساً إلى كابل، وقد استقبل الأمير البعثة الروسية استقبالاً حافلاً، وعقدت بينهما معاهدة طمأن الروسي فيها الأمير، وتضمنت هذه المعاهدة تعهد روسيا بمساعدة الأمير شير علي خان في الحرب ضد الإنجليز، وأن يجعل الروس الأسلحة والمهمات العسكرية تحت تصرف أفغانستان، وقام الإنجليز بإرسال بعثة أيضا إلى أفغانستان ولكن القوات الأفغانية احتجزتها عند ممر خيبر(3).

1 - مير محمد صديق فرهنگ - أفغانستان در پنج قرن أخير مجلد أول - ص 384- چاپ قم 1371 هـ ش. پوهاند سيد سعد الدين هاشمي - تاريخ معاصر أفغانستان ص 41 - چاپ كابل "بدون تاريخ طبع".

2 - فاروق حامد بدر - تاريخ أفغانستان قبيل الفتح الإسلامي وحتى الوقت الحاضر - ص 61.

3 - ممر خيبر - هو ممر جبلي حدودي في سلسلة جبال هندوكش يصل بين باكستان وأفغانستان قرب مدينة پيشاور الباكستانية يقع على ارتفاع 1070 متراً وعرضه حوالي 12 متراً، وكان الممر عبر التاريخ طريقاً تجارياً مهماً بين شبه القارة الهندية وآسيا الوسطى، كما كان ممراً للعديد من الجيوش القادمة من الشمال الغربي لشبه القارة الهندية مثل الإغريق واليونان والإنجليز . - على اكبر دهخدا - لغت نامه - جلد21 -ص 982 - 1365 هـ ش .

ولم يستقبلها شير على خان نتيجة للاطمئنان والأمل الذى وعده به الروس، وردها بمساعدة الروس وبإذن منهم، فزاد ذلك من مخاوف الإنجليز وكان ذلك سبباً آخر فى قيام الحرب الأفغانية الإنجليزية الثانية[1].

هذا بالإضافة إلى الدسائس، والمؤامرات التى قام بها الروس من خلف الستار، ويكتب الدكتور "ياروسكي" الطبيب وعضو البعثة الروسية، عن الحرب الأفغانية الإنجليزية الثانية قائلاً : "لو لم تذهب بعثة قنصليتنا إلى الأمير، ولو لم نجعل هذا الرجل حسن الظن يتجنب المفاوضة مع الإنجليز يقيناً لم تكن تقع مطلقاً هذه الحرب التى نشاهدها ماثلة أمامنا"[2].

الحرب الأفغانية الإنجليزية الثانية

"1295– 1299هـ ق الموافق 1878–1881م" فى الحادى عشر من نوفمبر سنة 1295 هجرية قمرية الموافق 1878 ميلادية بدأ الإنجليز الزحف على أفغانستان، ودخلوا من الممرات الثلاثة المؤدية لأفغانستان، ولم يكن الأمير شير على خان مستعداً لمثل هذا اليوم[3].

"وكان زحف الإنجليز وتقدمهم يسير بشدة، فأعلن الأمير الجهاد وذهب إلى تركستان، حتى ينجو من الوقوع فى الشرك، وطلباً للحصول على العون من الروس، وحينما اتخذ هذا القرار كانت جلال آباد[4]، وأجزاء من جنوب البلاد قد سقطت فى أيدى الإنجليز، وكانوا يواصلون تقدمهم إلى كابل، ومن جهة أخرى فقد توفى "عبد الله" ابن الأمير وولى العهد، وكان الأمير محمد يعقوب ابنه الأكبر فى السجن بناء على أمره، وبذلك ساء

1 - إبراهيم ذكي خورشيد، وعبد الحميد يونس – دائرة المعارف الإسلامية – المجلد الثاني – مادة أفغانستان ص 413 – القاهرة 1936م.

مير محمد صديق فرهنگ – أفغانستان درپنج قرن أخير – جلد أول – ص 349.

2 - ش. ن. حق شناس – العلاقات الأفغانية الروسية – ترجمة د. عفاف السيد زيدان – ص 78 – الطبعة الأولى – 1412هـ - 1922م.

3 - سيد محمد خير خواه – أفغانستان ضعفها وقوتها – ص 52" ط بدون تاريخ طبع"

4 - جلال آباد: تقع على الطريق الذي يصل باكستان بأفغانستان وهي إحدى المدن الكبيرة بأفغانستان تبعد عن كابل حوالي 90 ميلاً – العلاقات الأفغانية الروسية ص 82.

فكر الأمير وتكدرت نفسه"(1).

وصمم الأمير أن يذهب إلي روسيا، كما أصر أن يطرح قضية أفغانستان فى مؤتمر عالمي، ولكن الجنرال "كوفمان"، حاكم التركستان كتب له رسالة صريحة يقول فيها "إننى أوصيك ألا تترك بلادك بأى صورة، ولا تخطو الآن خطوة خارج أرضك وأن مجيئك إلى روسيا سوف يجعل الوضع أكثر سوءاً" وأوصاه بأن يتصالح مع الإنجليز، ولكن وصلت هذه الرسالة وهذه التوصية فى الوقت الذى كان الإنجليز داخل الأراضى الأفغانية، وفى نفس الوقت وصلت رسالة من قندهار تتحدث عن هزيمة الجيش الأفغانى وتقدم الإنجليز، فانصرف الأمير عن الذهاب إلى روسيا، وتمكن الإنجليز من احتلال كابل وقندهار والأماكن الإستراتيجية المهمة رغم المقاومة الشديدة التى أبداها الأفغان، وإثر ذلك مرض شير على خان ومات فى مزار شريف(2).

2 - **سلطنة يعقوب خان ومعاهدة كَندمك.**

بعد موت شير على خان قام بعض القواد بإطلاق سراح الأمير يعقوب خان من السجن، ونودى به أميراً على أفغانستان، وأعلن سلطنته فى كابل سنة 1297 هجرية قمرية الموافق 1879 ميلادية، وكانت فترة يعقوب خان على العرش فترة قصيرة تموج بالأحداث؛ فقد كانت الأوضاع الداخلية فى البلاد فى غاية الاضطراب، وكانت القوات الاستعمارية فى حالة تقدم دائم، ومن ناحية أخرى كان الأمير "عبد الرحمن خان" يثير الشغب فى شمال البلاد، هذا بالإضافة إلى أن الأمير يعقوب خان كان رجلاً متسرعاً خائر القوى ضعيف النفس مضطرب الفكر مكدود الذهن، بسبب حبسه لمدة ثمانى سنوات فى عهد أبيه، مما جعله لا يقوى على مواجهة المشكلات الداخلية والخارجية فى البلاد(3).

---

1 - د. عفاف السيد زيدان – العلاقات الأفغانية الروسية – ص 82، 83.

2 - مير محمد صديق فرهنگ – أفغانستان در پنج قرن أخير – جلد أول – ص 351، 352 – پوهاند سيد سعد الدين هاشمي – تاريخ معاصر أفغانستان - ص44 .

3 - مير محمد صديق فرهنگ – أفغانستان درپنج قرن أخير - جلد أول - ص 355.

- علي أكبر فياض – مقال تحت عنوان – أفغانستان در عصر سلسلة محمد زايى – على الرابط الإلكتروني:www.afghanistan history.net.

وقاد الأمير الجيش لمواجهة الإنجليز فى منطقة " كَندمك"[1]،وهو مكان بين كابل وجلال آباد، ورغم تغلب المقاتلين الأفغان على الجيش الإنجليزى فى بداية المعركة وإلحاق الهزيمة به، فأن الأمير يعقوب خان كان حديث العهد بالسياسة؛ لذا فقد وافق فى هذه الموقعة على عقد معاهدة هى الأسوأ فى تاريخ أفغانستان، وهى معاهدة " كَندمك" التى تم توقيعها فى مايو سنة1879م بناء على رغبة ممثل الإنجليز وتنازل بمقتضاها لبريطانيا عن بعض المواقع الإستراتيجية بأفغانستان.[2].

وكانت أهم بنودها:

1. الصلح الدائم بين الدولتين.
2. العفو العام عن الخونة الذين ساعدوا الإنجليز فى الحرب.
3. أن تشرف بريطانيا على السياسة الخارجية لأفغانستان.
4. استقبال مندوب دائم لبريطانيا فى كابل.
5. أن يتعهد الأمير بحماية أرواح وأموال الممثل الإنجليزى وأتباعه.
6. تكون هناك تجارة حرة للإنجليز فى أفغانستان.
7. تكون إدارة مناطق كرم وبشين وسيبي[3] ومنطقة خيبر من قبل الإنجليز.
8. تدفع إنجلترا مبلغاً من المال سنوياً مساعدة للأمير[4].

ولكن بعد أشهر قليلة شبت فتنة فى كابل، وقتل الأفغان أعضاء البعثة البريطانية فى قلعة بالاحصار بكابل، فأرسلت إنجلترا قوات أخرى احتلت كابل، وأجبر يعقوب خان على التخلى عن العرش، ونفى إلى الهند وعاش بها حتى توفى سنة 1923م[5].

1 - كندمك هو مكان بين كابل وجلال آباد، وفي هذا المكان قام الجيش الأفغاني بالقضاء على حوالي ثلاثين ألفاً من جنود الجيش الإنجليزي أثناء الحرب الأولى بين أفغانستان وإنجلترا (1838 – 1842م) ويقال إن انجلترا قامت بعقد هذه المعاهدة في نفس المكان بدافع الانتقام – عبد الحي حبيبي – تاريخ تجزية شاهنشاهى أفغان - ص 46 - چاپ 2001م.

2 - عبد الحي حبيبي – تاريخ مختصر أفغانستان ص 124 .

3 - بشين وسيبي : هما واديان بين كويته وكوژك عند مضيق بولان - عبد الحي حبيبي – تاريخ تجزية شاهنشاهى أفغان – ص 46.

4 - مير غلام محمد غبار – أفغانستان در مسير تاريخ - ص 610 – 611 - تاريخ معاصر أفغانستان - ص 46.

5 - فيضي محمد كاتب – سراج التواريخ – جلد دوم ص 355، 356 – چاپ كابل 1331 هـ ق

- فاروق حامد بدر – تاريخ أفغانستان قبيل الفتح الإسلامي وحتى الوقت الحاضر – ص 62.

3 - **الأميرعبد الرحمن خان (1298– 1319هـ ق الموافق 1880 1901-م).**

وصل الأمير عبد الرحمن خان إلى كرسي العرش وهو في سن السادسة والثلاثين من عمره، وعبد الرحمن هو ابن "محمد أفضل" منافس "شيرعلي" وكان لعبد الرحمن خان مشاركة فعالة في المعارك التي دارت بين والده وعمه "شيرعلى خان"(1).

وكانت الفترة الفاصلة بين استعفاء محمد يعقوب خان وجلوس عبد الرحمن خان مليئة بالاضطرابات، والأوضاع داخل البلاد غير مستقرة نتيجة للحرب الإنجليزية وكذلك عدم وجود حكومة مركزية(2).

فقد بقي البريطانيون في كابل خلال شتاء عامي 1879، 1880م وقد كان لدى القائد الإنجليزي تعليمات لإيجاد حل سريع وسلمي للمسألة الأفغانية، وما إن ظهر الأمير عبد الرحمن خان على مسرح الأحداث في كابل حتى اعترفت بريطانيا بإمارته على كابل آملة في أن يعيد الأمن إلى ربوع أفغانستان، وتعهد بألا تطالب بإدخال بعثة بريطانية إلى أي منطقة في أفغانستان، (3).

وما إن بدأ الإنجليز في الاستعداد للانسحاب من أفغانستان حتى جاءت الأخبار بأن "أيوب خان" شقيق يعقوب خان، قد أباد حامية بريطانية في قرية "ميوند" بالقرب من قندهار، فساروا إلى هناك في عشرة آلاف جندي، وهزموا أيوب خان في معركة بالقرب من قندهار، وسلموها للحاكم الذي عينه عبد الرحمن خان، ثم انسحبوا من أفغانستان كلها، وكان ذلك ختاماً للحرب الأفغانية الإنجليزية الثانية، ثم توجه الأمير عبد الرحمن خان للسيطرة على هرات وسائر مناطق أفغانستان، وقتل بعض معارضيه وطرد البعض

---

1 - أمير عبد الرحمن خان – تاج التواريخ - باهتمام آقا محمد حسين - جلد أول - ص 52 - طبع مشهد 1322 هـ ق.

- يعقوب علي خان خافي- پادشاهان متأخر أفغانستان - جلد أول - ص 81 - چاپ كابل 1336 هـ ق.

2 - أمير عبد الرحمن خان – سفر نامه وخاطرات أمير عبد الرحمن خان وتاريخ أفغانستان أز(1747 1900م)-ص 246 – ترجمة غلام مرتضى خان قندهاري - به كوشش ايرج افشار سيستاني - چاپ 1369 هـ ق.

3 - پوهاند سيد سعد الدين هاشمي تاريخ معاصر أفغانستان – ص 49 – أبو العينين محمد فهمي – أفغانستان بين الأمس واليوم – ص68.

الآخر خارج البلاد، واستتب له الحكم ولقب نفسه بضياء الملة والدين[1].

وفى عام 1311 هجرية قمرية الموافق 1895 ميلادية دخل تحت حكمه منطقة بلورستان، وهي منطقة جبلية تقع جنوب جبال الهندوكش، وكان يقطنها قوم من الكفار فلم تصل إليها الفتوحات الإسلامية بسبب وعورة مسالكها، وكانت دائماً غير خاضعة للحكومة الأفغانية، وكانت تسمى "كافرستان" أى "أرض الكفار" فتوجه إليها الأمير بقوات عسكرية منظمة فلم يستطع أهلها المقاومة، ودخلت تحت حكمه، فسلم أهلها وأطاعوا واعتنقوا الدين الإسلامي على مذهب أهل السنة والجماعة، وأصبح اسمها "نورستان" أى "بلاد النور"[2].

ويمدح قارى الأمير عبد الرحمن خان ويصف شجاعته وفتوحاته فيقول: -

الخديوى حاكم الأرض الملك عبد الرحمن خان، الذى ملاء صيت جاهه وجلاله وجه الأرض.

وعمت عظمته أرجاء الكون، وصار جميع الملوك خدماً له.

حسناً فقد وصل جلال قدرتك إلى أعلى منزلة، بحيث صارت السماء هى مظلتك.

أيها الإمبراطور – أيها الملك العادل، أنت الذى أصبح الدين بقوتك قوياً ومتيناً

أنت صاحب العظمة والجلال، أنت الظل الإلهى وعون الدولة والدين

لو لم يكن صيت عظمتك مدوياً فى أوربا، فلماذا اندلعت الفتن من الحاقدين؟!

وقد وقفت بخدمتك كالعبيد على أقدامهم، كبار الملوك على أعتاب عظمتك وجلالك

أيها الملك كيف أصف معاركك، فيقيناً إن الحكايات عن حروبك تحاكى أحداث الهفتخوانه "سبع موائد".

---

1 - أمير عبد الرحمن خان – سفرنامه وخاطرات أمير عبد الرحمن خان - ص 413.

2 - مير محمد صديق فرهنگ – أفغانستان در پنج قرن أخير – جلد أول – ص417.

مرتضى أسعدي وهوشنگ اعلم – أفغانستان مجموعة مقالات – ص 269.

ولم تر عين دولة مثل دولتك أو ملك مثلك، على مدار الدهور والقرون والسنين[1].

و كان الأمير عبد الرحمن خان حكيماً شجاعاً بعيد النظر، نجح فى إعادة الأمن إلى البلاد، كما عمل على خلق حكومة مركزية للاستعاضة بها عن الحكومات القبلية المتفرقة، كما أسس جيشاً قوياً، وأعد له قادة موثوق بهم، وقسم البلاد إلى أربعه ولايات كبرى، هى "كابل وتركستان وهرات وقندهار"، وأنشأ وزارات للعدل والمخابرات والمالية والصحة وغيرها، وشكل مجلساً للشورى كان أعضاؤه يعينون من قبل الأمير، كما وضع دستوراً لتنظيم العمل بالمحاكم والقضاء وسائر الدوائر الحكومية وكان دائب العمل على تقوية الوحدة الوطنية[2].

أما على صعيد للسياسة الخارجية، فقد بادر الأمير بمد يد الصداقة والمودة للهند البريطانية، وذلك لعلمه أن أفغانستان مستهدفة من قوتين عظميين هما بريطانيا وروسيا، ولم يكن الأمير يثق فى صداقة روسيا، فحرص على صداقة الإنجليز والقبول بشروطهم حفاظاً على عرشه وتاجه، فتوجه فى عام 1301 هجرية قمرية — 1885 ميلادية للقاء الحاكم العسكرى بالهند، لدعم علاقة الصداقة والمودة بينهما، وتلقى دعوة للذهاب إلى لندن فأرسل بدلاً منه ابنه نصر الله خان[3].

وفى عام 1307 هجرية قمرية الموافق 1887 ميلادية وقعت بريطانيا وروسيا بروتوكولا حددت بمقتضاه الحدود الفاصلة بين روسيا وأفغانستان، وفى سنة1313هـ ق الموافق 1893 م تم توقيع اتفاقية الحدود المعروفة "بديورند" التى حددت الحدود الشرقية والجنوبية لأفغانستان مع حكومة الهند البريطانية، فجاء "السير هنرى مارتيمر

1 - قارى عبد الله خان - كليات قار - ص 279 -- جمع وتدوين پاينده محمد زهير وعبد الغفار قارى – رياست دار التأليف - كابل 1334 هـ ش

إشارة إلى قصة "هفتخوانه رستم "وهى قصة من قصص الشاهنامه ، والتى تتحدث عن ذهابه إلى مازندران ليخلص الملك كيكاوس من الأسر وهو فى طريقه واجهته سبعة أحداث هامة ومن هنا اطلقوا على الأعمال الشاقة والجادة هفتخوان .

2 - أبو العنين محمد فهمي – أفغانستان بين الأمس واليوم - ص 68.

پوهاند سيد سعد الدين هاشمى - تاريخ معاصر أفغانستان – ص 52.

3 - مير محمد صديق فرهنگ – أفغانستان درپنج قرن أخير – جلد أول – ص 419.

ديورند"[1] وزير خارجية الهند، برئاسة لجنة ترسيم الحدود إلى كابل واجتمع مع الأمير، وانتهت المحادثات بتوقيع المعاهدة وقد شملت الاتفاقية سبعة بنود، وبموجبها تم ترسيم حدود ديورند، وأنشئ هذا الخط ليفصل بين أفغانستان والهند، ولكن هذا الخط قسم قبائل البشتون وأصبح بعضها يعيش فى أفغانستان والبعض الآخر يعيش في القارة الهندية سابقا وباكستان حالياً، وخلف بذلك ما يسمى بمشكلة "پشتونستان"، كما اقتطع جزءاً كبيراً من الأراضى الأفغانية، ولحقت بالهند وفى مقابل ذلك تدفع الحكومة الهندية مبلغ مليون وثمانمائة ألف روبية سنوياً للأمير، كما تعهدت أيضاً بمساعدة الأمير بالأسلحة الحربية.[2].

وتوفى الأمير عبد الرحمن خان عام 1319 هجرية قمرية الموافق 1901 ميلادية وخلفه على العرش ابنه الأكبر حبيب الله خان[3].

نظرة على عهد الأمير عبد الرحمن خان:

لقد قام الأمير عبد الرحمن خلال مدة حكمه التي بلغت 21 عاماً بأعمال عظيمة من جهة، ومن جهة أخرى نرى كثيراً من نقاط الضعف تترسخ فى إدارته لأمور البلاد.

فقد أدار الأمير البلاد بإرادة حديدية، وخضعت لسيطرته كل الولايات، وقضى على نفوذ ملوك الطوائف والإقطاعيين ورؤساء القبائل ورجال الدين بالقوة والحزم، ووحد أفغانستان سياسياً واقتصادياً، وأدخل وسائل التكنولوجيا المعاصرة له، وعمل على إحياء الصناعات اليدوية والحرفية، وشرع القوانين، ولكن من ناحية أخرى يجب الاعتراف أنه كان لديه جهاز جاسوسية قوى يضم الكثير من الرجال والنساء، مما جعله شخصاً ديكتاتورياً، وكان حكمه شمولياً استبدادياً، كما تعرض الكثير من الشعب فى

1 - سير هنري مارتيمر ديورند: ولد في عام 1850م وفي عام 1879م عين سكرتير سياسي لحكومة الهند البريطانية في كابل، ثم عمل بوزارة الخارجية لحكومة الهند البريطانية من عام 1884 إلى 1894م، ثم عمل سفيراً لإنجلترا في تهران ومدريد وواشنطن – عبد الحي حبيبي – تاريخ تجزية شاهنشاهي أفغان – ص53 .

2 -أبو العنين محمد فهمي – أفغانستان بين الأمس واليوم – ص69، "وتناول ذلك أيضاً"
عبد الحيى حبيبي – تاريخ مختصر أفغانستان – جلد دوم – ص 131

3 - إبراهيم ذكي خورشيد وآخرون – دائرة المعارف الإسلامية – المجلد الثاني – ص414.

عهده لأنواع عديدة من التعذيب والوحشية، ومصادرة ونهب أموالهم، مما جعل الشعب في عهده يئن تحت وطأة الخوف من السيف لكثرة سفكه للدماء[1].

ويصف قارى بطشه وقوته فيقول:

إن مخالفة رأيك علامة لسوء الطالع، وطاعة أمرك طاعة الأبرار.

إن وجه مطيعيك أحمر وأبيض كالتفاح، وقلوب مخالفينك ملطخة بالدم كالرمان[2].

ورغم كل ما كان يتمتع به من ذكاء وقوة شخصية فإنه عقد معاهدة ديورند المشئومة، بهدف الحفاظ على عرشه، متخلياً عن استقلال أفغانستان وسيادتها على أرضها، كما أن إصلاحاته كان معظمها يتركز في مدينة كابل العاصمة، أما باقي المدن فكان نصيبها أقل، وبالطبع فإن كل ذلك يعد نقاط ضعف في سياسته[3].

4 - **حبيب الله خان** 1319 – 1337 هـ ق1901 **الموافق** – 1919م

ارتقى الأمير حبيب الله خان سدة الحكم بعد وفاة والده سنة 1319 هجرية قمرية الموافق 1901 ميلادية، دون أن يكون له مناوئ في الحكم، في سابقة لم تحدث من قبل في تاريخ أفغانستان، فقد تم انتقال السلطة إليه في هدوء ودون إراقة للدماء، وكان أول عمل قام به بعد حصوله على البيعة، هو السعي لتخفيف الضغوط التي أثقل بها والده كاهل الرعية، فكانت سياسته الداخلية مخالفة لسياسة أبيه، فأعاد للشعب الحرية السليبة، ونظر في أمر السجناء فأطلق سراح الآلاف منهم، الذين تم حبسهم بلا ذنب يذكر سوى الاشتباه، أو بفعل الدسائس التي قام بها عمال وجواسيس عبد الرحمن خان كما أصدر فرماناً بالعفو العام عن جميع المبعدين الذين تم نفيهم بأمر والده، وكذلك الذين هاجروا خوفاً من بطشه، فأعادهم إلى وطنهم وأعاد إليهم أموالهم وأملاكهم المسلوبة[4].

كما حد من سطوة جهاز الجاسوسية الذى كان قد استشرى في عهد عبد الرحمن

---

1 - تاريخ معاصر أفغانستان – ص 54.

2 - كليات قاري – ص 236.

3 - پوهاند سيد سعد الدين هاشمى - تاريخ معاصر أفغانستان – ص 54.

4 - مير محمد صديق فرهنگ - أفغانستان درپنج قرن أخير – جلد سوم – ص 448.

خان، وغير طرق الإدارة القائمة على بث الرعب والخوف، وتبرأ من القسوة المفرطة التى اتبعها والده، واستنكر ما تعرض له الشعب من ظلم وتعذيب[1].

كما منع عقوبات سمل العين وقطع الأذن واليد إلا فى الأمور الشرعية، واستعاض عنها بعقوبة الحبس لفترة محددة، وقرب رجال الدين إلى بلاطة فلقب بسراج الملة والدين[2].

ويمدح قارى عبد الله الأمير حبيب الله خان قائلاً:

ذلك الملك العادل حبيب الله مبارك السيرة، الذى من فرط عدله قام بتطبيق أحكام الشريعة حرفاً حرفاً.

أنت الذى من خوف بندقيتك أثناء الصيد، يرتعش شعر الأسد المفترس كالثعلب.

إن عدلك يقصى كل من معتد من دولته، لذلك فلا يستطيع الظالم أن يتواجد أمامك[3].

وكان حبيب الله خان شغوفاً بإصلاح بلاده وتطويرها وإدخال النظم الحديثة إليها، فأمر ببناء الطرق وتشييد المصانع بآلات وأجهزة متطورة وأسس أول مجلة أسبوعية باللغة الفارسية أسماها، "سراج الأخبار" وأشرف على تحريرها السيد محمود الطرزى[4] - " وسوف يأتى الحديث عنها باستفاضة فيما يلى عند ذكر الحياة الثقافية".

كما أنشأ أول دار للأيتام فى كابل، ومنع بيع وشراء الغلمان، كما حسن من وضع السجون، وأمر بتعليم المساجين للصناعات والحرف المختلفة[5].

وقد قسم حبيب الله خان أفغانستان إلى ست ولايات كبرى هي:(كابل وقندهار وهرات وفراه وتركستان الأفغانية وبدخشان) وعين على كل منها والياً من طرفه، ولما كان يعلم أن إصلاح أمور الجيش من الأمور الضرورية للدفاع عن الدولة والدين، فقد اتبع نهج أسلافه،

---

1 - سر محقق غلام حسين فرمند – دو ملك الشعراى همروزگار قارى وبيتاب – ص 13 – چاپ أول – كابل 1385 هـ ش.

2 - مير غلام محمد غبار – أفغانستان درمسير تاريخ – ص 701.

- مير محمد صديق فرهنگ – أفغانستان در پنج قرن أخير – جلد سوم – ص 429.

3 - - كليات قاري عبد الله خان – ص 206.

4 - أبو العينين محمد فهمي أفغانستان بين الأمس واليوم – ص 70.

5 - پوهاند سيد سعد الدين هاشمي – تاريخ معاصر أفغانستان - ص 59.

وعمل على تقوية الإدارة العسكرية، فجلب لها المعدات والأسلحة الحديثة، وأنشأ مدرسة عسكرية، وجعل للجنود معاشاً ثابتاً، وجعل مدة الخدمة في العسكرية ثلاث سنوات، كما قسم إدارة أمور البلاد بين إخوته وأبنائه وتولى هو الإشراف العام على كل الإدارات[1].

1 - أفغانستان در پنج قرن أخير - جلد سوم - ص 483 - تاريخ معاصر أفغانستان - ص 58.

سياسة الأمير حبيب الله خان الخارجية : -

اتبع الأمير حبيب الله خان سياسة ونهج والده، وكان يرى أن في قيام علاقات ودية مع إنجلترا هو لمصلحة أفغانستان، وقد جدد الاتفاق الخاص بارتباط أمير أفغانستان بالدولة الإنجليزية، وفي عام 1321 هجرية قمرية الموافق 1905 ميلادية وقع معاهدة جديدة مع إنجلترا زيدت بمقتضاها المعونة المالية لأفغانستان بالإضافة إلى بعض الإمدادات من الهند[1].

وكانت إنجلترا ما تزال تتولى الإشراف على شئون السياسة الخارجية لأفغانستان، وفي عام 1323 هجرية قمرية الموافق — 1907 ميلادية وقعت بين إنجلترا وروسيا معاهدة جديدة، كانت بعض بنودها تتعلق بأفغانستان، ومنها اعتراف روسيا بأن أفغانستان تقع خارج دائرة نفوذها، وتعهدت إنجلترا بألا تحتل أو تنزع أي جزء من أرض أفغانستان، وفي العام نفسه زار حبيب الله الهند زيارة رسمية، وعندما علم بالمعاهدة الروسية الإنجليزية رفض الاعتراف بها[2].

وعندما قامت الحرب العالمية الأولى "1331 — 1335 هجرية قمرية الموافق 1914 1918 ميلادية" أعلن حبيب الله خان حياد بلاده بين المعسكرات المتصارعة ورفض أن يحارب بريطانيا استجابة لنداء الألمان والعثمانيين، ومنع القبائل الأفغانية من مهاجمة الهند، وفي هذا الصراع كان بعض أعضاء بلاطه يناصرون تركيا الإسلامية، ولهذا استقبل الأمير بعثة ألمانية تركية في كابل، وفي الداخل بدأ يواجه بعض الصعاب نتيجة لبرامج الإصلاح التي كان يرى إدخالها البلاد، وكانت جماعة الشبيبة الأفغانية الذين شاهدوا حركات الإصلاح في تركيا وإيران يطالبون بتبني أفغانستان منهجاً إصلاحياً مشابهاً، حتى تتخلص بذلك من تبعيتها للهند ولسياسة إنجلترا[3].

وفي الثاني من فبراير عام 1919 ميلادية الموافق لغرة جمادى الأولى سنة 1337 هجرية قمرية كتب حبيب الله خان إلى نائب الملك في الهند، طالباً اعتراف مؤتمر السلام

1 - أبو العينين محمد فهمي - أفغانستان بين الأمس واليوم – ص 70.

- Schinasi Afghanistan at the beginning of twentieth century, p.155 – Naples –1979.

2 - مير محمد صديق فرهنگ - أفغانستان در پنج قرن أخير – جلد سوم – ص 457 إلى 460

3 - صفا إخوان – تاريخ شفاهي أفغانستان (1900 – 1992 ميلادي) - ص 29 ، 30 – چاب تهران – 1383 هـ ش.

في باريس باستقلال أفغانستان التام وحريتها في العمل، ولكن كان الرد برفض طلبه وفي الثامن عشر من نفس الشهر اغتيل حبيب الله خان بينما كان يصطاد في "كله كَوش" "بلغمان" دون أن يهتدى أحد إلى قاتله[1].

وفى تاريخ وفاته كتب قارى عبد الله خان قائلاً:

لقد رحل ذلك الملك العادل إلى الآخرة، بعد ثمانية عشر عاماً من العطاء.

فجأة في جمادى الأولى، استشهد الملك المشهور.

لقد استشهد في الليلة التي كان يصطاد فيها ويتنزه في كله كَوش.

إن قاتل ذلك الملك الواعى العظيم اليقظ، شخص أسود الوجه متبجح وقح.

ولطخت دماء الملك أطراف ثوبه، مع أن القاتل حتى الآن غير معروف.

في ليلة الخميس الثامن عشر من الشهر، رحل عن هذه الدنيا الفانية.

وكتب القلم تاريخ وفاته، وذهب الملك الشهيد إلى دار الخلد والنعيم،1337 هـ.ق[2].

وتذكر بعض الروايات أن قتله كان على يد شجاع الدولة الذى كان قد تعرض لعقاب حبيب الله قبل ذلك وأقسم أن ينتقم، وأن هذا كان بتحريض من "آمان الله خان" الابن الثالث للملك وأمه "عليا حضرت" وقد استطاع أمان الله أن يخفى القاتل وأن يغير ملامح الجريمة، وأن يقرب القاتل إليه بعد ذلك ومنحه منزلة رفيعة في الدولة[3].

وذكرت رواية أخرى أن قتله جاء على يد أحد جواسيس إنجلترا في أفغانستان، لكن لم تثبت صحة أى من هاتين الروايتين من عدمها[4].

« ومهما كانت يد الشخص التى نفذت هذا فإن بريطانيا وروسيا قد اشتركتا في هذه

1 - أحمد محمود الساداتي - تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتها - ص 491 - الطبعة الثانية - 1970م.

- مجموعة مقالات دومين سمينار أفغانستان - مقالة جناب آقاي رضا حسين ميرزا ظاهر - بعنوان - أفغانستان به روايت تاريخ واسناد - ص 663 - تهران 1370 هـ ش.

2 - كليات قاري ص 350.

3 - مير محمد صديق فرهنگ - أفغانستان درپنج قرن أخير - جلد سوم - ص 489.

4 - أفغانستان درپنج قرن أخير - جلد سوم - ص 480.

المؤامرة، وكان أهم البواعث على القتل: الخوف من تنفيذ اتحاد الممالك الإسلامية، ثم الاستيلاء على بخارى دون متاعب، ثم القضاء على الحرية فى أفغانستان»[1].

5 - أمان الله خان 1337 – 1348 **هجرية قمرية الموافق** 1919 – 1929 **ميلادية**

بعد مقتل حبيب الله خان أعلن نصر الله خان الأخ الأصغر لحبيب الله سلطنته فى جلال آباد، وفى الوقت نفسه كان أمان الله ابن حبيب الله قد نصب نفسه فى كابل، ولما كان أمان الله حاكماً على كابل فى غياب والده كان موقفه أقوى فى العاصمة، فقد اكتسب تأييد الجيش، وتنحى نصر الله عن الحكم وبايع أمان الله، وارتقى أمان الله سدة الحكم فى كابل[2].

وحتى يتخلص أمان الله من منافسه، اتهمه بالاشتراك والتحريض فى مؤامرة قتل حبيب الله، وزج به فى السجن المؤبد الذى توفى فيه بعد فترة من حبسه – دون سند يؤيد هذا الاتهام، وبذلك تخلص منه للأبد[3].

ومنذ أن تولى أمان الله العرش عمل على تحقيق هدفين:أولهما: الحصول على استقلال أفغانستان التام،والآخر: إدخال برنامج إصلاحى شامل[4].

ومع بداية توليه الحكم أذاع نداءً مطولاً دعا فيه الشعب إلى معاونته والالتفاف حوله فيما يعزم القيام به من إصلاحات، ومساندته فى الحصول على الاستقلال التام للبلاد، حيث وعد فى هذا الخطاب بأن يجعل أفغانستان دولة مستقلة داخلياً وخارجياً، وأن يتمتع الشعب الأفغانى بالحرية الكاملة داخل البلاد، وأن يقضى على كل أنواع الظلم والتجاوز، وأن تكون أفغانستان دولة يحكمها القانون، ويكون نظام الحكم شورى بين المسلمين، وأن يعمل على إدخال العديد من الإصلاحات الجديدة، بحيث تستطيع أفغانستان أن

---

1 - د. عفاف السيد زيدان - العلاقات الأفغانية الروسية - ص 115.

2 - پوهاند سيد سعد الدين هاشمي أفغانستان - تاريخ معاصر أفغانستان - ص67.

- تاريخ شفاهي أفغانستان – ص 33

3 - مير محمد صديق فرهنگ- أفغانستان در پنج قرن أخير – جلد سوم – ص 498.

4 - أبو العنين محمد فهمي – أفغانستان بين الأمس واليوم – ص 72.

تتبوأ مكانة مناسبة بين شعوب العالم، وقد صادف هذا النداء استجابة الجميع[1].

- وكانت الفرصة فى ذلك الوقت سانحة، إذ كانت إنجلترا مشغولة فى الحرب، كما كانت بذور الثورة فى الهند ضد الحكم الأجنبى قد بدأت فى الظهور، وبدأت كذلك الصيحات المطالبة بالحرية فى أفغانستان ترتفع وتندد بالاستعمار، وقد راودته الآمال فى توحيد مناطق البشتون على جانبى خط ديوراند؛ ولهذا أعلن استقلال أفغانستان التام فى شئونها الداخلية والخارجية، وأرسل فى مارس سنة 1919 ميلادية الموافق 1337 هجرية قمرية، لنائب الملك فى الهند يخطره بتوليه العرش، وأنه ينهج سياسة والده فى دعم الصداقة مع الحكومة البريطانية على أن يكون مفهوماً أن أفغانستان قد صارت دولة مستقلة استقلالاً تاماً، ولكن حكومة الهند تجاهلت الرد على هذا الخطاب فى الحال، ثم بعد ذلك أرسلت رداً يتضمن ضرورة استمرار الصلات الوثيقة بين حكومة الهند وأفغانستان لأسباب تجارية واقتصادية مهمة، وكان هذا الرد يعنى رفض إنجلترا منح أفغانستان استقلالها التام، وكان ذلك هو السبب المباشر فى قيام الحرب الثالثة بين البلدين، فأعلن أمان الله الجهاد[2].

الحرب الأفغانية الإنجليزية الثالثة:

اندلعت الحرب بين البلدين في أول شهر مايو سنة 1919 الموافق أول شعبان سنة 1337 هجرية قمرية، وكون الجيش الأفغاني ثلاث جبهات للقتال، فكان السردار محمد نادر خان من جهة الجنوب، والسپهسالار صالح محمد خان من الشرق، والسردار عبد القدوس خان من طرف قندهار، وتوجهوا لمقابلة الإنجليز، ودارت رحى الحرب بين الطرفين لعدة أيام، وفي الثالث والعشرين من شهر مايو توجه السردار محمد نادر خان

1 - أبو العنين محمد فهمي – أفغانستان بين الأمس واليوم – ص 72.

- پوهاند سيد سعد الدين – تاريخ معاصر أفغانستان – ص 67.

2 - إبراهيم ذكي خورشيد – وآخرون – دائرة المعارف الإسلامية المجلد الثاني – ص 419 – 420.

مير محمد صديق فرهنگ – أفغانستان درپنج قرن أخير – جلد سوم ص 502/ 503.

پوهاند سيد سعد الدين هاشمي – تاريخ معاصر أفغانستان – ص 68.

الذى كان يعاونه عدد من القبائل ورجال الدين إلى جانب جيشه إلى "خوست" وعبر الحدود، ثم توجه إلى مكان تمركز الجيش الإنجليزى فى منطقه "تل" وقطع الخط الحديدي، وغافلوا الجيش الإنجليزى وأجبروهم على التراجع، وحاصروهم فى قلعة "تل"، وألحقوا بهم هزيمة ساحقة وكان النصر حليف القوات الأفغانية بقيادة السردار "محمد نادر خان"، وأطلق على هذه الحرب حرب الاستقلال[1].

ويصف قارى هذه المعركة فى أشعاره ويشيد بشجاعة نادر خان وقوة جيشه قائلاً:

- فى هذا الشهر عيد عظيم فى ساحة الاستقلال، إن نهاره عيد وليلة نور وضياء.
- فأى عيد هو؟ إنه عيد ذكرى، يوم الثالث والعشرين من شهر الميزان.
- لقد عادت روح الوطن إلى جسده، إن النصر فى هذا اليوم من فضل الله.
- ومن نصره صار هذا اليوم، يوماً خالداً فى تاريخ الوطن.
- فاليوم هو يوم إقبال الوطن وتحريره، بعد أن تخلص من السارقين واللصوص.
- وصار الوطن اليوم هادئاً، بعد أن حرره الملك من قبضة اللصوص.
- فى هذا التاريخ جاء الجنود من جهة الجنوب، وكأنهم الأسود المفترسة التى تزأر.
- وبوصول ذلك الوزير البطل الشجاع إلى حدود الأفغان، ارتعدت فرائس الإنجليز خوفاً منه
- عندما جاء فى الوكاب النادرى، جميع قبائل منكل وجاجى وجدران[2].
- وصلوا إلى كابل يوم الأحد، الكل تحت حكم الملك ولى خان.
- وظل الأشرار ثلاثة أيام متصلة، مكبلين ومحاصرين بالجيش النادري.
- كان المحاربون بالميدان، يقذفون بالبنادق والمدافع دفعة واحدة من كل اتجاه.
- وأخيراً صار العدو خوفاً من الأسر والحصار، متفرق الجيش مشتت الرجال.

---

1 - مير غلام محمد غبار - أفغانستان در مسير تاريخ - ص 759 "
مير محمد صديق فرهنگ - أفغانستان درپنج قرن أخير - جلد سوم - ص 504، 505.
تاريخ شفاهي أفغانستان - ص34، 35.

2 - منكل وجاجي وجدران - أسماء قبائل في منطقة الجنوب وهى المنطقة المجاورة لخط ديورند - أفغانستان درپنج قرن أخير - جلد سوم - ص 525.

- نعم فقد جاء هذا الفوج كأنه جبل راسخ، نعم فقد صار هذا الفوج كالسيل الجارف[1].

وعندما لقيت إنجلترا الهزيمة سعت على الفور لإيجاد المخرج، ودارت المفاوضات بين البلدين، ووقعت اتفاقية "روالبندي" التى اعترفت فيها إنجلترا باستقلال أفغانستان، كما وقعت بعض الملاحق الشاملة والمفسرة لهذه الاتفاقية فى نوفمبر 1921 ميلادية، ومنها اعتراف انجلترا صراحة باستقلال أفغانستان التام فى الأمور الداخلية والخارجية[2].

وإثر ذلك تبادلت أفغانستان التمثيل الدبلوماسى مع دول العالم المختلفة وعين السردار محمد نادر خان سفيراً لبلاده فى باريس، وبذلك حقق أمان الله أول أهدافه، واتجه بعد ذلك إلى تحقيق هدفه الثانى وهو حركة الإصلاح الداخلى الشامل ولكنه لم يوفق فيها قدر توفيقه في تحقيق الهدف الأول، وكانت فكرة الإصلاح الشامل تتملك أمان الله، وقد لاقت إصلاحاته فى بداية الأمر قبولاً كبيراً وخاصة بعد حرصه على الاستقلال، فكان الناس ينظرون إليه بعين التقدير والاحترام، ولكن تعجله للإصلاح هو ما أدى به وبالبلاد إلى الصعوبات التى لقيها الجميع، وفى سنة 1341 هجرية قمرية الموافق 1923 ميلادية أصدر أول دستور للبلاد، كما أدخل نظامه للضرائب، واهتم بتطوير التعليم اهتماماً بالغاً فعمل على وضع مناهج متطورة لجميع مراحل التعليم وأمر بإنشاء العديد من المدارس[3].

ويمدح قارى أمان الله خان ويشيد باهتمامه بالمعارف قائلاً:

- الملك العظيم راعى المعارف أمان الله خان، شمس العزة وفيض ظل الله.
- أمير دولة الأفغان الملك الغازي، الذى صار عهده ربيعاً للعلم والمعرفة.
- إن استقامة الملك المحب للعمران وعدله، جعلت الدنيا من فيض عطائه وكرمه كأنها الرياض والبساتين.

---

1 - كليات قاري ص 277.

2 - أبو العينين محمد فهمي – أفغانستان بين الأمس اليوم – ص 73.

فاروق حامد بدر – تاريخ أفغانستان قبيل الفتح الإسلامي وحتى الوقت الحاضر – ص 65.

مرتضى أسعدي – وهوشنگ اعلم – أفغانستان مجموعة مقالات ص275.

3 - إبراهيم ذكي خورشيد وآخرون – دائرة المعارف الإسلامية المجلد الثاني ص 221.صفا إخوان – تاريخ شفاهي أفغانستان – ص 37.

- والآن أدعو للملك المتوج، نعم فإن الله تعالى يقبل دعاء أهل العلم.
- ليحيا الشعب والمملكة تحت حماية هذا الملك، فإن الشعب سعيد بكرمه والمملكة مسرورة مستبشرة[1].

كما شكل مجلساً للوزراء كان هو رئيسه المباشر، وعين له رئيساً شرفياً هو السردار عبد القدوس خان وكان هذا المجلس يتكون من ثلاث عشرة وزارة، كما أنشأ مجلس شورى وطنياً يتكون من عدد كبير من رجال الدولة ورؤساء القبائل يسمى " لويه جركه"[2].

ولكن رغم هذه الإصلاحات كانت هناك بعض نقاط الضعف في سياسته الداخلية لا يمكن التغاضي عنها، فقد كانت حاشيته ورجال بلاطه تنقصهم الخبرة والتجربة، فلجئوا إلى العنف فى تنفيذ مشاريعه الإصلاحية، وفى الوقت الذى زادت فيه الضرائب على كاهل الرعية زادت مظاهر البذخ والتبذير فى الدوائر الحكومية وقصر الملك، كما وقع أمان الله فى خطأ جسيم عندما استخف بعلماء ورجال الدين وأظهر السخرية من ملابسهم، وأطلق النكات عليهم فى المجتمعات الرسمية، بالرغم مما لهم من مكانة روحية عالية بين المواطنين، مما أثار حفيظتهم فأخذوا يعرضون بسمعته بين القبائل وهكذا أخذت بوادر الثورة على العرش تبدو للعيان منذرة بحرب أهلية[3].

وفى سنة 1346 هجرية قمرية الموافق 1928 ميلادية قام أمان الله برحلة طويلة إلى أوربا، واصطحب معه حاشية كبيرة، وكلف الدولة بذلك نفقات باهظة، وقد بدأت الرحلة عن طريق الهند، وزار فى هذه الرحلة مصر وإيطاليا وفرنسا وألمانيا وإنجلترا وروسيا وتركيا وإيران، وعاد من رحلته وقد ازداد تصميمه على تطبيق منهج إصلاحى علماني، متبعاً فيه حركة كمال أتاتورك فى تركيا، دون مراعاة لظروف أفغانستان المادية

1 - كليات قاري ص 208.

2 - أحمد محمود الساداتي – تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتها – ص 491.

مير غلام محمد غبار – أفغانستان درمسير تاريخ – ص 797.

سر محقق غلام حسين فرمند – دوملك الشعراي همروزگار – ص16.

3 - فاروق حامد بدر – تاريخ أفغانستان قبيل الفتح الإسلامي وحتى الوقت الحاضر – ص 66.

- نجيب مايل هروي – تاريخ وزبان در أفغانستان – ص 43.

والمعنوية، ثم أصدر أوامر ملكية تلزم كافة الرجال الأفغانيين بارتداء الملابس الإفرنجية، وتحرم على النساء ارتداء الزى الأفغاني وتحثهن على الخروج سافرات الوجه، كما أنه جعل يوم الأحد العطلة الرسمية بدلاً من يوم الجمعة الذى هو عطلة جميع المسلمين، فأذاع رجال الدين بين الناس أن هذه الأعمال تعتبر خروجاً صارخاً على الدين وتقاليد البلاد الموروثة، وبدأت بوادر الثورة، واستقال نادر خان من وظيفته، وعندما تقدم الملك بمشاريعه للمجلس الوطنى "لويه جركَه" عارضوه وناصروا رجال الدين فى دعوتهم[1].

الحرب الأهلية وظهور بچه سقا "ابن السقا":

اندلعت أول شرارة للثورة فى أواخر عام 1346 هجرية قمرية الموافق 1928 ميلادية عندما قامت قبيلة "الشنوارى" البشتونية بالاستيلاء على جلال آباد، وبدءوا فى إثارة القبائل الأخرى ضد الملك، ولقد لعبت، انجلترا دوراً خفياً فى محاربة أمان الله، إذ استخدمت الطائرات فى توزيع صور زوجة أمان الله التى أخذت لها أثناء رحلتها فى الخارج وهى سافرة، وكان ذلك سبباً فى إثارة حفيظة القبائل، وفى هذا الجو المضطرب ظهر على مسرح الأحداث "بچه سقا "ابن السقا" وهو أحد قطاع الطرق من أبناء التاجيك، وتجمع أنصاره على مشارف كابل وبدأ بمهاجمتها، وفى بداية عام 1374 هجرية قمرية الموافق 1929 ميلادية تنازل أمان الله عن العرش لأخيه عناية الله، وفر إلى قندهار، ولكن عناية الله هو الآخر تنازل عن العرش بعد عدة أيام وسافر إلى پيشاور، ودخل ابن السقا كابل وأعلن اعتلاء العرش رسميا، ولقب نفسه باسم "الملك حبيب الله غازى"، ولما رأى أمان الله تطور الحوادث على هذا النحو عاد محاولاً استعاده عرشه، فجمع بعض أنصاره فى قندهار، وحاول السير إلى كابل ولكنه فشل فى ذلك وإضطر إلى مغادرة البلاد متجهاً إلى إيطاليا وظل بها حتى وفاته[2].

---

1 - كارل بروكلمان – تاريخ الشعوب الإسلامية – ترجمة – أمين فارس ومنير البعلبكي – ص 801 – الطبعة الخامسة – بيروت – 1968م.

- أفغانستان در پنج قرن اخير – جلد سوم – ص 528، 529.

- حسن الأمين – دائرة المعارف الإسلامية الشيعية المجلد الثالث ص 273 - الطبعة الخامسة – القاهرة 1996.

2 - مير محمد صديق فرهنگ – أفغانستان در پنج قرن أخير – جلد سوم – ص 535 – 537.

مرتضى اسعدي – وهوشنگ اعلم – أفغانستان مجموعة مقالات– ص 278.

صفا إخوان - تاريخ شفاهي أفغانستان – ص 45.

وقد عاشت أفغانستان فى ظل حكم "بچهسقا" تسعة أشهر هى الأسوأ فى تاريخ أفغانستان، وكان أول عمل قام به بعد توليه الحكم، هو إلغاء جميع القوانين والإصلاحات التى صدرت فى عهد سلفه، وأمر بإغلاق جميع المفوضيات الأفغانية فى الخارج، كما أمر خطباء المساجد بالدعاء له على المنابر، وأمر بصك النقود باسمه، وألقى القبض على جميع أفراد الأسرة المالكة ومنهم عائلة السردار محمد نادر خان، وسجنهم فى قلعة بالا حصار فى كابل، وأخذ أتباعه يعيثون فى البلاد فساداً؛ مما أثار حفيظة القبائل والعشائر فى طول البلاد وعرضها[1].

خصال حبيب الله كلكانى "ابن السقا":

وقد اختلفت المصادر حول حقيقة أمر پچه سقا، فبينما تذكر بعض المصادر أنه كان لصاً قاطع طريق مغتصباً للسلطة، جاهلاً ارتكب هو وأعوانه أبشع الجرائم وعاثوا فى البلاد فساداً، وأن فترة حكمه كانت هى الأسوأ على الإطلاق فى تاريخ أفغانستان[2].

فإن مصادر أخرى ذكرت أنه كان جندياً فى الجيش الأفغانى، وأنه بدلاً من أن يكافأ على عمل وطنى قام به، تعرض للحبس والتنكيل ظلماً من قبل حكومة أمان الله، ففر من السجن ناقماً على الحكومة وتعهد بأن يسقط هذا النظام الفاسد الظالم. وبذلك سلك طريق الثورة، وأنه كان فى حكمه شخصاً شجاعاً بطلا اجتهد أن يجعل الرعية فى أمان من أى ظلم أو إيذاء، وأنه أقر الأمان الكامل فى أفغانستان، ومع أنه كان قليل العلم والتجربة، لكنه كان يعد حاكماً رفيعاً عفيفاً فى أعماله فلم يمدَّ يده لسلب شيء من خزانة الدولة، ولم يسمح لأى شخص أن يمد عينه إليها، ولكن الذين أحاطوا به من رفاق ومساعدين قد أطلقوا أيديهم فى أعمال أساءت إلى سمعته، وأن المؤرخين فى الداخل والخارج لظروف خاصة وضغوط من الحكومات قد حاكوا حوله القصص ونسبوها إليه، وأنه أول شخص وضع الأساس لثورة الشعب فى أفغانستان، ولو لم يعمل الروس والإنجليز على القضاء

---

1 - تاريخ أفغانستان قبيل الفتح الإسلامي حتى الوقت الحاضر – ص67.

دائرة المعارف الإسلامية المجلد الثاني – ص 422.

2 - أبو العينين محمد فهمي – أفغانستان بين الأمس واليوم – 75.

نجيب مايل هروى – تاريخ وزبان در أفغانستان – 45، 46.

عليه فإن نظام حكمه كان سيؤول فى النهاية إلى حكومة نشيطة مستنيرة شعبية[1].

أما شاعرنا قارى عبد الله خان فكان مع أصحاب القول الأول فنراه ينشد قطعة من الشعر يصور فيها فترة حكم ابن السقا قائلاً: -

- جلبت على أرواحنا محنة الغم والألم القاتلة، أيها الانقلاب ماذا أصاب قلوبنا منك.
- احترقت الآفاق من بلاء فتنتك المحرقة للعالم، وخيم الحزن على خلق الله
- لقد بطشت يد الظلم المفجرة لفتنتك على كل من، الجبال والصحارى والمدن والقرى والأحياء
- ولم يأمن من بطشك مكان واحد، فإلى أين يجرنا ظلمك أيها البلاء الذى يختبرنا به الله
- وجرت أنهار الدماء فى كل مكان، كأنك تقول إن سيل الفتنة قد انهمر من كربلاء.
- وقوض دعائم المُلك من الشرق والغرب حتى الشمال والجنوب، وسل سيف الظلم على الملأ.
- قام بالانقلاب على الملك كما يريد الغرب، كما قام الشنوار بالثورة على الدولة.
- وهُدم الوطن من حادثة الإغارة، عندما رفع ابن السقا العلم بالإمارة.
- ونهبت خزائن الدولة من كل الأطراف، وليست الخزينة فقط بل أموال البسطاء من الناس أيضاً.
- يا رب من سفك دم الأمير الشهيد؟، فرأى الوطن من هدر دمه هذه الحادثة.
- أيها الانقلاب نحن فى حزن من حيلك وخداعك، فلعل الإنجليز هم الذين علموك ودربوك على الإثارة والفتنة.[2]

---

1 - د.عفاف السيد زيدان – العلاقات الأفغانية الروسية – ص 145 – 149.

مير محمد صديق فرهنگ - أفغانستان درپنج قرن أخير - جلد سوم – ص 565 ، 596.

صفا أخوان - تاريخ شفاهى أفغانستان – ص 45، 46، 47.

2 - كليات قاري ص 298.

6 - محمد نادر شاه 1348 – 1352 هجرية قمرية الموافق 1929 – 1933 ميلادية

كان السرداد محمد نادر خان – كما ذكرنا سابقاً – يعمل سفيراً لبلاده في باريس، ثم اعتزل العمل وأقام في فرنسا، وما إن سمع بأخبار أفغانستان والفوضى التي عمت البلاد عقب فرار أمان الله خان حتى أسرع عائداً عن طريق الهند متوجهاً إلى أفغانستان، وعبر الحدود إلى قندهار في الجنوب، والتفت القبائل حوله وكان يدعو إلى وحدة الصف لمحاربة الخطر الذي يهدد البلاد، ويذكر أنه لا يفكر إطلاقاً في مصلحة شخصية وأنه لا يطمع في ملك، وأن هدفه الوحيد هو خدمة الوطن، وأن اختيار الملك القادم هو من حق الشعب، وتدافعت إليه القبائل المختلفة فكون جيشاً كبيراً وسار به إلى كابل، ودارت معركة ضارية بينه وبين ابن السقاء انتهت بهزيمة ابن السقاء، ودخل محمد نادر كابل وانتخب ملكاً بالإجماع، وتم إعدام ابن السقاء مع أعوانه رمياً بالرصاص(1).

ولم يصور أي من المصادر تلك المعركة التي دارت بين نادر خان وابن السقاء كما صورها شاعرنا قاري عبد الله خان في أشعاره، فقد وصفها قائلاً:

- وصل ملك الأفغان لفتح كابل، وكان في ركابه النصر والإقبال من اليمين واليسار.
- انقض بجيشه الجرار على كابل، دون أن يستقر في كرديز ولا في حدود شاه مزار.
- هجموا على قوة السقاء من جهتين، نصفه من چهارده والنصف الآخر من بيني حصار.
- متى صارت الهند مركزاً وموطناً لأسود الأفغان، أبشروا يا محبي الوطن فقد أعطى الانتظار ثماره.
- هجم جيش الأفغان وكأنه موج البحر الهادر، أحياناً في صحراء المعركة وأحياناً على جبالها.
- وكالأسود الضارية شنوا حملات لا حصر لها على الصحراء، وكانوا يركضون في أعالي الجبال كالغزلان بلا عد ولا حصر.
- وعندما ارتقى جيش الأفغان كرسي العرش، اختار ابن السقا ارتقاء التل.

1 - نجيب مايل هروى، تاريخ وزبان در أفغانستان – ص 46، 47. "

- فاروق حامد – تاريخ أفغانستان قبيل الفتح الإسلامي وحتى الوقت الحاضر – ص 68، 69.

- مرتضى اسعدي – وهوشنگ اعلم – أفغانستان مجموعة مقالات ص 279.

- وبعد أن صعد إلى التل انهارت مقاومته، وهبط مضطراً من المرتفعات إلى الحضيض.
- وهجمت كل قوات الأفغان زاحفة إلى ابن السقاء، فكانت حربه ضد الأبطال هي نهاية حروبه.
- وسُدت كل الطرق أمام وجهه، فدخل القلعة محاصراً من هيبة أسود الأفغان.
- ومثلما يطير النوم من أعين الناس في ظلمة الليل فر هو هارباً، وخلت القلعة من الفتن والمدن
- من الفساد[1].
- فر مهزوماً وأخذ من قلاع الجبال مأوى، باحثاً في كل صوب عن غار خوفاً من جيش الأفغان.
- وفي النهاية لم يجد قاطع الطريق في الجبل مكاناً خوفاً من الأبطال، فكان الجبل مع اتساعه وكأنه قبرُ ضيق يضمه ويضغط عليه.
- لقد صنعت قوات الجيش النادر فتحاً عظيماً، ذلك الفتح الذى سوف يدوم ذكره على مر التاريخ[2].

« وإثر جلوس محمد نادر شاه على العرش كانت البلاد في حالة يرثى لها من الفوضى والاضطراب، فعمل على إعادة الأمن والاستقرار إلى ربوع البلاد، وعين أخيه السيد محمد هاشم رئيساً للوزراء وأخيه الآخر الشاه محمود وزيراً للدفاع، واتبع سياسة التصالح مع الإنجليز، وكانت إعادة بناء الدولة تتطلب إرادة جبارة، فأعلن أن الحكم في البلاد سوف ينهض على مبادئ الشريعة الإسلامية وفقاً للمذهب الحنفى مع اقتباس الصالح من الأنظمة القضائية الحديثة، كما أعلن أن جميع أفراد الشعب سواء أمام القانون بصرف النظر عن الجنس أو العقيدة، وجعل حجاب المرأة وفقاً للشريعة الإسلامية، ولم يحاول أن يغير بالعنف شيئاً من تقاليد البلاد الدينية أو الاجتماعية، وسار بأفغانستان في طريق التقدم والتطور رغم القلاقل التى كانت تعترض سبيله من آن لآخر، وقد استن سنة حميدة تلزم كافة موظفى الدولة وبخاصة رجال القضاء أن يحلفوا اليمين القانونية

1 كليات قاري ص 222.

2 -كليات قاري ص 222.

على القرآن عند تسلمهم مهام مناصبهم وأن يؤدوا واجباتهم في إخلاص وأمانة، كما قرر تدعيم استقلال البلاد بإنشاء جيش وطني قوى، وأنشأ لذلك كلية حربية تسير على أحدث النظم العالمية، كما أعلن أن بلاده على استعداد لعقد معاهدات صداقة وحسن جوار مع جاراتها وغيرها من دول العالم، وعمل على النهوض بالتعليم ونشر الثقافة بين أبناء الشعب وأرسل البعثات إلى الخارج، ومهد السبيل لتكوين مجلس نيابى يختار الشعب أعضاءه، وأصدر لذلك دستور سنة 1930م، أما علاقاته مع روسيا وإنجلترا فكانت علاقات حذره لا تشوبها المودة، وفى عام 1352 هجرية قمرية الموافق 1933 ميلادية اغتيل نادر شاه فى حفل توزيع للجوائز فى قصر "دلكشا" ونودى بابنه محمد ظاهر شاه ملكاً على أفغانستان »[1].

وفى وفاة نادر شاه يقول قاري:

- لقد استشهد فجأة، ذلك الملك الرحيم العادل.
- لم يستشهد وحده ذلك الملك ذائع الصيت، بل لقد فصلت رؤوسنا جميعاً عن أجسادنا.
- لماذا ولدت هذه الفتنة وظهرت، فهل لا يعرف الزمان الخير من الشر؟
- لن نقول أن ذلك الصدر قد أصيب من البندقية، فلا ترى المرآة الكدر و الظلام.
- لقد أغلق الملك الفريد عينيه عن العالم، وقد اتخذ مقره فى الفردوس الأعلى.
- فالشهداء أحياء عند الله، فقد أخبرنا بذلك الكتاب الكريم[2].

7 - محمد ظاهر شاه (1352 - 1392هجرية قمرية الموافق 1933–1973 ميلادية)

وبعد مقتل نادر شاه كان مدبرو الجريمة يأملون أن يحدث بعد موته اضطراباً وقلاقل

1 - حسن محمد جوهر – و - عبد الحميد بيومي – أفغانستان (سلسلة شعوب العالم)، ص 83، 85 – دار المعارف – القاهرة – 1961م.

مير محمد صديق فرهنگ – أفغانستان در پنج قرن أخير – جلد سوم – ص 604، 606.

على أكبر فياض – مقالة بعنوان – أفغانستان در عصر سلسلة محمد زايى على الرابط الإلكتروني www.afghanistan history net.

- صفا إخوان – تاريخ شفاهي أفغانستان – ص 54 – 57.

2 - كليات قاري - ص 203

ينتهزها خصوم الملك لإضرام الثورة، ولكن السردار محمود شاه وزير الحربية وأصغر إخوة نادر شاه أبدى منتهى الحزم والسرعة في تلافي هذا الأمر، فلم تمض ساعة واحدة على مقتل الملك حتى كان قد استدعى الوزراء والقادة والزعماء إلى القصر، ونادى في الحال بظاهر شاه ابن نادر شاه الوحيد ملكاً على أفغانستان مكان أبيه، وكان آنذاك في التاسعة عشر من عمره، وبايعه جميع الزعماء والقادة [1].

ويتحدث قاري في أشعاره عن هذه الأحداث قائلاً:

- إن الوزير رمز الشجاعة الشاه محمود، الذى كان عهده عهد فتح ونصر.
- قد أسرع بمبايعة ابن الملك، واختار للمملكة ذلك "الملك" المبارك.
- وتبعه في ذلك كل من العسكرى والمدني، يتسابقون إلى البيعة واحداً تلو الآخر.
- وسلموا بصدق وإرادة، للملك الشاب تاج الأب وعرشه.
- ومن كل حدب وصوب أرسلت الممالك، مكاتيب البيعة للملك المظفر.
- وتوالى وصول التلغرافات من الملوك، فليست هناك حاجة لطائر حمل الرسائل "للحمام الزاجل".
- إن الجلوس المبارك للملك السعيد، قد أخرج القلوب من وهم الخطر[2].

وبعد أن تولى محمد ظاهر شاه الحكم، أعلن عمه محمد هاشم خان رئيساً للوزراء، واتسعت دائرة نفوذ محمد هاشم عن ذى قبل وصارت كل أمور الدولة في قبضته، وكان محمد هاشم رجلا شديد الحرص والبخل، عديم الرحمة، قاسي القلب، ظالماً كما كان ديكتاتوراً في إدارة أمور البلاد، وأول عمل قام به هو تصفية جميع المفكرين المناوئين لسيطرة الأسرة الحاكمة على زمام الأمور بشكل مطلق والذين كانوا يدعون إلى الحرية والديمقراطية، فعمل على إعدامهم أو سجنهم، كما أغلق الصحف التى تنادى بالحرية وجمد حرية المطبوعات بشكل عام، وفي المقابل زاد من نشر المطبوعات الموالية لسياسة الحكومة[3].

1 - حسن الأمين - دائرة المعارف الإسلامية الشيعية - ص 275.

2 - كليات قاري - ص 203.

3 - مير محمد صديق فرهنگ - أفغانستان در پنج قرن أخير - جلد سو - ص 633، 634.

- د. عفاف السيد زيدان - العلاقات الأفغانية الروسية - ص 155.
- سر محقق غلام حسين فرمند - دوملك الشعراى همروز گـار - ص 26.

وقد أعلن محمد ظاهر شاه أنه سوف ينهج نفس السياسة التى سار عليها والده، وأنه سوف يعمل على استكمال برنامجه الإصلاحي، فسعى لتدعيم الأمن فى أرجاء البلاد، فبدا برنامجاً إصلاحياً واسعاً يرمى إلى فض العزلة التى كانت تعيشها أفغانستان، وشجع على تصنيع الخامات المحلية والتوسع فى التجارة الخارجية، وقام بتدعيم سلطة الحكومة المركزية، وذلك لتأكيد السيطرة على القبائل فى جميع أنحاء البلاد، أما التعليم فقد وجه إليه عناية خاصة وأنشئت المدارس فى جميع أرجاء أفغانستان[1].

كما أسس البنك الدولى "بانك ملي" وبعده بنك أفغانستان "دافغانستان بانك"[2].

ويمدح قارى محمد ظاهر شاه ويشيد بإصلاحاته قائلاً:

الملك المعظم ظاهر شاه الذى لا مثيل له، الذى جاء عهده السعيد ربيعاً للعزة والكرامة.

صار الوطن فى عهده الميمون يشبه الجنة، وصارت ساحة الاحتفال صورة للسماء من عيده المبارك.

لقد ظهر من سياسته فى شأن الارتقاء بالأمة، أنه سوف يعمل على اقتفاء سياسة والده فى سائر الأحوال[3].

- **ويقول أيضاً:**
- الملك المبارك ظاهر شاه، إنه ليس له نظير أو شبيه.
- ذلك الذى من جبينه المبارك، أضاء نجم الإقبال.
- ذلك الذى ليس فى فكره الرشيد، أى ظن أو تخيل غير الرقى بالمملكة.
- ذلك الذى فى ظل حماه، أمنت أفغانستان من خوف الزوال[4].

ويقول أيضاً:

- الملك الذى شبعت عين الأمل من بذله وعطائه، وتفتح بفضله بستان الآمال.

---

1 - محمد عبد المنعم الشرقاوى "دكتور" وإبراهيم أمين الشوربي "دكتور" وآخرون - أفغانستان - ص49 - مطبوعات معهد الدراسات الإسلامية تقديم محمد طه النمر "بدون تاريخ طبع".

2 - دوملك الشعراي همروزگار - ص26.

3 - كليات قاري ص 254.

4 - كليات قاري ص 256.

الملك الذى زادت رواتب الجند والعاملين، من كرمه ولطفه الملكي.

إنه الملك المعظم سعيد الطالع ظاهر شاه، الذى عم بحماه الأمن على البلاد والعباد[1].

وفى عام 1355 هجرية قمرية الموافق 1936 ميلادية دخلت أفغانستان فى مفاوضات لعقد اتفاقية تجارية مع الاتحاد السوفيتي، وفى العام نفسه وقعت أول معاهدة صداقة بين أفغانستان وأمريكا كما أبرمت سنة 1356 هجرية قمرية الموافق 1937 ميلادية ميثاق سعد آباد مع تركيا والعراق وإيران[2]، ومع قيام الحرب العالمية الثانية (1358 – 1364 هجرية قمرية الموافق 1939 – 1945) ميلادية أعلنت أفغانستان الحياد بين المعسكرين المتصارعين، وطالبت إنجلترا وروسيا بإبعاد جميع رعايا المحور ممن لا يتمتعون بالحصانة الدبلوماسية، وكانت الحرب عقبة جديدة فى سبيل خطة التنمية، إذ توقف ورود الأجهزة والآلات كما عاد الفنيون إلى بلادهم[3].

وعن الحرب العالمية الثانية يقول قاري:

- ترغب أوربا من جشعها، أن تلتهم العالم مثل لقمة سائغة.
- أحياناً تحارب الآخرين وأحياناً يحارب بعضها البعض، ولا يهدأ جنونها.
- قنابل طائراتها وقت الانفجار، تمزق العالم إرباً إرباً.
- وصوت مدافعها بعيدة المدى، لا تحتمل الأذن سماعها.
- إذا ما جاءت مدرعاتها صوب الحدود، فما من حيلة سوى العض على الشفاه.
- من سُم غازات هذا الخصم من ذا الذى يرغب أن يشترى دماء الناس ويفتديها.

---

1 - كليات قاري ص 213.

- اتفقت هذه البلاد على ألا تتدخل أي دولة في الشئون الداخلية للدولة الأخرى، وأن تحترم كل دولة وحدة الدول الأخرى، وألا يهاجم أحد منها الآخر، وألا يساعدوا المناهضين لأي من أعضاء الحلف، وعلى الأعضاء أن يتشاوروا في الأمور الدولية التي تهمهم جميعاً- تاريخ أفغانستان قبيل الفتح الإسلامي ص 70.

2 - العلاقات الأفغانية الروسية – ص167.

- أفغانستان در پنج قرن أخير جلد سوم - ص 632، 643.

- مجموعة مقالات دومين سمينار أفغانستان – مقالة جناب آقاى رضا حسين ميرزا ظاهر – بعنوان أفغانستان به روايت تاريخ وإسناد - ص 663.

3 - إبراهيم ذكي خورشيد – وآخرون – دائرة المعارف الإسلامية المجلد الرابع – ص47.

– صفا إخوان – تاريخ شفاهي أفغانستان ص 64، 65.

- جاء مثل الفيل الهائج كبيراً ولكنه كالبعوضة، لا عمل له سوى مص الدماء
- ومن قوة طائراته، يريد أن يصل إلى القمر.
- وهو عالم بالبحر كالسمكة، وفى البر يتسلل كالماء فى كل اتجاه.
- ويسرع محموماً للسيطرة على كل الاتجاهات وهو لا يدرك، أن ذلك مدعاة لهلاكه وسقوطه.
- نعم فإن الحكماء يقولون، يأتى هلاك النمل من ظهور الأجنحة[1].

وفى سنة 1364 هجرية قمرية الموافق 1946 ميلادية انضمت أفغانستان لهيئة الأمم، وتولى الشاه محمود رئاسة الوزراء بدلاً من أخيه محمد هاشم الذى احتفظ بمنصبه منذ تولاه فى سنة 1929م[2].

وفى سنة 1371 هجرية قمرية الموافق 1953 ميلادية تولى السردار محمد داوود رئاسة الحكومة، وقامت حكومته بإعداد خطة خمسية للتنمية، شملت ميادين التعليم والمواصلات والطرق والمناجم والصناعة ؛ولهذا عقدت أفغانستان اتفاقيات وقروضاً مع بعض الدول مثل أمريكا والاتحاد السوفيتى لتمويل مشروعاتها[3].

وفى سنة 1381 هجرية قمرية الموافق 1963 ميلادية استقال محمد داود مقترحاً على الملك تعديل دستور البلاد ووضع قانون جديد للانتخابات، وفصل السلطات الثلاثة التنفيذية والتشريعية والقضائية، وذلك لاستكمال أشكال الديمقراطية السليمة فى أفغانستان[4].

وأخيراً نجح محمد داود بمساعدة اليسار فى الإطاحة بحكم محمد ظاهر شاه[5].

وفى سنة 1391 هجرية قمرية الموافق 1973 ميلادية أعلنت أفغانستان إلغاء نظام الحكم الملكى وقيام الجمهورية وانتخب محمد داود رئيساً لها[6]

---

1 - كليات قاري ص 271.

2 - صفا أخوان - تاريخ شفاهي أفغانستان - ص 67.

3 - أبو العينين محمد فهمي - أفغانستان بين الأمس واليوم - ص 80.

- تاريخ شفاهي أفغانستان - ص 79، 80.

- .L .Du pree, Afghanistan edition - p.123 - 128 - Princeton, 1980

4 - أفغانستان بين الأمس واليوم - ص 81.

5 - د. عفاف السيد زيدان - شاعر أفغانستان المعاصر خليل الله خليلي - ص 24 - القاهرة - 1402 هـ الموافق 1982م.

6 - تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها - ص 238.

- مجموعة مقالات دومين سمينار أفغانستان - مقالة جناب آقاي رضا حسين ميرزا ظاهري - ص 643.

علاقة أفغانستان بالعالم الخارجي فى عصر قاري:

أولاً: علاقة أفغانستان بروسيا:

لقد بدأت روسيا ترنو إلى فتح باب الصداقة مع أفغانستان منذ عهد الأمير شيرعلى خان، الذى كان أول من سعى لتوطيد العلاقات بين البلدين، حينما استقبل بعثة روسية فى سنه 1295هـ ق الموافق 1878م فى كابل وعقدت بينهما معاهدة تعهد الروس خلالها للأمير بعدة وعود لم يلتزموا بشيء منها كما ذكرنا سابقاً[1].

ورغم يقظة الأمير عبد الرحمن خان وحذره تجاه حيل الروس ومؤامراتهم وإعطائه أوامر صارمة لحرس الحدود بمراقبتهم ومنعهم من دخول الأراضى الأفغانية، إلا إن جواسيس الروس تمكنوا من التسلل لأفغانستان، وبث الشائعات وإحداث الاضطرابات والقلاقل، واستمرت مثل هذه المؤامرات والدسائس، كما أوجدت روسيا متاعب ومناوشات لا حصر لها داخل أفغانستان، ومات الأمير عبد الرحمن وقرعت طبول الملك لابنه الأمير حبيب الله خان[2].

وقد حرص الأمير حبيب الله ألا يقترب من الروس، هذا فضلاً عن الحيطة والحذر اللذين ورثهما عن أسلافه فى علاقته بهم، [3].

ولكن الروس قد اعتمدوا على سلاح آخر غير الحرب المسلحة، وهو سلاح الجاسوسية الذى يعد أكثر فتكاً وإثارة للاضطرابات والفتن على الحدود، ومن جملة الوسائل التى استفاد بها الروس فى شبكات الجاسوسية، المال والنساء والرشوة والتظاهر باعتناق الإسلام والتمسك بالعادات التى هى مورد اهتمام المجتمع، وفى النهاية تمكن الروس من التسلل إلى أفغانستان عن طريق المعاملات التجارية [4].

أما الأمير أمان الله خان فقد سعى لتوطيد العلاقات السياسية بين أفغانستان وروسيا

1 - د.عفاف السيد زيدان - العلاقات الأفغانية الروسية – ص 77 – 79.
- د.محمد أمان الصافي – أفغانستان النور والنار – ص 191 – الطبعة الأولى – 1417 هـ - 1996م.
- أفغانستان در پنج قرن أخير – جلد أول – ص349 – 350.
2 - د.محمد أمان الصافي - أفغانستان النور والنار – ص 197.
3 - د.عفاف السيد زيدان – العلاقات الأفغانية الروسية – ص 98.
4 - نفس المرجع – ص108 –113 .

وهيأ الفرصة لفتح باب النفوذ السياسى الروسى فى أفغانستان، وفى عام 1337 هجرية قمرية الموافق 1919 ميلادية وصلت بعثة روسية إلى كابل ومعها مذكرة يعيد فيها الروسى منطقة پـنجدة إلى أفغانستان مرة ثانية، وفيها أيضاً أبدى الروس استعدادهم لمساعدة الأفغان بالمال والسلاح والمهمات وذلك مقابل استعداد أفغانستان للتعاون والاشتراك مع روسيا ضد بريطانيا[1].

وفى عام 1339 هجرية قمرية الموافق 1921 ميلادية وقعت أول معاهدة صداقة بين كابل وموسكو، وبعد ذلك فى عام 1344 هجرية قمرية الموافق 1926 ميلادية وقعت معاهدة الحياة وعدم الاعتداء[2].

وظلت حكومة موسكو تعمل جاهدة لتقوية علاقاتها الدبلوماسية والسياسية مع حكومة كابل بكل طريقة ممكنة، ومنها تقديم خدمات لتدريب الطيارين الأفغان فى طشقند، وفى سنة 1345 هجرية قمرية الموافق 1927 ميلادية تمت مفاوضات بين البلدين لإقامة خط ملاحة جوى بين طشقند وكابل وعقد اتفاقية تجارية لتبادل المنتجات[3].

وبعد فرار أمان الله خان من أفغانستان وجلوس محمد نادر شاه صارت العلاقات أكثر قرباً، وقدم السفير الروسى أوراق اعتماده في بلاط كابل، وفى سنة 1350 هجرية قمرية الموافق 1932 ميلادية وقعت اتفاقية البريد والبرق بين كابل وموسكو، ولكى يظهر محمد نادر شاه براءته من الانحياز إلى لندن فتح باب المباحثات مع الروس، وكان يظن أنه بهذا الأسلوب يحقق التوازن والتعادل السياسى بين الروس والإنجليز، وقد استفاد الروس من هذه الفرصة لتطبيق مخططاتهم المقبلة[4].

وتعد فترة محمد ظاهر شاه التى امتدت إلى أربعين عاماً من أحسن الفرص التى

---

1 - مير محمد صديق فرهنگ - أفغانستان درپنج قرن أخير - جلد سوم ص 516، 517.
- أفغانستان النور والنار - ص 207.
2 - محمد عبد الفتاح إبراهيم - أفغانستان - ص36 - كتب سياسة "بدون تاريخ طبع".
3 - محمد عبد الفتاح إبراهيم أفغانستان - كتب سياسة - ص 37.
4 - د. عفاف السيد زيدان العلاقات الأفغانية الروسية - ص 155، 157.
- مير محمد صديق فرهنگ - أفغانستان درپنج قرن أخير - مجلد سوم - ص 609، 610.

استطاع فيها الروس أن ينهضوا بمخططاتهم الاستعمارية الواحد تلو الآخر، وفى سنة 1354 هجرية قمرية الموافق 1936 ميلادية وقعت معاهدة بين روسيا وأفغانستان باسم معاهدة الحياد وعدم والاعتداء، وفى سنة 1362 هجرية قمرى الموافق ة 1944 ميلادية قدمت بعثة روسية إلى أفغانستان تحت شعار مكافحة البعوض والآفات الزراعية ووقعت اتفاقاً مع الجهات المختصة[1].

وفى سنة 1368 هجرية قمرية 1950 ميلادية وقع بكابل اتفاق تجارى مدته أربع سنوات وبدأت وكالة تجارية سوفيتية عملها فى كابل.

وفى سنة 1373 هجرية قمرية الموافق 1955 ميلادية زار الزعيمان "بولجانين وخروشوف" أفغانستان وصدر بيان مشترك إثر انتهاء الزيارة جاء فيه أن المعاهدة الروسية الأفغانية الموقعة سنة 1931م والتى نصت على الحياد وعدم الاعتداء قد تقرر أن تمتد لعشر سنوات لزيادة التعاون السياسى والثقافى والاقتصادى بين البلدين[2].

1 - د. عفاف زيدان - العلاقات الأفغانية الروسية – ص 167، 168.

2 - محمد عبد الفتاح إبراهيم - أفغانستان– كتب سياسة – ص 40، 41.

ثانياً: العلاقات الأفغانية الباكستانية:

لم تكن العلاقات الأفغانية الباكستانية علاقات جيدة منذ أن حصلت باكستان على استقلالها عام 1365 هجرية قمرية الموافق 1947 ميلادية، وكان دائماً يشوبها التوتر والخلاف، وأهم أسباب هذا الخلاف هو منطقة البشتون، وبدأت مشكلة پشتونستان تحتل مكاناً كبيراً في العلاقات بين أفغانستان وباكستان، وتتلخص هذه المشكلة في أن قبائل الپشتون يحتلون من أفغانستان الجهات الشمالية الشرقية وحول ممر خيبر، وترجع أهمية مناطق البشتون إلى أنها المنفذ الوحيد لأفغانستان إلى البحر، كما أنها مناطق غنية بمناجم الذهب والحديد والرصاص والكروم والكبريت والفحم والبترول، وقد حاولت أفغانستان أن تستغل روح القومية في الپاشتون فعملت على إيقاظ هذه الروح بينهم وقامت بحملة قومية ترمى إلى تكوين دولة خاصة بهم تقطع أراضيها من باكستان[1].

ووجدت روسيا في هذا الأمر فرصة مواتية لها في توتر العلاقات بين أفغانستان وباكستان وحتى تضعف كل منهما الأخرى، وكذلك للدخول إلى أفغانستان عن طريق محمد داود الذى أغرقوه بالدعم المالى والعسكرى ليكون رجلهم الأول في أفغانستان[2].

وفي سنة 1367 هجرية قمرية الموافق 1949 ميلادية ساءت العلاقات بين البلدين، وأغلقت باكستان طريق "كراتشي" أمام تحويل البضائع الأفغانية؛ وذلك للضغط على أفغانستان وفي عامى 1960، 1961م تم تصعيد الخلافات بين البلدين، ونشب الصراع والاشتباك وتم قطع العلاقات السياسية، ولكن تم حل الخلاف بواسطة إيران وعزل داود خان عام 1383 هجرية قمرى الموافق ة 1963 ميلادية واستئناف العلاقات السياسية بين البلدين[3].

---

1 - د. عفاف السيد زيدان - شاعر أفغانستان المعاصر خليل الله خليلي - ص 23.
- سيد إبراهيم خاتمي خسروشاهي - ويـژه أفغانستان پس از طالبان - ص12 - چاپ أول 1383 هـ ش - تهران.

2 - العلاقات الأفغانية الروسية - ص38 - بتصرف.

3 - د.أحمد محمد نادي - أفغانستان في التاريخ الحديث المعاصر - ص 221 - القاهرة - 2005م.
سيد إبراهيم خاتمي خسروشاهي - ويـژه أفغانستان پس از طالبان ص 18.

ثالثاً: علاقة أفغانستان بمصر والعالم العربى:

إن العلاقات بين أفغانستان ومصر ذات جذور عميقة، تربط بينهما رابطة الدين الإسلامى والمذهب السنى الحنفي، ولما كانت حياة كل من البلدين تعتمد أساساً على الزراعة، فلقد تشابهت عادات وتقاليد الشعبين، كما تشابهت الظروف المعيشية فى كل منهما[1].

كما أن البلدين قد وحد بينهما الكفاح المشترك فى سبيل الحرية والاستقلال، فقد كافح كلاهما من أجل الخلاص من قبضة المستعمر البريطاني، وكانت حرب التحرير الأفغانية سنة 1337 هجرية قمرية الموافق 1919 ميلادية قدوة ونبراسا للشعوب الآسيوية، كما كانت ثورة 1919 م المصرية قدوة للحركات العربية، وتتفق أيضاً السياسة الخارجية لكل من الدولتين، فكلاهما يؤمن بالحياد الإيجابى وعدم الانحياز والتعايش السلمى وإتباع سياسة خارجية مستقلة عن التكتلات الدولية مبنية على عدم الانحياز فى سبيل استتاب السلام العالمي[2].

وبذلك أصبحت أفغانستان مصدر لإشعاعات الحرية فى آسيا، كما أصبحت مصر مركز الإشعاع لهذه الحركات فى أفريقيا والوطن العربي؛ لهذا زادت كل هذه العوامل من ارتباط الشعبين[3].

وعلى مر العصور كانت مصر والأزهر الشريف قبلة المفكرين الأفغان، يلتقون بإخوانهم من أبناء مصر، فيعلمونهم ويتعلمون منهم، وعلى رأس هؤلاء جميعاً جمال الدين الأفغانى الذى يعد من أقوى الروابط القديمة بين أفغانستان والعالم العربى، وهو بحق رائد الحرية واليقظة فى الشرق، وهو باعث نهضة الشرق الحديثة، وقد تتلمذ عليه أحمد عرابى قائد الثورة العرابية والشيخ محمد عبده وسعد زغلول وغيرهم[4].

وعلى مر العصور كان هناك صلات متبادلة بين ملوك وحكام أفغانستان ومصر سواء

---

1 - أفغانستان – مكتب الصحافة والاستعلامات بالسفارة الملكية الأفغانية – ص 6 – مقدمة بقلم صلاح الدين السلجوقى – القاهرة – 1380 هـ - 1960م.

2 - محمد هنائي عبد الهادى – أفغانستان الحديثة – ص 43 – كتب سياسة (بدون تاريخ طبع).

3 - أبو العينين محمد فهمى - أفغانستان بين الأمس واليوم – ص 427.

4 - د.محمد أمان الصافى - أفغانستان النور والنار – ص 149.

- محمد هنائي عبد الفتاح – أفغانستان الحديثة - ص 43.

عن طريق الرسائل والبرقيات أو عن طريق الزيارات الرسمية.

فعندما زار الأمير أمان الله خان مصر سنة 1364 هجرية قمرية الموافق 1928 ميلادية أرسل إلى الملك فؤاد برقية يقول فيها:

"بمناسبة مروري من القطر المصري أظهر مزيد غبطتي لبشرى تمتع جلالتكم بالصحة التامة راجياً من الله دوامها على جلالتكم وأغتنم هذه الفرصة لأؤكد عظيم احترامي لما بيننا من روابط الإخاء النامي"[1].

كما أن هناك أيضاً برقيات متبادلة بين محمد نادر شاه والملك فؤاد الأول، بمناسبة عيد جلوس الملك فؤاد على عرش مصر، فكتب نادر شاه إلى الملك فؤاد يقول:

" حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول ملك مصر: إنني بمناسبة عيد جلوس جلالتكم أقدم إليكم تهانئ القلبية مع أخلص تمنيات السعادة لجلالتكم والرفاهية لشعب مصر الكريم.

محمد نادر شاه

كابول 9 **أكتوبر** 1932م

فأرسل إليه الملك فؤاد قائلاً:

"جلالة الملك محمد نادر غازي كابل".

أشكر جلالتكم جزيل الشكر على رقيق تمنياتكم وتهانيكم وأبعث إليكم بخالص تمنياتي، تمنيات الهناء لشخصكم والرفاهية لشعبكم النبيل.

فؤاد الأول

سراي رأس التين في 11 **أكتوبر** 1932م"

---

1 - وثيقة رقم 94 – ملف2 - محفظة رقم 105 – وحدة الحفظ 131 – ديوان جلالة الملك – دار الكتب والوثائق القومية المصرية.

وفى سنة 1373 م هجرية قمرية الموافق 1955 ميلادية زار الرئيس جمال عبد الناصر أفغانستان فى طريق عودته من باندونج وفى سنة 1378 هجرية قمرية الموافق 1960 ميلادية زار محمد ظاهر شاه مصر ولقي كل منهما أروع الترحيب من شعبى البلدين، وتعددت زيارات المسئولين بين البلدين من وزراء ورجال تعليم ورجال إدارة وغير ذلك[1].

وكانت الصلات الوثيقة المتينة بين الشعبين الشقيقين سبباً فى الثورة العامة التى اجتاحت أفغانستان خلال العدوان الثلاثى على مصر سنة 1374 هجرية قمرية الموافق 1956 ميلادية يومها ثارت طوائف الشعب الأفغانى عن بكرة أبيها وتساوى فى ذلك المسئولون وعامة الشعب، وتبع ذلك إعلان الجهاد وهو ما لم يحدث له نظير فى بلد إسلامى آخر[2].

وقد تطور التمثيل الدبلوماسى بين البلدين، فرفع من درجة مفوضية إلى درجة سفارة، وبعد قيام الثورة المصرية، مثل أفغانستان فى مصر أحد رجالها الأجلاء وهو السيد صلاح الدين السلجوقي، وانتخب بعد ذلك عضوا فى مجمع اللغة العربية وعضوا فى مجمع البحوث الإسلامية، تقديراً لخدماته الجليلة للغة العربية[3].

المعاهدات والاتفاقيات بين البلدين:

معاهدة صداقة وعدم اعتداء، وقد عقدت بعد الحرب العالمية الأولى فى سنة 1347 هجرية قمرية الموافق 1929 ميلادية.

اتفاقية ثقافية وقعت سنة 1373 هـ ق الموافق 1955 م وتسمح بتبادل الخبرات والمنح الدراسية والتعاون العلمى الوثيق فى جميع المجالات.

1 - ابو العنين محمد فهمى - أفغانستان بين الأمس واليوم – ص 43

– أفغانستان – مكتب الصحافة والاستعلامات بالسفارة الملكية الأفغانية – ص8.

2 - أفغانستان - مكتب الصحافة والاستعلامات بالسفارة الملكية الأفغانية – ص 42.

3 - نفس المرجع – ص 32، 33.

- أفغانستان بين الأمس واليوم – ص 428.

اتفاقية النقل الجوى، وقد وقعت سنة 1378 هـ ق الموافق 1960 م.

اتفاقية التجارة والدفع، وقد وقعت سنة 1378 هـ ق الموافق 1960م[1].

أفغانستان والقضايا العربية المعاصرة:

أولاً: قضية فلسطين:

وقفت أفغانستان حكومة وشعباً مواقف مشرفة إلى جانب القضية الفلسطينية، وكانت شديدة التحمس لكل ما يتعلق بهذه القضية، وتقدم الألوف من الأفغان للتطوع إلى جانب المجاهدين ضد الاحتلال الصهيونى الغاشم.

وكانت أفغانستان هى الدولة الوحيدة غير العربية التى اعترفت بحكومة عموم فلسطين سنة 1367 هـ ق الموافق 1949م. كما أعلن رئيس وزرائها فى مؤتمر رؤساء الدول غير المنحازة سنة 1382 هـ ق الموافق 1964 م اعتراف بلاده بمنظمة التحرير الفلسطينية[2].

ثانياً: قضية الجزائر:

وكما أيدت أفغانستان قضية فلسطين وقفت إلى جانب الشعب الجزائرى إبان حرب التحرير، كما تأسست فى كابل لجنة وطنية لتقديم المساعدات المستمرة للمجاهدين الجزائريين[3].

ووقفت أفغانستان كذلك إلى جانب حركات التحرر فى الوطن العربى كله مثل تونس والمغرب وغير ذلك.

وكل ذلك كان نتاج الصلات الوثيقة التى تربط الشعب الأفغانى بالشعوب العربية منذ أقدم العصور[4].

---

1 - نفس المرجع السابق – ص 429

– أفغانستان مكتب الصحافة والاستعلامات – ص 35، 36.

2 - أبو العينين محمد فهمي أفغانستان بين الأمس واليوم – ص425

– أفغانستان – مطبوعات معهد الدراسات الإسلامية – ص 109.

3 - أفغانستان مكتب الصحافة والاستعلامات بالسفارة الملكية الأفغانية – ص 38.

4 - أفغانستان بين الأمس واليوم – ص 426.

الفصـــل الثانـــي

الحياة الاجتماعية والاقتصادية

أولاً: الحياة الاجتماعية:

رأينا في الفصل الأول أن الحياة السياسية في عصر قارى عبد الله خان كانت غير مستقرة، وأن هذا العصر قد شهد العديد من الفتن والاضطرابات والثورات الداخلية، وكذلك الحروب الخارجية بين أفغانستان وإنجلترا، ومما لا شك فيه أن النواحي الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في أي مجتمع من المجتمعات تتقدم وتنهار تبعاً لاستقرار الحالة السياسية أو عدم استقرارها، وإذا ما شئنا التحدث عن الحالة الاجتماعية فعلينا أولاً أن نتناول بالحديث طبقات المجتمع الأفغاني وعوامل تكوينه في ذلك الحين.

1 - طبقات المجتمع:

إن الدارس للمجتمع الأفغاني يلحظ بعض الفوارق الاجتماعية بين فئات المجتمع، نتيجة لمجموعة من العوامل مثل الثراء والقوة والمركز الديني والثقافي للفرد أو العائلة، ثم تاريخ الجهاد في سبيل الوطن، ولكن هذه العوامل لا تصنع حدوداً فاصلة بين هذه المجموعات وبعضها البعض، بل قد تسمح بالحركة بين هذه الجماعات، والمجتمع الأفغاني يمكن تقسيمه إلى الطبقات الآتية[1]:

---

1 - مير غلام محمد غبار – أفغانستان در مسير تاريخ – ص12.

- أبو العنين فهمي محمد – أفغانستان بين الأمس واليوم ص145.

أ) طبقة الأعيان:

وقد شكلت هذه الطبقة أعلى قمة الهرم السكانى، وعلى رأسها العائلة المالكة ورجال البلاط، وكبارة المسئولين فى الحكومة وكبار الملاك والتجار، وتلك الفئات تمثل النخبة المركزية من طبقة الأعيان بالمدن، ولها تأثير كبير فى الحياة الاقتصادية والسياسية فى المملكة[1].

أما فى القرية فإن العوامل تختلف بعض الشيء، فتشتهر بعض العائلات لأسباب مختلفة قد تكون الثراء والجاه أو سمعتهم الحربية، ومن بين أفرادها يكون "الخان" أو الزعيم ويمكن القول إن جماعة الخانات فى أفغانستان تكون جماعة خاصة من الأعيان ذوى الجاه والنفوذ، ومن بين هؤلاء نجد مجموعة أفراد أنعمت عليهم الدولة بلقب الزعامة أو بمساحة من الأرض مقابل ما أدوه للوطن من خدمات فى أوقات السلم أو الحرب، وعادة فإن جماعات المجتمع القروى والقبلي تتوارث مكانتها[2].

ب) طبقة رجال الدين:

يلعب الدين دوراً بارزاً فى حياة الشعب الأفغانى، ويتمتع رجال الدين بمكانة مرموقة بين الأهالي، والكبار منهم يوضعون فى صف الوزراء وكبار المسئولين فى الدولة من حيث تمتعهم بالنفوذ والسلطة والثراء، ويقدر تعداد رجال الدين فى أفغانستان بحوالى أكثر من مائة ألف شخص، منهم علماء الدين والقضاة وأئمة الجمعة فى المدن الرئيسية[3].

ولهذه الطبقة نفوذ قوى وسيطرة على أرواح وقلوب الشعب الأفغانى منذ القدم، وقد قوى نفوذ أفرادها فى عصر شاعرنا ووصل إلى حد أنهم كانوا يوجهون السياسة الداخلية للدولة، وبين هاتين الطبقتين "الحكام ورجال الدين" الذين يمتلكون زمام القوة والنفوذ والسيطرة على الشعب كان هناك أحياناً تنافس يبرز من آن لآخر، ولكن النصر فى معظم الأحيان كان لصالح رجال الدين والروحانيين؛ نظراً لأن لنفوذهم جذوراً عميقة منذ آلاف السنين فى قلوب الناس وأرواحهم، وخاصة عامة الشعب، فلديهم عصبية مذهبية وعقائد

1 - مير غلام محمد غبار – أفغانستان در مسير تاريخ ص13.

2 - أبو العنين حمد فهمي – أفغانستان بين الأمس واليوم – ص 147.

3 - مونت استوارت الفنستون – أفغانان – ترجمة محمد آصف فكرت - ص212 – چاپ أول –1376هـ ش.

- مير غلام محمد غبار – أفغانستان در مسير تاريخ - ص13.

راسخة وميول روحية تجاه هذه الطبقة[1].

وكما رأينا في الفصل السابق كيف استطاع رجال الدين إثارة الشعب ضد أمان الله خان حينما استخف الملك بهم، وسخر من ملابسهم وهيئتهم وأطلق عليهم النكات، فما كان منهم إلا أن أخذوا يعرضون بسمعته بين القبائل وأثاروا الناس ضده، حتى تنازل عن العرش، وحينما تولى نادر شاه حكم البلاد، كان أول عمل قام به هو الاجتماع برجال الدين وإعلان أن الحكم في البلاد سوف يكون على مبادئ الشريعة الإسلامية[2].

جـ) الطبقة الوسطى:

وتتكون هذه الطبقة في المدينة من موظفي الحكومة والصناع والمدرسين وقد بدأت هذه الطبقة تنمو باتساع أعمال الحكومة، وإنشاء الصناعات في المدن المختلفة، أما في القرية فتتكون هذه الطبقة من عمال المحال التجارية والجزارين وصغار الملاك ومستأجري الأراضي والنجارين وعمال البناء، وهؤلاء هم أهم ركائز الطبقة الوسطى التالية للأرستقراطيين والروحانيين في الأهمية الاجتماعية والاقتصادية[3].

د) أما الطبقة الرابعة في المجتمع الأفغاني:

فهي طائفة ينظر إليها المجتمع نظرة خاصة، وهذه الطائفة تتكون من الخدم من أبناء الهزارة والموسيقيين وعمال النسيج والحدادين والحلاقين وعمال الزراعة وحفر الترع وجامعي القمامة[4].

2 - الأصول العرقية للمجتمع الأفغاني:

يستطيع الدارس أن يدرك أن نسيج الشعب الأفغاني يضم العديد من العناصر

1 - محمد آصف فكرت – أفغانان – ص 212، 213.

2 - مير محمد صديق فرهنگ – أفغانستان در پنج قرن أخير - جلد سوم - ص 604.

- نجيب مايل هروي – تاريخ وزبان در أفغانستان - ص 48.

3 - مير غلام محمد غبار – أفغانستان در مسير تاريخ - ص 13.

- أبو العنين محمد فهمي – أفغانستان بين الأمس واليوم - ص 47، 48.

4 - مير غلام محمد غبار – أفغانستان در مسير تاريخ - ص13.

- أبو العنين محمد فهمي – أفغانستان بين الأمس واليوم - ص 148.

والأجناس، من مغول وترك وآريين، وكلها تقريباً من المسلمين، وتتشكل هذه العناصر في قبائل متعددة يعمل معظمها بالزراعة وتربية الأغنام، ومن أهم هذه القبائل:

أ - البشتون:

وهم يشكلون حوالى 40% من سكان أفغانستان، حسب إحصائية سنة 1383 هجرية قمرية الموافق 1963 ميلادية، وينتمون إلى الأصل الهندوأوربي، ويسكنون الولايات الشرقية والجنوبية الشرقية من أفغانستان وفى سيستان وهرات.

ب - التاجيك:

ويشكل التاجيك 24% من سكان أفغانستان، وهم نتيجة الاختلاط بين العرب والفرس ويعيشون فى مناطق كابل وبدخشان وهرات وسجستان[1].

جـ - الهزارة:

ويشكلون 10% من السكان وينتمون إلى الجنس المغولى وأغلب الطبقة العاملة فى أفغانستان تنتمى إليهم، وهم يتبعون المذهب الشيعى، والهزارة مثل النورستانيين لم يخضعوا لسلطة الدولة الأفغانية إلا فى عهد الأمير عبد الرحمن خان فى نهاية القرن التاسع عشر[2].

وهناك أيضاً الأوزبك والتركمان، ويقطن الأوزبك سهول نهر جيحون، ويشتغلون بالزراعة وتربية الحيوانات، أما التركمان ففى الضفة الجنوبية لجيحون، وهم جميعاً من الجنس التركي، ويوجد أيضاً القرغيز والقوقاز، وهم يمتازون بسماتهم المغولية البحتة،

---

1 - محمد علي – عادات الشعب الأفغاني وتقاليده – ترجمة – محمد نور الدين عبد المنعم "دكتور" – ص 9 – القاهرة 1981م.
- أفغانستان بلاد الإسلام – إصدار – لجنة دعم شباب أفغانستان – ص25 – بلجيكا 1981م.
- سيد إبراهيم خاتمي – ويـژه أفغانستان پس از طالبان – ص 11 - چاب أول - 1383 هـ ش تهران.

2 - حسن محمد جوهر وعبد الحميد بيومي - أفغانستان - ص 17 - القاهرة 1961م.
- محمود شاكر – أفغانستان – ص 66 – القاهرة 1980م.

وهم يحترفون الرعي، وموطنهم هضبة پامير وما حولها حيث المراعى الجيدة[1].

ويعيش 15% من الشعب الأفغانى فقط فى المدن، أما الباقى فهم مزارعون مقيمون أو مزارعون نصف رحل، والنظام القبلى هو التكوين السائد فى أفغانستان، ولا تزال نسبة كبيرة من السكان تحافظ على هذا النظام بعاداته وتقاليده، ويبلغ عدد سكان أفغانستان فى عصر شاعرنا حوالى خمسة عشر مليون نسمة، يتكلم أغلبهم اللغة الدرية فضلاً عن لغة البشتو التى جعلها دستور 1964 م لغة رسمية مع اللغة الفارسية الدرية[2].

3 - نظام الأسرة الأفغانية :

والعائلة فى أفغانستان هى الوحدة الأساسية فى البناء الاجتماعي، فتتألف من ثلاثة أجيال هى الأب وزوجته ثم الأبناء ثم الأحفاد، وتعيش الأسرة الأفغانية بكاملها أى الأب والابن والأحفاد سواء فى المدينة أو فى القرية فى منزل واحد أو عدة منازل يحيط بها سور واحد، والعائلة الأفغانية تحبذ نظام الزواج الداخلى بين أفراد الأسرة أو من بين أقربائها، وتعتبر العائلة الأفغانية وحدة متكاملة سواء كان ذلك اجتماعياً أو اقتصادياً، فيقوم أكبر أفراد العائلة سناً بالإشراف على كل شئونها، ويعتبر بذلك مسئولاً عن كل فرد من أفرادها، ولذلك يحرص الأفغانى على ألا يأتى بسلوك مشين ؛ لأن ذلك سوف يصم العائلة كلها، كما تتمتع أكبر النسوة فى العائلة بمركز القيادة بين نساء العائلة وهى المسئولة عن خزين البيت وتشرف على كل ما يتم بالمنزل يومياً، وهى الحاكم المطلق فى المنزل، تخضع لها زوجات أبنائها وأحفادها[3].

---

1 - مرتضى أسعدى – وهوشنگ علم – أفغانستان مجموعة مقالات – ص 53.
- أفغانستان بلاد الإسلام – ص 26 – إصدار لجنة دعم شباب أفغانستان بلجيكا.

2 - محمد السعيد عبد المؤمن "دكتور" – أفغانستان – ص 48 – القاهرة – 1997 م
– محمود شاكر – أفغانستان ص 75.
- 14 – imperial gazetteer of Afghanistan – by the British General staff – Calcutta, 1968.

3 - أبو العنين محمد فهمي – أفغانستان بين الأمس واليوم – ص 151، 152.
- 35 – Farah and south western Afghanistan Graz, 1973.
- محمد نور الدين عبد المنعم – عادات الشعب الأفغاني وتقاليده - ص 26.

4 - المرأة ومكانتها فى المجتمع:

ظلت المرأة فى المدن الأفغانية تضع الحجاب حتى أواخر سنة 1379 هجرية قمرية الموافق 1959 ميلادية، حينما شجعت الحكومة النساء على السفور والمشاركة فى الحياة العامة إلا إذا عارض ذلك رب الأسرة، وكانت المرأة تلبس "شادرى" أى البردة، وهو رداء يغطى جميع أجزاء الجسم بما في ذلك اليدين ويسمح بالنظر من خلال شبكة أمام العينين، أما فى الريف وبين أهل القبائل فتكتفى المرأة بارتداء خمار من نسيج رقيق[1].

وقد حاول الملك أمان الله خان تحرير المرأة وتحسين وضعها وتخليصها من "الشادرى" فثار عليه رجال الدين، وزعماء القبائل واعتبروا هذه الخطوة رجساً من عمل الشيطان، وعندما أراد الإنجليز استغلال تذمر الأفغان من إصلاحات الملك لإسقاطه، ألقوا من الطائرات فوق مختلف مناطق القبائل المحافظة، آلاف الصور الفوتوغرافية التى تمثل الملك وهو يرتدى الملابس الإفرنجية وقرينته وهى سافرة الوجه وفى ملابس فاخرة تظهر مفاتنها، فاعتبرت القبائل هذا العمل مخالفة صارخة للشريعة الإسلامية والتقاليد الموروثة فثارت على الملك واضطرته للتنازل عن العرش[2].

ثم أخذ الحكام بعد ذلك يعالجون هذه المسائل الاجتماعية الشائكة الحساسة بكثير من التؤدة والهوادة ؛ نظراً لمعرفتهم بأخلاق الشعب وتقاليده، ومع انتشار التعليم بين الجنسين وتطور الوعى القومى تمكنت المرأة من التمتع بالعديد من حقوقها[3].

وتلقى الزوجة الأفغانية احتراماً كبيراً من زوجها وعائلتها، وهى فى الوقت نفسه تخلص لزوجها كل الإخلاص، كما أنها تطيعه ولا تقدم على أمرٍ دون استشارته، وتتصف المرأة الأفغانية بالصبر والشجاعة، وهى ربة بيت ممتازة تسهر على تربية أطفالها تربية سليمة، كما تشارك الرجل حياته فى السراء والضراء، وتشاركه كفاحه فى الرعى

---

1 - محمد آصف فكرت – أفغانان – ص184.

- أبو العنين محمد فهمي – أفغانستان بين الأمس واليوم – ص 152.

2 - حسن محمد جوهر – أفغانستان – ص 35.

نجيب مايل هروي – تاريخ وزبان در أفغانستان – ص45.

3 - حسن محمد جوهر – أفغانستان – ص36.

والحقل وسائر شئون الحياة، كما احتلت المرأة الأفغانية دوراً بارزاً فى الحياة العامة وعلى الأخص فى أيام الحروب عندما كانت تقوم بأعمال التمريض، وكذلك الحرب نفسها، ويزخر تاريخ أفغانستان بأسماء الكثيرات منهن مثل " ملالى – الفتاة المجاهدة " التى يذكر أن دورها كان بارزاً فى حرب أفغانستان مع انجلترا سنة 1300 هـ. ق الموافق 1880م فى معركة ميوند، فقد أنشدت أشعاراً تخاطب فيها المناضلين وتحثهم على الجهاد ضد العدو، وكانت هذه الأشعار بمثابة الجذوة الأولى للشرارة التى اندلعت فأحرقت العدو، ورغم أن تعليم البنات لم يكن معروفاً فى هذا العصر فإن الكثيرات منهن تلقين علومهن بمساعدة الأب أو الإخوة أو معلم خاص، وبرزت أسماء عديدة منهن فى ميدان الشعر والأدب[1].

كما اهتم الشعراء بالمرأة الأفغانية، فنجد شاعرنا قارى عبد الله خان ينشد الشعر للنساء فى أكثر من موضع وأكثر من مناسبة، فنراه يتحدث عن المرأة كفتاة صغيرة قائلاً:

إن البنت حبيبة عزيزة لقلب العم، وهى فى نظر الأب فلذة الكبد.

وقد جاءت البنت من أحب الناس وأجملهم، وهى فى قلب الخال عزيزة وحبيبة فى كل وقت وفى كل زمان[2].

وفى التهنئة بمولد إحداهن ينشد قائلاً:

- ابنة جميلة كأنها القمر من حسن طلعتها. أصبح المهد مزيناً بوجودها.
- وأقيمت الأفراح وعم الطرب من حسن مقدمها، وملأ السرور قلوب الأحباب.
- ومن روعة حسنها وجمال طلعتها، غمر الضياء أعيننا[3].

---

1 - مكتب الصحافة والاستعلام بالسفارة الملكية الأفغانية – أفغانستان – ص 86، 87 – القاهرة 1960م.
- نور الدين عبد المنعم (دكتور) – عادات الشعب الأفغاني وتقاليده – ص27.
- حسن محمد جوهر – أفغانستان – ص 35، 36
2 - (كليات قارى ص 356).
3 - (كليات قارى ص 340).

ويتحدث فى موضع آخر عن المرأة كأم فيرثى وفاة إحداهن قائلاً:

بى بى جان التى هى عفيفة الزمان، تلك التي لم يكن لها مثيل بين النساء.

تلك التي كانت من الذكاء والفطنة، زينة النساء وسيدتهن.

وكانت من الشرف والحسب، تعطى البراهين على نجابة الأصل وطهارة النسب.

عندما صعدت من هذه الدنيا التى تشبه الشرك الواهن، توجه طائر روحها إلى روضات الجنان[1].

والزوجة الأفغانية لا يدور بخلدها الانفصال عن زوجها مطلقاً وتعتبر كلمة الطلاق أكبر إهانة للأفغاني، وهى عندهم عادة مذمومة، وبعض القبائل مثل الهزارة تحرم الطلاق[2].

5 - أخلاق وعادات الشعب الأفغانى:

أولاً: أهم سمات الشخصية الأفغانية:

أ - الشجاعة:

إن من أشهر صفات الأفغان بصفة عامة، الشجاعة والجلد والقدرة على الصمود والتحمل، وقد ينشا الطفل منذ صغره وقد رسخت في نفسه قصص البطولة، وأسماء أجداده من الشجعان الذين خاضوا غمار الحروب دفاعاً عن وطنهم وحريتهم[3].

وعن شجاعة الأفغان يقول قارى:

- إن جميع أرض وطننا بجباله الشاهقة، هى أرض لأقوام صناديد الشجعان[4].

ولقد اشتهر عنهم فى الحروب أنهم لا يهابون الموت فى المعركة، فلقد كانوا يؤمنون

1 - (كليات قارى ص 372)

2 - محمد نور الدين عبد المنعم (دكتور) - عادات الشعب الأفغاني وتقاليده - ص27.

- أبو العنين حمد فهمي - أفغانستان بين الأمس واليوم - ص153.

3 - سيد محمد خير خواه - أفغانستان ضعفها وقوتها - ص 41 "بدون تاريخ طبع"

- محمد آصف فكرت - أفغانان - ص 239.

- محمد السعيد عبد المؤمن - أفغانستان - ص 2 - القاهرة - 1997.

4 -كليات قارى ص 336)

بأن الرجال ولدوا ليموتوا دفاعاً عن أرضهم[1].

وفى ذلك يقول قارى:

- صارت أرض المعركة باللون الأحمر من دمائنا نحن الشهداء، فنحن شجعان الدم الأحمر[2].

وإذا مات الأفغانى فى ساحة القتال وقد ترك خلفه ابناً يحمل سيفه، فإن النساء لن تبكيه، كما أن تقاليدهم لا تسمح بترك القتلى والجرحى فى ساحة القتال حتى لا يمثل بهم، فيقوم المحاربون بسحب ضحاياهم أثناء المعركة غير خائفين ولا وجلين، والأفغانى لا يترك أرض المعركة إلا فى حالتين إما أن يعود ظافراً أو يموت ميتة الأبطال[3].

ب) حب الوطن:

من أبرز صفات الأفغانى عشقه الشديد للوطن وحبه العميق للحرية والاستقلال، فإنه قد يتحمل فى صبر وجلد غوائل الفقر والعوز والحرمان وآلام المرض، ولكن لا يمكنه أن يتحمل حكم الأجنبى لبلاده، ولا شيء فى الدنيا يمكن أن يغريه بالتنازل عن حبه للاستقلال الذى هو جزء أصيل من كيانه ووجوده، وأن الأجانب الذين جهلوا وجود هذه الروح الوطنية العميقة وحاولوا النيل من استقلال بلاده قد دفعوا ثمن ذلك الجهل غالياً[4].

وقد رأينا فى الفصل السابق كيف منيت الجيوش البريطانية بهزائم ساحقة على يد الأفغان فى حروبها ضد أفغانستان، رغم ما أحرزته من انتصارات عديدة فى كثير من أقطار آسيا وأفريقيا بسبب تفوقها فى عتاد الحرب، فالأفغانى لا يتردد فى التضحية بروحه فى سبيل حريته واستقلال بلاده[5]

1 - أبو العنين حمد فهمي – أفغانستان بين الأمس واليوم – ص 161.

2 - (كليات قارى ص 336)

3 - أبو العنين محمد فهمي – أفغانستان بين الأمس واليوم – ص161.

4 - سيد محمد خير خواه – أفغانستان ضعفها وقوتها – ص67.

- محمد آصف فكرت – أفغانان ص 240 – حسن محمد جوهر – أفغانستان – ص21.

5 - أحمد محمود الساداتي – تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها – ص239 – القاهرة – 1987م.

وفى ذلك يقول قارى :

جدير بنا أن نحافظ على أرض الوطن بأرواحنا، ولا نبقى على أحد.

لأن تراب الوطن الطاهر هو عز الأفغاني وجاهه؛ لأن النصر والظفر هو عمل الأفغان.

- وقد هزمنا دائماً أعداء الدين، ثم عدلنا بقتلهم[1].

- والأفغاني يحب بلاده بكل ما فيها من جبال ووهاد.

فيتغنى قارى بوصف جمال بلاده قائلاً :

يا أفغانستان أيها الوطن طيب السيرة، جوك جميل وصورتك موضعها القلب.

حدودك تمنح الروح للقلوب، وترابك الدرى سر ألفتنا.

من جبالك يمتد الطريق إلى الجنة، ونهرك العذب نهر الجنة

إن فضاء كابل مملوء بورودك القادمة من الجنة، والدنيا سكرى ومتيمة بك مثل بلابلك

كل مرتفع ومنخفض فى ساحاتك الواسعة، يضفى عليك جمالاً آسراً للقلب كحسن الحسان.

أنت بلا جدال سماء الذكرى لدى أهل النظر، لسمو وارتفاع جبالك.[2]

والأفغانى يحب وطنه حبًا شديدا ويراه جنة الله فى أرضه ويرى العزة والسعادة فى حب هذا الوطن فيقول قارى :

- يسمون أرض الأجداد الطاهرة المتنزه، وهى الجنة بعينها لدى أهل النظر.

- قسماً بالله إن الوطن هو روضة الفضاء المبهجة، ومن هذا الفضاء الآسر للقلوب يسر خاطرى.

- الأمان فى هذه الروضة أن يكون الإنسان مرفوع الرأس حرًا كالسرو الباسق، ويكون الموت لأوراق الخريف المتساقطة.

---

1 - (كليات قارى ص 336)

2 -كليات قارى ص 311)

- فليسعد كل من يكون هوى الوطن في رأسه، فكل من حباه الله حب الوطن فقد أعطاه العظمة والعزة .

والأفغانى وطنى متعصب يعتز بتراث بلاده وموطن آبائه وأجداده، وإذا مات فى بلد أجنبى أو شعر بدنو أجله فإنه يطلب ممن حوله أن ينقلوا جثمانه إلى وطنه، ليرقد إلى جوار أهله وذوى قرباه[1].

ثانياً: أهم عادات وتقاليد المجتمع الأفغاني:

أ - الزواج:

عادة ما يتم الزواج بين الأفغان عن طريق الوالدين، وذلك بسبب التقاليد المحافظة، فالعروس والعريس المقبلان على الزواج لا يشاركان فى ترتيب أمور زواجهما، ما عدا الطوائف المتعلمة فى المجتمع، ولا يستطيع أحد العروسين مقابلة الآخر قبل الزواج إلا نادراً، وعندما يحين يوم الخطبة، توزع المشروبات والحلوى على المدعوين وتعلن الموافقة الرسمية على الخطبة، وهذا الاحتفال يسمى "شيرينى خورى" أى تناول الحلوى، وبعد فترة وجيزة يقام احتفال الزواج فى منزل العروس، والتفاصيل الخاصة بالاحتفال تختلف طبقاً للأماكن التى يقام فيها، أما الملامح الرئيسية فهى واحدة، ويقام احتفال الزواج بواسطة إمام المسجد الذى يقوم بعقد القرآن فى حضور كبار السن وعلية القوم، ثم تؤخذ العروس إلى منزل عريسها فى موكب، وتستمر الولائم والاحتفالات إلى فترة متأخرة من الليل، وفى النهاية يرحل جميع المدعوين[2].

وينشد قارى فى التهنئة بزواج على محمد خان "معاون الصدارة فى عصره" واصفاً مراسم الزواج قائلاً:

- فريد جوهر العلم على محمد خان، إن لذاته مع شرفه من الكمال نصيب.

---

1 - سيد محمد خير خواه – أفغانستان ضعفها وقوتها – ص 68.

- حسن محمد جوهر - أفغانستان – ص23.

2 - محمد نور الدين عبد المنعم "دكتور" – عادات الشعب الأفغاني وتقاليده – ص 29.

محمد آصف فكرت – أفغانان – ص181 ، 182.

- المعين المعروف الجدير بوزارتنا، الذى صار رمزاً للتعقل والإدراك من فرط ذكائه.
- مال خاطره إلى الزواج، وقريباً يصير له رفيق فى قصره.
- بحث ومن حسن التصادف أخذ، السيدة جميلة هانم الطيبة ذات الأصل النجيب والعريق.
- لطيفة المنظر قمراً متناسقة القوام حسنة الطباع، لقد جذبت قلب المعين وعينيه.
- فى شهر صفر ليلة الخميس العشرين من شهر أسد، أقيم حفل الحناء فى قصره.
- وفى تلك الليلة زين بهو قصر المعين بالرياش والبسط، وكان لديه من الموائد والمقاعد
- الكثيرة مزينة وجميلة.
- حضر عنده فى هذا المحفل هيئة الوزراء، منذ الثامنة أول الليل حتى الثانية عشرة تقريباً.
- وعند منتصف الليل اختتم الحفل، وغادر كل من كان عنده من غنى وفقير[1].

ب - استقبال المولود:

يعتبر مولد الذكر حادثة سارة بالنسبة للعائلة الأفغانية، بينما لا يستقبل مولد الأنثى بما يجب، فعندما يكون المولود ذكرا يسود القرية الفرح والسرور، وبمجرد انتشار الأخبار السارة فى الخارج، يندفع الجميع إلى المنزل ممسكين ببنادقهم، وعندما يصلون إليه يطلقون بنادقهم فى الهواء عدة مرات، بينما تعزف مجموعة من الموسيقيين على آلاتهم ويدقون طبولهم، وهناك اعتقاد سائد بأن الطلقات وقرع الطبول تبعد الأرواح الشريرة عن المولود، ويأتى بعد ولادة الطفل مباشرة أحد رجال الدين ويهمس فى أذن الطفل بالأذان وبعض آيات القرآن الكريم والأدعية، حتى ينشأ مسلماً متمسكاً بدينه، ويدعو الجميع للمولود بالسعادة وطول العمر[2].

وفى التهنئة باستقبال أحد المواليد يقول قارى:

1 - (كليات قارى ص 341 – 342)

2 - أبو العنين محمد فهمي – أفغانستان بين الأمس واليوم – ص 191.

حسن محمد جوهر – أفغانستان – ص39.

محمد نور الدين عبد المنعم "دكتور" – عادات الشعب الأفغاني وتقاليده – ص 31.

أصبح فى محله سردار جهان، ابن مبارك القدم لآصف خان.
فى ألف وثلاثمائة وخمس وخمسين، صار مقدمه باعثاً للسرور.
أسماه والده خالداً وليهبه، المولى طول العمر.
يا إلهى إن هذا الطفل سعيد المقدم، أصبحت قلوبنا من طلعته فى سرور وحبور.
امنحه عملاً صالحاً وعمراً مديداً، وقلباً خالياً من الغم وفكر العالم العارف[1].

وفى الدعاء للمولود يقول قارى:

يا إلهى هذا الطفل سعيد الطالع، أنار بوجوده أعين والدته.
فامنحه يا رب العمل الصالح والعمر المديد، حتى يكون رفيقاً للسعادة[2].

وعادة ما يسمى الطفل فى اليوم السابع، وهناك احتفال آخر يتعلق بمجيء المولود الذكر وهو الاحتفال بالختان وفى هذه المناسبة أيضاً يدعى كل الأقارب وتقام وليمة فخمة[3].

جـ - مراسيم الوفاة:

عندما تحدث وفاة يتوجه الأقارب والأصدقاء إلى مكان العزاء ليعبروا عن شعورهم، وطالما بقى الجثمان راقداً فى حجرة أو فى فناء المنزل فإن ذلك يعنى استمرار النواح والعويل، وذلك بأن تلتف مجموعة من النساء حول الجثمان ويبكين فى صوت واحد، بينما الأخريات يقمن بتلاوة آيات القرآن، وتستمر تلك الحالة لعدة ساعات[4].

وعن شدة النواح على المتوفى يقول قارى:

- إلى أى حد نسمع أصوات نواح المأتم، فياليت أذنى كانت صماء منذ الأزل.
- ولكم وصل العويل إلى الأفلاك، فياليت حنجرتى يمزقها خنجر![5].

1 - (كليات قارى ص 339)
2 - (كليات قارى ص 316)
3 - محمد نور الدين عبد المنعم - عادات الشعب الأفغاني وتقاليده - ص33.
4 - - حسن محمد جوهر - أفغانستان - ص 42.
5 - (كليات قارى ص 226)

إلى أن يغسل الجثمان ويكفن ويحمل إلى المقابر، ويقوم بحمله ستة من أقرب الناس إليه ويتبعه الأقارب والأصدقاء[1].

ويصف قارى ذلك قائلاً:

وصل التابوت محمولاً على أكتاف الأحباب، فتقاطر الدمع من الأعين لهذا السبب[2] ثم تقام صلاة الجنازة فى مسجد قريب، أو فى داخل فناء الجبانة، ثم يوارى الجثمان داخل القبر، ثم تقرأ بعض آيات من القرآن الكريم وتتلى الصلوات ويتم الدعاء للمتوفى[3].

يقول قارى:

- وذكر الراحلين بالدعاء جميل، فى كل وقت وفى أى وقت وفى الصباح والمساء.
- لقد رحلوا ظمآنين فارحم يا إلهي، وأرو ظمأهم بزلال الكوثر[4].

أما طقوس الحداد وتسمى فاتحة فهى تستمر لمدة ثلاثة أيام، ويستمر الحداد لمدة أربعين يوماً، وقد طلبت الحكومة الأفغانية من الشعب – توفيراً للنفقات – أن يقيموا طقوس الحداد فى مسجد عام منذ الصباح وحتى الساعة الثانية عشرة بعد الظهر فقط، وفى تلك الفترة يحضر الأصدقاء والأقارب لتقديم العزاء[5].

وفى ذلك يقول قارى:

فلتطووا بساط الغم، فإلى متى نقيم العزاء من البداية؟!

فمثل هذا العزاء الذى يقيمونه، يجعل أهل المأتم مغمومين محزونين.

فكثير من هذه التعازى الرسمية، لا نرى لها ثمراً غير المشقة والتعب[6].

---

1 - محمد آصف فكرت – أفغانان – ص 187.

2 - (كليات قارى ص 225)

3 - أبو العنين محمد فهمي – أفغانستان بين الأمس واليوم – ص197.

- محمد نور الدين عبد المنعم "دكتور" – عادات الشعب الأفغاني وتقاليده – ص 33، 34.

4 - (كليات قارى ص 227)

5 - حسن محمد جوهر – أفغانستان – ص 42.

- محمد نور الدين عبد المنعم "دكتور" – عادات الشعب الأفغاني وتقاليده – ص 34.

6 - (كليات قارى ص 227)

د - الأعياد الدينية:

- تحتل احتفالات الأعياد مكاناً بارزاً فى الحياة الأفغانية وأبرزها الأعياد الدينية، كالاحتفال بحلول شهر الصوم، وقدوم العيدين والمولد النبوى الشريف[1].

الصوم:

يعتبر حلول شهر رمضان المبارك من أسعد المناسبات التى يحتفل بها الأفغانيون، وهم شديدو التمسك بالفرائض الدينية وبخاصة فريضة الصوم، ولا يجرؤ مسلم أن يفطر فى أفغانستان فى العلن، والصبى متى بلغ سن العاشرة وجب عليه الصوم[2].

ويتميز شهر رمضان بمظاهر خاصة فى أفغانستان ويشترك فى إحيائه جميع أفراد الشعب على اختلاف طبقاتهم، وأهم ما يحرص عليه الأفغانى فى هذا الشهر هو تلاوة القرآن الكريم كاملاً فى صلاة التراويح بالمساجد، وتكثر الاحتفالات والمآدب فى شهر رمضان ويحرص كل فرد على أن يستضيف أكبر عدد من الصائمين، ويحاول الأغنياء إدخال السرور إلى قلوب الفقراء بمختلف الوسائل، فمنهم من يرسل إليهم الطعام ومنهم من يدعونهم إلى مائدته ومنهم من يرسل إليهم الهبات المالية[3].

ويتحدث قارى عن الصوم قائلاً:

- يجعلك الصوم مباركاً، ويحررك من الأنانية وحب الذات .
- أن ابتسامات الفم من نكهة ورائحة الصوم، تبعث باقة من زهور الفردوس.
- والصوم يجعل المتخمين بالشبع فى العالم متألمين من اجل الفقراء شاعرين بهم.
- ويجعلك الصوم شاعراً بحال الكادحين، ويجعل العيون تشبع من خوان النعمة.
- تجعل البطن الخالية لك صفات الملاك، ويجعلك الصوم متسقاً مع الطبيعة.
- كل ونم قليلاً ليلاً ونهاراً، وانصح بذلك كل من تجالسه[4].

---

1 - محمد نور الدين عبد المنعم "دكتور" عادات الشعب الأفغاني وتقاليده - ص 35.

2 - حسن محمد جوهر - أفغانستان - ص 43.

3 - أبو العنين محمد فهمى - أفغانستان بين الأمس واليوم - ص 171، 172.

- سيد حسن أحدي نـژاد - سيماى كابل - ص 117 - چاب 1373.

4 - (كليات قارى ص 127)

العيدان:

- يحتفل الأفغان بالعيدين بصورة رائعة، إذ يرتدى القوم وبخاصة الأطفال والشباب الحلل الجميلة، وفى الصباح يخرج الرجال إلى المساجد للصلاة، وبعد صلاة العيد يتوجهون إلى المقابر، ثم يتبادلون الزيارات العائلية للتهنئة بالعيد، وفى عيد الأضحى من النادر أن تجد أسرة أفغانية لا تنحر أضحية العيد[1].

- المولد النبوى:

يحتفل الأفغان بالمولد النبوى الشريف فى المساجد، ويحضر الملك وكبار رجال الدولة الاحتفال الرسمى الذى يقام فى هذه المناسبة، وتتلى آيات القرآن الكريم وتلقى الأحاديث من روائع السيرة النبوية الشريفة[2].

وعن المولد النبوى يقول قارى:

من اسمك المبارك العالى، أخذ تاريخ العالم الزينة والبهاء.

أصبح العالم مضيئاً بقدومك ،وصار ميلادك عيداً للمؤمنين[3].

هـ - الاحتفال بعيد الربيع " نوروز ":

تحتفل أفغانستان فى يوم الحادى والعشرين من شهر مارس كل عام بعيد رأس السنة الهجرية الشمسية، وهو بداية فصل الربيع، وفى هذا العيد تتعطل الأعمال ويتبادل الأهلون التهانى والزيارات ويسارعون إلى الحدائق، وقد ارتدوا أفخر ملابسهم وينشدون الأناشيد، ويقومون بالألعاب القومية، كما يتناولون الأكلات الشعبية التى تعد خصيصاً لهذه المناسبة، وهو يشبه إلى حد كبير عيد شم النسيم فى مصر، وفى هذا اليوم أيضاً تتم مراسم غرس الأشجار فى جميع أنحاء أفغانستان فى احتفال رسمى وشعبى، ويعد عيد الربيع عند الأفغان إيذاناً ببدأ حياة جديدة فى البلاد، فالتغير المفاجئ فى الطقس وهبوب

1 - سيد حسن أحمدى نژاد - سيماى كابل - ص 111.

علي أكبر دهخدا - لغت نامه - جلد 39 - ص 17 - تهران 1345 هـ ش.

أبو العنين محمد فهمي - أفغانستان بين الأمس واليوم - ص 172.

2 - علي أكبر هخدا - لعت نامه - جلد 39 - ص 17 - حسن محمد جوهر - أفغانستان - ص46.

3 - (كليات قارى ص 287)

النسيم المنعش وتغريد الطيور، كل ذلك يشهد بأن صفحة قد طويت من كتاب حياة البلاد وأن الشتاء ببرده القارس قد انقضى[1].

وعن فصل الربيع يقول قارى:

- جاء الربيع وتزينت المراعى، "نثر" النسيم المسك التركستانى.
- جاء الربيع لترى عين الساهر، الليل ضياء من كثرة زهور الياسمين.
- جاء الربيع وطار الثلج من الجبل، ونمت الخضرة الوفيرة فى الغياض والرياض.
- جاء الربيع وبسط ندى الصباح، الألماس على وجه الخضرة[2].

و - عيد الاستقلال:

لعل أبرز الأعياد القومية فى أفغانستان "عيد الاستقلال" ويحتفل به الشعب فى شهر أغسطس من كل سنة، ويعتبر هذا العيد من أسعد المناسبات لدى الأفغان، وهو مرتبط بذكرى الحرب الأفغانية الإنجليزية الثالثة التى انتصرت فيها القوات الأفغانية على الجيوش البريطانية وانتزعت أفغانستان اعتراف إنجلترا باستقلالها التام، وتستمر احتفالات الاستقلال فى أفغانستان أسبوعاً كاملاً، وفيه تتعطل الأعمال الرسمية خلال الأيام الثلاثة الأولى على الأقل، وتكتسى المدن وسكانها بحلل زاهية الألوان، ويكثر الرقص والألعاب الرياضية والألعاب النارية والأضواء، ويتدفق الأفغان من جميع البلاد إلى العاصمة للمشاركة فى هذا الاحتفال وقد خصص فى كابل منطقة خاصة لهذا الغرض وسميت بأرض احتفالات الاستقلال أو بـ "چمن" أى المرج[3].

---

1 - علي أكبر دهخدا – لغت نامه – جلد 39 – ص17.
- أبو العنين محمد فهمي – أفغانستان بين الأمس واليوم – ص 169.
د. محمد نور الدين عبد المنعم – عادات الشعب الأفغاني وتقاليده – ص 38.
2 - (كليات قارى ص 391)
3 - حسن محمد جوهر – أفغانستان – ص 46.
محمد نور الدين عبد المنعم "دكتور" – عادات الشعب لأفغاني وتقاليده – ص 39.
علي أكبر دهخدا – لغت نامه – ص 17.
أبو العنين محمد فهمي – أفغانستان بين الأمس واليوم ص 170، 171.

وفى الاحتفال بعيد الاستقلال أنشد قارى قائلاً:

- لقد أقبل عيد حريتنا وسعدت بقدومه قلوبنا، وترى الجميع ثملاً من الطرب فليكن عيدا مباركاً
- لقد أصبحت ساحة چمن عامرة بالطرب من بهجة العيد، وأصبح الوطن حرًّا بفضل الشهداء.
- حريٌ بنا أن نكون سعداء مبتسمين كالورود، وأن نكون كالبلبل فى الخميلة ثملاً ينشد الغزل.
- إن عيد الحرية هو عيد الاستقلال المبارك، والعهد السعيد من آثار الملك ذى الحظ العالي[1].

ويصف قارى احتفالات الاستقلال قائلاً:

- تعالى إن منطقة "چمن" احتفلت ثانية بعيد استقلال الأفغان، وقد تزينت الصحراء والأبواب بالمصابيح من أجلنا.
- أخذ الزمان نشاط الاحتفال مجدداً، حيث استضاف العام والخاص فى محفل طربه.
- إن عظمة ضياء مصابيح الكهرباء فى جنح الليل، قد حيرت الكواكب بمشاهدتها[2].

ثانياً: الحياة الاقتصادية:

وإذا ما انتقلنا بالحديث لنتناول الحالة الاقتصادية فى عهد شاعرنا قارى عبد الله خان لا بد وأن نبدأ منذ عهد الأمير شيرعلى خان (1280 – 1296 هجرية قمرية الموافق 1863 – 1879 ميلادية)، فعندما وصل إلى سدة الحكم كانت الثورة الصناعية قد انتشرت فى أوربا، وكان الأمير شير على رجلاً مستنيراً محباً لوطنه، فقام بالعديد من الإصلاحات الداخلية للبلاد، وهو أول من وضع لبنة للمدينة الحديثة والتطور فى أفغانستان[3].

وقد قام بإصلاح النظام المالى وجعل التعاملات المادية عن طريق العملات النقدية

1 - (كليات قارى ص 330)

2 - (كليات قارى ص 211)

3 - پوهاند سيد سعد الدين هاشمي – تاريخ معاصر أفغانستان – ص 37.

بدلاً من المقايضة، وأنشأ نظاماً للضرائب، وشيد عدداً من المصانع فى كل من كابل وهرات كما أسس عدداً من المستشفيات [1].

كما أسس هيئة للبريد لتسهيل التواصل بين كابل وأنحاء العالم، والتى تطورت أعمالها بشكل أفضل بعد ذلك خلال عهد الأمير عبد الرحمن خان وخلفه حبيب الله خان، وانتشرت مكاتب البريد فى كافة أرجاء أفغانستان [2].

وقد بدأت الصناعة تنمو وتزدهر فى عهد الأمير عبد الرحمن خان، حيث كان الأمير لديه ميل للاستفادة من الثروات والموارد الطبيعية فى أفغانستان بقدر الإمكان، كما كان لديه اهتمام بالصناعات والحرف، ولكنها كانت فى البداية صناعات تقوم على طريقة بدائية ويدوية، فقام بشراء آلات لاستخراج ما فى باطن الأرض من حديد ونحاس ورصاص وفحم حجرى ومعادن أخرى[3].

كما قام بإنشاء بعض المصانع وعمل على جلب آلات حديثة ومتطورة لتلك الصناعات وكذلك جلب أساتذة وخبراء متخصصين لتعليم الأفغان الصناعات والحرف المختلفة[4].

وعام بعد عام زادت أعداد المصانع التى تعمل بطرق حديثة، وجلب لها الأمير ما يلزم من معدات حديثة تعمل بقوة البخار، وأهمها آلات صنع البنادق بأنواعها والطلقات الرصاصية والمدافع والبارود وسائر المعدات الحربية، كذلك أنشأ مصانع للأخشاب وجلب لها آلات الخراطة اللازمة لأعمال النجارة، وكذلك أحضر آلات لصناعة المنتجات الجلدية، وآلات طبخ الصابون والشمع، وماكينات الدباغة وصبغ الأقمشة، وآلات الزراعة ومستلزمات الحدائق[5].

---

1 - عبد الحي حبيبي – تاريخ مختصر أفغانستان – جلد دوم – ص 109.

2 - پوهاند سيد سعد الدين هاشمي – تاريخ معاصر أفغانستان – ص 37، 52.

3 - أمير عبد الرحمن خان – سفرنامه وخاطرات أمير عبد الرحمن خان – به كوشش – ايرج أفشار سِيستاني – ص34 – چاپ 1369 هـ ق

4 - سفر نامه وخاطرات أمير عبد الرحمن خان – ص 335.

عبد الحى حبيبى – تاريخ مختصر أفغانستان – جلد دوم – ص 128.

5 - سفر نامه وخاطرات أمير عبد الرحمن خان – ص 339.

پوهاند سيد سعد الدين هاشمى – تاريخ معاصر أفغانستان – ص 51.

كما أسس داراً لسك العملة، وكانت النقود تضرب قبل ذلك بالطريقة اليدوية فجلب لها المعدات الحديثة، وكانت العملة فى عهده عبارة عن واحد شاهى، واثنين شاهى والمسكوكات الفضية كانت روبية وقران[1].

وفى عام 1307 هـ ق الموافق 1887م أرسل عدة أشخاص إلى إنجلترا لتعلم مهنة طب الأسنان وكيفية العلاج بالآلات الحديثة[2].

وفى عام 1313 هـ ق الموافق 1893م قام بإدخال الكهرباء إلى كابل وفى أوائل القرن العشرين أنشئت أول محطة لتوليد الكهرباء من مساقط المياه فى جبل السراج لإنارة كابل، ثم تتابع بعد ذلك إنشاء محطات أخرى فى أنحاء أفغانستان[3].

وعن الإصلاح الاقتصادى فى عهده يقول الأمير عبد الرحمن خان فى كتابه سفرنامه وخاطرات أمير عبد الرحمن خان وتاريخ أفغانستان.

(الحمد لله أنه اليوم يوجد فى أفغانستان مائة ألف شخص يعملون فى تعبيد الطرق والمعمار وأعمال المعادن والصناعات المختلفة التى سعيت أنا لرواجها وازدهارها، واستطاع هؤلاء أن يحسنوا من أوضاعهم المعيشية وأن يبتعدوا عن السرقة وقطع الطرق والإغارة، وأن يتوجهوا إلى العمل الشريف)[4].

كما اهتم الأمير حبيب الله خان (1319 – 1337 هجرية قمرية الموافق 1901 – 1919 ميلادية) بالصناعة اهتماماً بالغاً وعمل على استخراج ما فى باطن الأرض من معادن فأحضر بعض الجيولوجيين للتنقيب عن الفحم الحجرى والمعادن كالحديد والنحاس والذهب وغيرها من المعادن والأحجار الكريمة، وقد بدأ هؤلاء أعمال التنقيب فى سنة 1327 هـ ق الموافق 1907 م. فى شمال أفغانستان ورغم وجود الفحم الحجرى إلا أن عدم

---

1 - مير محمد صديق فرهنگ - أفغانستان در پنج قرن اخير جلد أول – ص 431.
سفر نامه وخاطرات أمير عبد الرحمن خان – ص 343.

2 - سفر نامه وخاطرات أمير عبد الرحمن خان وتاريخ أفغانستان ص338.

3 - أبو العنين محمد فهمي – تاريخ أفغانستان بين الأمس واليوم – ص483.

4 - سفر نامه وخاطرات أمير عبد الرحمن خان وتاريخ أفغانستان – ص 342.

توافر وسائل حمل ونقل صالحة، كانت حائلاً دون الاستفادة من ذلك[1].

كما اهتم بأمر الزراعة فشيد سد "درونته" على نهر كابل وقام بترميم وشق الترع والقنوات، وأعد لذلك برنامجاً منظماً، كما أنشأ الأمير عدداً من الجسور على بعض أنهار أفغانستان[2].

وفى عهد الأمير أمان الله خان 1337 – 1348 هجرية قمرية الموافق 1919 – 1929 ميلادية،وبعد استقلال أفغانستان صار الفرصة سانحة للنهوض بالاقتصاد عن طريق التوسع الصناعي، وإنشاء العديد من المصانع المختلفة بتوجيه من أمان الله الذى كان يسعى بشكل دائم لتطوير اقتصاد أفغانستان لتواكب النهضة الصناعية في الدول الأوربية، وقد قامت الحكومة بإنشاء مصانع لإنتاج الكبريت ونسج القطن، وصناعة الأثاث والمنسوجات الصوفية، كما أنشأت داراً للطباعة ومحطة جديدة لتوليد الكهرباء[3].

كذلك قامت الحكومة بإنشاء خط للتليفون بين كابل وسائر المدن الكبرى وتوصيل خطوط التلغراف بين العاصمة ومراكز الدولة، كما حرص الأمير أمان الله خان على شق الترع والقنوات في جميع أنحاء البلاد وترميم وإصلاح ما كان قد هدم منها، كذلك أنشأ خطوط السكة الحديد بين كابل وقندهار ومدها إلى هرات، وقام ببعض الإصلاحات المالية فوضع نظاماً جديداً لسك العملة، وأنشأ العملة الورقية، وعدل إحصائيات الدفاتر من أرقام إلى جداول، وعمل على تحسين وضع التجارة، وفى عهده بدأت التبادلات التجارية بين أفغانستان ودول أوربا مثل إنجلترا وألمانيا، وكانت سياسة أمان الله العمل على زيادة الصادرات وتقليل الواردات[4].

---

1 - پوهاند سيد سعد الدين هاشمى – تاريخ معاصر أفغانستان – ص57.

2 - پو هاند سيد سعد الدين هاشمى – تاريخ معاصر أفغانستان – ص 57.

.The Persian Revolution of 1905 – 1902 Edward, G, Prowne

.P 185 London 1910

3 - أبو العنين محمد فهمي – أفغانستان بين الأمس واليوم - ص 482.

.L.B. Poullada, Reform and Rebellion Afghanistan, 1919 -1929, Ithaca, 1973

4 -مير محمد صديق فرهنگ - أفغانستان در پنج قرن اخير – – جلد سوم – ص 553.

وفى سنة 1352 هـ ق الموافق 1932 م قامت الحكومة الأفغانية بوضع خطة لتنمية اقتصاد أفغانستان، كانت تهدف إلى: -

1. الاكتفاء الذاتي في المنتجات الزراعية.
2. تكوين شركات تشرف على تنظيم الصادرات والواردات.
3. إنشاء بنك وطني لدعم اقتصاد البلاد(1).

وفى سنة 1353 هـ ق الموافق – 1933 م أنشأ "بنك ملى" "البنك الأهلى" كأول بنك أفغاني لمساعدة المشروعات الخاصة، ومنذ البداية منحته الحكومة احتكار استيراد بعض المواد مثل البترول، والسكر، والآلات والمعدات، وتصدير القطن والصوف، على أن يسهم نظير ذلك في تطوير وتمويل الصناعة في أفغانستان(2).

وقد تمكن هذا البنك بفضل جهود رئيسه "السيد عبد المجيد زابلي"(3) الذى كان وزيراً للتجارة آنذاك أن يسهم بشكل كبير في النهوض باقتصاد البلاد، والعمل على جلب الاستثمارات إليها، وقام بتأسيس حوالي خمسين شركة تجارية مساهمة، وكان يتحكم تقريباً في كل واردات وصادرات البلاد(4).

وقد ركز البنك جهوده في ميادين صناعة النسيج والسكر وتجارة القراقل، وكان من أثر ذلك قيام بعض الصناعات في السنوات التالية ومن ذلك، مصنع جبل السراج للمنسوجات القطنية سنة 1354 هجرية قمرية الموافق 1934 ميلادية، مصنع قندز لغزل القطن وعصر الزيت في سنة 1356 هـ ق الموافق1936 م ومصانع بغلان للسكر سنة

---

1 - أبو العنين محمد فهمي - أفغانستان بين الأمس واليوم - ص 444.
- محمد هنائي عبد الهادي - أفغانستان - ص 17 - كتب سياسة - القاهرة "بدون تاريخ طبع".
2 - علي أكبر هخدا - لغت نامه - جلد 39 - ص16.
- أبو العنين محمد فهمي - أفغانستان بين الأمس واليوم - ص482.
3 - عبد المجيد زابلي هو وزير التجارة في عهد الملك محمد ظاهر وهو عضو مؤسس في الاقتصاد الأفغاني، وقد ذهب في بداية حياته إلى روسيا وهناك اطلع على أسس وأساليب التجارة الحديثة، ثم عاد إلى أفغانستان في نهاية عهد محمد نادر شاه ليسهم في تأسيس الصناعات الحديثة والعمل على النهوض بالتجارة في أفغانستان - مير محمد صديق فرهنگ - أفغانستان در پنج قرن أخير - جلد سوم - ص 659.
4 - مير محمد صديق فرهنگ - أفغانستان درپنج قرن أخير - جلد سوم - ص650.

1359 هـ ق الموافق 1939 م، ومصنع "پـل خمرى" للنسيج، وقد أنشت جميعها بمساهمة بنك ملى الذى كان يمتلك أغلب أسهمها، كما استطاع السيد عبد المجيد الزابلى فى سنة 1359 هـ ق الموافق 1939م تأسيس بنك آخر يسمى "بنك أفغانستان" برأس مال مأتى مليون أفغاني[1].

وفى وصف التجارة ومدح وزيرها أنشد قارى قائلاً:

- إذا نظر الذكى إلى الأعمال فى العالم من حوله، سيرى أن التجارة هى أهم الحرف رواجاً.
- فالتعامل بها يزيد من رواج السوق، كما يزيد الربيع من جمال البستان.
- وقد فتحت الحوانيت بالسلع النفيسة فى كل مكان، كما امتدت البضائع القيمة إلى جميع أطراف السوق.
- حقاً إن التجارة هى ملكة الحرف، وأن حكمها نافذ فى جميع النواحى والأقطار.
- وكل من يقدم على خدمة هذا الملك، مثل الوزير السياسى المجرب.
- وهو الوزير العاقل صائب الرأى عبد المجيد خان، الذى وضع أسس الشركة المساهمة.
- وبناء على فكره الصائب انتظمت الشركة، وغير رئاستها إلى وزارة فى نهاية الأمر.
- تفخر الشركة بخبرته، كما تزدهر التجارة برأيه السديد[2].

ثم جاءت الحرب العالمية الثانية وتوقفت الواردات الأوربية، ثم تابع البنك نشاطه فى تنمية الصناعات فى أفغانستان بعد انتهاء الحرب، فأقيم العديد من المصانع الصغيرة، وكان من العسير على رؤوس الأموال الخاصة القيام بهذه المشروعات الضخمة دون مساهمة الحكومة، ولهذا بدأت الحكومة تضع برنامجاً كاملاً للنهوض بالاقتصاد، وتضمن ذلك توجيه عناية خاصة للتصنيع، وفى سنة 1375 هـ ق الموافق 1955م، بدأت الحكومة بنظام الاقتصاد الموجه، وأصبح لها الإشراف التام على جميع الصناعات، ووضعت لذلك

---

1 - أبو العنين محمد فهمي – أفغانستان بين الأمس واليوم – ص 483.
مير محمد صديق فرهنگ - أفغانستان درپنج قرن أخير – جلد سوم – ص 651.
2 -كليات قارى ص 228).

برنامجاً يحدد أولوياتها، وذلك ضمن إطار خطة خمسيه أولى بدأت فى سنة 1376 هـ ق الموافق 1956 م، ثم تلتها الخطة الخمسية الثانية، وقد بدأت فى سنة 1381 هـ ق الموافق 1961م[1].

---

1 - مير محمد صديق فرهنگ - أفغانستان درپنج قرن أخير - جلد سوم - ص 685 - 67

أبو العنين محمد فهمي - أفغانستان بين الأمس واليوم - ص 483

الفصـــل الثالـــث

الحياة الثقافية والأدبية

أولاً التعليم:

« كان التعليم فى أفغانستان يتم بطريقة بدائية عن طريق المساجد والكتاتيب حتى بداية القرن العشرين، فقد كان طلاب العلم يجتمعون فى حلقات حول معلميهم، وكانت الدراسة تدور حول علوم الدين والشريعة، فكانت الكتب المذهبية هى السائدة فى الدراسة مثل كتب الفقه والحديث والتفسير والصرف والنحو والمنطق والفلسفة، كما كانت المتون الفارسية القديمة آخذة حظها من الدراسة مثل شاهنامة الفردوسى المتوفى (416 هـ ق الموافق 996 م) وگلستان وبوستان سعدى المتوفى (691 هـ ق الموافق 1271م) وديوان حافظ المتوفى (719 هـ ق الموافق 1299م) ومثنوى جلال الدين الرومى المتوفى (672 هـ ق الموافق 1252 م) بالإضافة إلى دروس كانت تلقى فى تعليم الخط والمشق »[1].

وظل الوضع هكذا حتى جاء عهد الأمير حبيب الله خان (1901 – 1919م) الذى بدا التعليم فى عهده يأخذ صورته الرسمية، ووضعت النواة الأولى للمدارس العصرية، ففى تلك الفترة زادت حلقاتِ الدروس فى المساجد وافتتحت عدة مدارس ابتدائية فى مدينة كابل، فأنشئت أول مدرسة ابتدائية نظامية فى سنة 1323 هجرية قمرية الموافق 1903 ميلادية باسم المدرسة الحبيبة، كما أنشئت مدرسة أخرى باسم مدرسة الأمراء، وافتتحت أيضاً عدة مدارس ابتدائية أخرى تحت إشراف السيد مولوى عبد الرب خان

1 - أفغانستان - أز نشرت انجمن آريانا دائرة المعارف - ص 57 - كابل 1334 هـ ش الموافق 1955م.

أ.د. عفاف السيد زيدان – شاعر أفغانستان المعاصر خليل الله خليلي – ص27.

وتحددت مدة الدراسة فى المرحلة الابتدائية بأربع سنوات، وأنهت أول دفعة دراستها الابتدائية سنة 1327 هجرية قمرية الموافق 1907م[1].

وفى نفس العام افتتحت المدرسة الحبيبة الثانوية كأول مدرسة ثانوية فى أفغانستان، وكان يدّرس بها بالإضافة إلى المواد الدينية المعروفة، الجغرافيا والتاريخ والرياضيات والفيزياء، وكانت هذه المدرسة تسير على نسق المدارس الإسلامية بالهند، وأدخلت اللغة الإنجليزية كأول لغة أجنبية تدرس فى مدارس أفغانستان، كما درس بها لفترة قصيرة اللغتين التركية والأوردية، وقد تكونت هيئة التدريس بهذه المدرسة من أساتذة ومعلمى الطراز الأول فى أفغانستان، وكان شاعرنا قارى عبد الله خان من أوائل المعلمين الذين تم تكليفهم بالعمل بها، كما قامت الحكومة باستقدام المدرسين الأجانب من الهند لتدريس العلوم الحديثة، وقد أسند الأمير حبيب الله خان الأمور الإدارية والعلمية بهذه المدرسة إلى أخيه السردار نصير الله خان نائب السلطنة، وكانت الكتب المطبوعة ترد لها باللغات الفارسية والپاشتو والأوردية من جمعية حماية الإسلام بلاهور، وللنهوض بها وبالحركة التعليمية تأسست أيضاً فى الوقت نفسه دار للتأليف باسم دار تأليف المدرسة الحبيبية المباركة لتهيئة الكتب الدراسية اللازمة لتلك المدرسة، وقد صدر عن دار التأليف عدد من الكتب والمؤلفات التعليمية وغير التعليمية[2].

وفى عام 1329 هجرية قمرية الموافق 1909 ميلادية تأسست المدرسة الحربية، وتكونت الهيئة الإدارية وهيئة التدريس بها من أشهر أساتذة الأفغان والترك ومن بينهم محمود الطرزى، وقارى عبد الله خان، وعبد الغفور نديم، وغيرهم كما أنشت مدرسة للمخابرات تحت اسم سفارت دولت[3].

وفى عام 1332 هجرية قمرية الموافق 1912 ميلادية أنشئت أول دار للمعلمين لتخريج

---

1 - پايندة محمد زهير وسيد محمد يوسف – دافغانستان د معارف تاريخ - جلد أول ص 48 ، 49 – چاب 1339 هـ ش.
- عبد الحي حبيبي – تاريخ مختصر أفغاستان جلد دوم – ص 132.
- أبو العنين محمد فهمي – أفغانستان بين الأمس واليوم – ص339.

2 - پايندة محمد زهير وآخرون – دافغانستان د معارف تاريخ - جلد أول - ص 59 ، 60.
- محمد حيدر ژوبل – تاريخ أدبيات دري – ص 150 – چاب كابل 1336- هـ ش.

3 - مير غلام محمد غبار– أفغانستان در مسير تاريخ - ص 703 چاب دوم قم 1359- هـ ش.

معلمي المرحلة الابتدائية وكانت تحت إشراف غلام محيى الدين خان أفغان المشهور بخان صاحب، وقد تكونت هيئة التدريس بها من مجموعة من أفضل علماء أفغانستان ومن بينهم ملك الشعراء قارى عبد الله خان، ومولوى عبد الرب وقارى السمرقندى وسيد محمد طاهر ومولوى غلام محيى الدين وغيرهم من العلماء[1].

« ثم اتسعت حركة التعليم فى عهد الأمير أمان الله خان (1919 – 1929م) وأنشئت أول وزارة للمعارف، وبدأت الوزارة بدراسة وسائل التوسع فى إنشاء المدارس وتطوير نظم التعليم ومناهجه، وانتشرت المدارس الابتدائية فى أرجاء أفغانستان، وفى عام 1342 هجرية قمرية الموافق 1922 ميلادية، افتتحت مدرستان ابتدائيتان أحداهما استخدمت اللغة الفرنسية كلغة أجنبية والأخرى استخدمت اللغة الألمانية، واستقدمت لهما الحكومة المدرسين من فرنسا وألمانيا »[2].

كما تأسست بعد ذلك مدارس للمرحلة الثانوية منها "ليسيه استقلال" أى ثانوية الاستقلال و"ليسيه نجات" ثانوية النجاة و" ليسيه غازى" ثانوية الغازي[3].

وفى عام 1342 هجرية قمرية الموافق 1922 ميلادية بدأت الوزارة نهضة شاملة لتطوير التعليم بمدارسها وأدخلت إليها المواد الحديثة، كما أنشأت الوزارة معاهد لدراسة أصول الإدارة والقضاء والمساحة، كما تأسست مدارس صناعية لتعليم صناعة الزجاج وصناعة الأسمنت ومدارس لتعليم الفنون الجميلة[4].

وبالنسبة لتعليم المرأة فقد بذلت جهود كبيرة لتعليمها والارتقاء بها، فأنشئت فى العاصمة مدرسة للبنات تعرف باسم مدرسة مستورات، وتأسس عدد آخر من المدارس

---

1 - پایندة محمد زهير وآخرون – د افغانستان د معارف تاريخ – جلد أول – ص61.
أفغانستان از نشرات انجمن آريانا دائرة المعارف – ص 58.

2 - پایندة محمد زهير وآخرون – دافغانستان د معارف تاريخ – جلد أول – ص 50.
- سيد محمد خير خواه – أفغانستان ضعفها وقوتها ص 140.

3 - پایندة محمد زهير – دافغانستان د معارف تاريخ – جلد أول - ص 65، 67، 71.

4 - أفغانستان از نشرات آريان دائرة المعارف – ص 58،
سيد محمد خير خواه – أفغانستان ضعفها وقوتها – ص 140.
أ.د. عفاف زيدان – شاعر أفغانستان المعاصر خليل الله خليلي – ص 28.

أطلق عليها أسماء المجاهدات الأفغانيات مثل آدى غازى وملالى وغيرهن، وقد اتسع بعض هذه المدارس فيما بعد وشمل أقساماً للمرحلة الوسطى "الإعدادية" وأخرى ثانوية، كما سمح للفتيات بالسفر إلى تركيا لتحصيل العلم[1].

وفى عهد ابن السقا أُغلقت المدارس وعُطلت المكتبات حتى جاء نادر شاه وتابع مسيرة تطوير منهج التعليم والارتقاء به، وأقرّ البرلمان قانون التعليم الإجبارى والمجانى للمرحلة الابتدائية وعدل مدة الدراسة الابتدائية إلى ست سنوات بدلاً من أربع سنوات، وافتتحت المدارس الجديدة فى مختلف المراحل وعاد الاهتمام بتعليم الإناث مرة أخرى[2].

وفى عام 1351 هجرية قمرية الموافق 1931 ميلادية، بدأت دورات لتعليم الإناث التمريض والتوليد فى مستشفى مستورات، وكانت هذه المؤسسة تدار بواسطة معلمة فرنسية[3].

« وتأسست الجامعة بعدد محدود من الكليات مثل كلية الطلب ودار العلوم العربية، والحقوق وكلية العلوم والآداب والشريعة، كما أنشئت الجمعية الأدبية بكابل، وكذلك تم التوسع فى التعليم الفنى، فتأسست مدرسة للتعليم الصناعى تحتوى على أقسام عديدة كالرسم والنحت وصناعة السجاد والعمارة، وكذلك مدرسة للتعليم التجاري»[4].

وقد سار محمد ظاهر شاه على نهج والده فأصبح الارتقاء بمستوى التعليم ليساير النهضة العالمية وليتماشى مع الصالح الوطنى هدفاً أساسياً له، وصحب ذلك التركيز على إنشاء المدارس لتقابل بذلك احتياجات التعليم الإجباري، فوجدنا فى عهده نظاماً متكاملاً للتعليم، فأنشئت مدارس القرية التى روعى فيها ظروف كل قرية ثم المدارس الابتدائية والمدارس الإعدادية والثانوية، والمدارس الفنية بتخصصاتها المختلفة، وتم

1 - پايندة محمد زهير - وآخرون - دافغانستان د معارف تاريخ جلد دوم - ص 2، 3
أفغانستان - از نشرت آريانا دائرة المعارف - ص 58.
2 - پايندة محمد زهير - دافغانستان د معارف تاريخ - جلد أول - ص 51.
- أبو العنين محمد فهمي - أفغانستان بين الأمس واليوم - ص 340.
3 - پايندة محمد زهير - دافغانستان د معارف تاريخ - جلد دوم - ص 4.
4 - علي أكبر د هخدا - لغت نامه جلد 39 - ص 14.
- أ.د. عفاف السيد زيدان - خليل الله خليلي - ص 29.

افتتاح معهدين آخرين لتخريج المدرسين للمرحلتين الابتدائية والوسطى[1].

وفي سنة 1362 هجرية قمرية الموافق 1942 ميلادية أصدرت الوزارة التشريعات المنظمة للتعليم الثانوى كما عدلت مناهجه، وأصبح التعليم الثانوى مجانياً ولكنه ليس إجبارياً، وتتولى الدولة إمداد الطلبة بكل ما يلزمهم من الكتب والأدوات المدرسية بالإضافة إلى الإقامة المجانية والأكل، والمرحلة الثانوية تشمل مرحلة التعليم المتوسطة ومدتها ثلاث سنوات، ويطلق عليها مرحلة التعليم الثانوى الدنيا، والمرحلة الأخيرة فى التعليم الثانوى ومدتها ثلاث سنوات أيضاً، ويطلق عليها رحلة التعليم الثانوى العليا، وبذلك تصبح الدراسة قبل الجامعية ست سنوات ابتدائية وست سنوات ثانوية[2].

وفي سنة 1372 هجرية قمرية الموافق 1952 ميلادية قامت وزارة المعارف بإطلاق أسماء بعض علماء ومشاهير أفغانستان على بعض المدارس تكريماً لهم وتخليداً لذكرى أسمائهم.

ومن هذه المدارس:

- مدرسة الملك الشهيد.
- مدرسة سيد جمال الدين.
- مدرسة شاه دو شمشيره.
- مدرسة مسعود سعد.
- مدرسة دقيقي.
- مدرسة أبو ريحان بيرونى.
- مدرسة عنصرى.
- مدرسة قارى عبد الله خان.

---

1 - أفغانستان – از نشرات انجمن آريانا دائرة معارف ص 58 .

مير محمد صديق فرهنگ – أفغانستان درپنج قرن أخير جلد سوم – ص 651.

محمد آصف فكرت – أفغانان – ص 188.

2 - أبو العنين محمد فهمي – أفغانستان بين الأمس واليوم – ص 341.

- أفغانستان – مكتب الصحافة والاستعلام بالسفارة الملكية الأفغانية بالقاهرة – ص124.

- مدرسة بيهقى.
- مدرسة منوچهرى.
- وغيرها من الأسماء ذات القدر الرفيع والمكانة العالية لدى الأفغان[1].

وقد رأينا هنا أن مدرسة قد سميت باسم شاعرنا قارى عبد الله خان، مما يدل على أن مكانته لدى شعبه لا تقل عن مكانة عظماء ومشاهير أفغانستان، وقد كان قارى يعرف جيداً قدر العلم، وقد تحدث عنه في العديد من أشعاره، فتجده في الأبيات التالية يصف العلم ويوضح فضله على الإنسان **قائلاً**:

- بالعلم يستقيم نسق العالم، وبالعلم وحده يتبدى فضل بنى آدم.
- حقاً إن العلم هو جسد وروح الإنسان، فبه تضاء عقول العلماء وتنير.
- جاء العلم لتقدم البشر، وأى شيء لا يصلحهم فالجهل به أفضل.
- يجلب العلم الفلاح والعافية، وينجيك من سوء العاقبة.
- يربى العلم فى كل وقت نابغة، كما يبرز الذكى الماهر.
- إن شأن العلم وجلاله أعلى من كل وصف أصفه إياه، إن وصفه أسمى من فكرنا[2].

وفى وصف العلم وبيان قدره يقول قارى:

- كفى في وصف العلم هذه الكلمة التى ذكرت، أن العلم القديم من صفات الخالق.
- فمن العلم تبعث الحياة وفى الجهل يكمن الفناء، والجاهل دائماً عاجزاً عن أى عطاء.
- فالعلم منهل ثرى لا يقبل النقصان، مهما أُخذ من ثرواته وكنوزه.
- يحرس العلم الحياة كالتميمة المقدسة، والعاقل هو من يمتلك مفاتيح تلك التميمة[3].

أما بالنسبة للتعليم الجامعى فى عهد الملك محمد ظاهر شاه فقد وجدنا جامعة كابل وقد اكتملت الكليات بها فأصبحت تضم الكليات النظرية والعلمية، مثل كليات العلوم والطب البشرى والطب البيطرى وطب الأسنان والصيدلة والزراعة والهندسة والآداب

1 - پاينده محمد زهير وآخرون - دا فغانستان د معارف تاريخ جلد أول - ص 53 ، 54.
سيد حسن أحمدى نـژاد - سيماى كابل - ص 62.
2 - كليات قارى ص 316.
3 - كليات قارى ص 224.

والحقوق والتجارة والعلوم والسياسة، ونظام الدراسة فى هذه الكليات مختلط يجمع بين الذكور والإناث إلا كلية الشريعة حيث يفصل فيها بين الجنسين[1].

ثانياً إرسال البعثات العلمية:

لقد بزغت فكرة إرسال الطلاب إلى الخارج لتحصيل العلوم للمرة الأولى فى عهد الملك أمان الله خان، وقد قامت الحكومة بإرسال أول بعثة فى بداية عام 1341 هجرية قمرية الموافق 1921 ميلادية إلى فرنسا وألمانيا وكان عدد طلابها خمسة وثلاثين شخصاً تحت إشراف ورعاية كل من السردار محمد عزيز، والسيد محمد هاشم، وذو الفقار خان، وقد تم اختيار طلاب تلك البعثة من خريجى المدرسة الحبيبية والمدرسة الحربية، وكان سبب إرسالهم لتلقى العلم من الخارج هو احتياج المملكة الشديد إلى متخصصين فى المجالات العسكرية والزراعية والإدارية، وكذلك التعليم والتربية والاقتصاد[2].

وفى أواخر العام نفسه تم إرسال بعثة أخرى تتألف من ثلاثين طالباً، وحرصاً من الدولة على أن يكون طلاب البعثات سفراء لوطنهم يعبرون عن هويتهم وثقافتهم الدينية والقومية كان يشترط على طالب البعثة أن يوقع على عدة تعهدات منها:

- يجب على الطالب الالتزام بتعاليم الدين الإسلامى فى وقت السفر والحضر.
- أن يلتزم الطالب المحافظة على العزة والشرف فى أقواله وأفعاله وجميع أحواله.
- أن يطلب الطالب من مدير الجهة العلمية التابع لها السماح له بأداء الصلوات الخمس فى أوقاتها، وكذلك صيام شهر رمضان.
- إذا لم يوفق الطالب فى أداء امتحاناته وإتمام العام الدراسى فى موعده المحدد يتم إخراجه من الجهة المبعوث لها وإنهاء مهمته العلمية.
- أن يلتزم الطالب دائماً بالوطنية ويكون فكرة موجهاً لإعلاء الوطن وصيانة شرفة وقوانينه.

كل هذه الشروط وغيرها من الأمور التى تحث على الالتزام بتعاليم الإسلام والحرص

---

1 - علي أكبر دهخدا – لغت نامه – جلد 39 – ص14.
سيد حسن أحمدي نـژاد – سيماي كابل – ص 65.
أ.د. عفاف السيد زيدان – خليل الله خليلي – ص 29.
2 - پاينده محمد زهير – وآخرون – دافغانستان د معارف تاريخ – جلد دوم – ص 19.

على الوطنية والشجاعة والشرف والسعي والاجتهاد لتحصيل العلم على الوجه الأكمل ·كان يتعهد الطالب بتنفيذها قبل مغادرة البلاد[1].

وفى سنة 1343 هجرية قمرية الموافق 1923 ميلادية تم انتخاب عدد كبير من طلاب المدرسة الحبيبة والأمانية وسائر مدارس أفغانستان لإرسالهم إلى مختلف دول العالم، فسافر عدد منهم إلى تركيا لدراسة الطب، وتوجه عشرة طلاب إلى ألمانيا لتلقى العلوم العصرية، بينما ذهب ستة آخرون إلى "دلهي" بالهند لتعلم صناعة الزجاج[2].

وفى عصر الملك محمد نادر شاه بدأ إرسال البعثات إلى الخارج مجدداً، وذلك بعد أن كان قد توقف بسبب ابن السقا الذى ألغي البعثات العلمية وأعاد الطلاب المبعوثين للخارج دون إكمال تحصيلهم أو إتمام دراستهم[3].

لذلك قامت وزارة المعارف فى سنة 1350 هجرية قمرية الموافق 1930 ميلادية بتوفير أسباب السفر مرة أخرى لهؤلاء الذين ألغيت بعثاتهم، وكانت هذه هى أول دفعة تسافر فى عهد نادر شاه، ثم أرسلت الحكومة بعثة أخرى مكونة من عشرة أفراد فى سنة 1351 هجرية قمرية الموافق 1931م إلى أمريكا وأوربا لتحصيل العلوم العصرية، وفى سنة 1352 هـ ق الموافق 1932 م تم إرسال عدد آخر إلى أوربا وأمريكا أيضاً لدراسة الطلب والزراعة والتعدين وطب الأطفال وغيرها من العلوم[4].

وقد سار الملك محمد ظاهر شاه على نهج والده أيضاً فأولى اهتماماً بالغاً لإرسال البعثات العلمية إلى خارج أفغانستان، وقد تم إرسال أول بعثة فى عهده عام 1355 هجرية قمرية الموافق 1935 ميلادية من طلاب مدرسة الاستقلال والنجاة وبعض خريجى الكليات إلى اليابان لدراسة وتعلم مهن المعادن والنسيج والزراعة والاقتصاد من هذه الدولة، وتوالت بعد ذلك البعثات إلى أوربا وأمريكا والعديد من الدول الأخرى لتلقي العلوم الحديثة، وقد شهد عام 1361 هجرية قمرية الموافق 1941 ميلادية اهتماماً بالغاً من القائمين على الثقافة والمعارف بالنسبة لإرسال البعثات للخارج بحيث كان يتم إرسال خمسة وأربعين

1 - پاینده محمد زهیر - دافغانستان د معارف تاریخ - ص 21، 22.

2 - پاینده محمد زهیر - وآخرون - دافغانستان د معارف تاریخ جلد دوم - ص 23.

3 - أبو العنين محمد فهمي - أفغانستان بين الأمس واليوم - ص 78.

4 - پاینده محمد زهیر - وآخرون - دافغانستان د معارف تاریخ - جلد دوم - ص 27.

شخصاً سنوياً في بعثات علمية، وكانت الدولة تتحمل نفقات ومصروفات هؤلاء الطلاب بالكامل، وقد وضعت الوزارة اللوائح والقوانين المنظمة لذلك، وكان قرار اللائحة أن كل طالب يحصل على البكالوريا بالدرجة الأولى أو الثانية أو الثالثة يتم إرساله إلى الخارج لاستكمال تعليمه، وفي سنة 1376 هجرية قمرية الموافق 1956 ميلادية وضعت الوزارة شرطاً لاجتياز اختبار قدرات قبل السفر حتى لا تنفق أموال الدولة على أشخاص غير مؤهلين، وكذلك حتى لا تهدر أوقات الطلاب في سفر لن يتمكنوا فيه من تحقيق منفعة[1].

وإذا تركنا حركة التعليم سوف نجد أن هناك أمرين آخرين لا يقلان أهمية عن التعليم في العمل على التطور الثقافي ونمو الوعي لدى الشعب الأفغاني، وهما من الوسائل الحديثة التي نشأت مع بداية القرن العشرين وهما: الصحافة والإذاعة، وسوف نعرض لهما بالحديث لنرى مدى تأثيرهما على الشعب الأفغاني بوجه عام وعلى شاعرنا بوجه خاص.

ثالثاً الصحافة:

نشأت الصحافة الأفغانية في سنة 1293 هجرية قمرية الموافق 1873 ميلادية، وقد عرفت أول جريدة تصدر في أفغانستان باسم شمس النهار، و صدر العدد الأول منها في يوم الخميس الموافق الخامس عشر من ذي الحجة من نفس العام وأشرف على تحريرها وإصدارها ميرزا عبد العلي، وهي جريدة أسبوعية، وكانت تصدر في كابل وتستمد أخبارها من المنابع الرسمية للدولة، ومن مطالعة بعض الصحف لأخرى خارج أفغانستان مثل الصحف الهندية[2].

وقد استمر صدور شمس النهار أيضاً في عهد الأمير عبد الرحمن خان تحت رئاسة مولوي عبد القادر الپيشاوري[3].

« وقد ساعد إصدار شمس النهار على نمو الوعي لدى المجتمع الأفغاني، وترتب على

1 - پاينده محمد زهير - وآخرون - دافغانستان د معارف تاريخ - جلد دوم - ص 28، 29.

- مير محمد صديق فرهنگ - أفغانستان درپنج قرن أخير - جلد سوم - ص 652.

2 - عبد الحي حبيبي - تاريخ مختصر أفغانستان - ص 143

- رضا چهر قاني - شعر معاصر أفغاستان از بيدارى تا جمهوري - ص 5 - كابل "بدون تاريخ طبع".

3 - مرتضى أسعدى - وهوشنگ اعلم - أفغانستان مجموعة مقالات - ص 246.

إصدارها أيضاً تأسيس المطابع الحجرية لأول مرة فى أفغانستان مثل مطبعة شمس النهار، ومطبعة مصطفوى ثم ازدادت المطابع بعد ذلك فى عصر عبد الرحمن خان، ثم دخلت ماكينات الزنكوغراف والتبوجراف فى عصر حبيب الله خان »[1].

تم تتابع بعد ذلك صدور الصحف والجرائد فصدرت صحف كثيرة أهمها على الإطلاق جريدة" سراج الأخبار" التى صدرت سنة 1326 هجرية قمرية الموافق 1906 ميلادية فى عهد الأمير حبيب الله خان، وهى جريدة أسبوعية - وقيل نصف شهرية - تصدر فى خمسة عشر صفحة، وكانت فى بداية صدورها تحت إدارة مولوى عبد الرؤوف القندهارى المدرس فى المدرسة الملكية، ولكن توقف إصدارها بعد نشر العدد الأول نتيجة لضغط حكومة الهند البريطانية، وفى عام 1331 هجرية قمرية الموافق 1911 ميلادية، تم إصدارها مجدداً برئاسة محمود الطرزى[2].

« وكان الطرزى يسمى بحق أبا الصحافة الأفغانية وقد اعتنى فيها الطرزى بنشر التحقيقات العلمية والأفكار التى تعنى بيقظة الشعب وتقدمه الثقافى، وحتى يعرف علماء بلاده وهم قلة قليلة بالمظاهر العلمية ورقى العالم، فقد ترجم آثارا من اللغات الأوربية إلى اللغة الدرية مثل مؤلفات جول فيرن الفرنسى، ومجموعة من الأدب العالمي، كما ترجم أيضاً حرب الروس واليابان، وقد ألف بنفسه مؤلفات خاصة تدور حول السياسة والأدب والأخلاق، وكان للطرزى أسلوب جديد فى النظم والنثر، فقد كان يكتب بلغة سهلة فصيحة هى أقرب إلى اللغة العامية فى كابل »[3].

« وفى عام 1434 هجرية قمرية الموافق 1922 ميلادية سافر إلى فرنسا كوزير مفوض

---

1 - د. عفاف السيد زيدان - شاعر أفغانستان المعاصر خليل الله خليلي - ص 33.

2 -عبد الحي حبيبي - جنبش مشروطيت در أفغانستان - ص 25، 26 چاپ كابل 1372 هـ ش.

- مير محمد صديق فرهنگ - أفغانستان درپنج قرن أخير - جلد سوم - ص 484.

- رضا چهر قاني - شاعر معاصر أفغانستان از بيدارى تا جمهورى - ص 6.

- سر محقق غلام حسين فرمند - دو ملك الشعراي همروز گـار - ص 17.

3 - .د. عفاف السيد زيدان - شاعر أفغانستان المعاصر خليل الله خليلي - ص 32

- عبد الحي حبيبي - جنبش مشروطيت در أفغانستان - ص 162.

- پوهاند سيد سعد الدين هاشمي - تاريخ معاصر أفغانستان - ص 56.

فانتهز الفرصة وأقام علاقات ثقافية بين فرنسا وأفغانستان، وأنشأ مدرسة فرنسية وشجع البعثات العلمية إلى فرنسا »[1].

ولم يكن الطرزى صحفيا فحسب بل كان أيضاً مفكراً وأديباً وشاعراً ومترجماً وسياسياً.ورجل دولة، ويرى النقاد أنه لو كان سير الصحافة الأفغانية قد استمر على نهج محمود الطرزى لكانت الصحافة فى أفغانستان أفضل فى عصرنا الحالي، فقد فتح الطرزى من خلال إصداره " لسراج الأخبار" آفاقاً حديثة فى الصحافة لم تكن معروفة من قبل [2].

ويمدح شاعرنا قارى عبد الله خان محمود الطرزى وجريدة سراج الأخبار موضحاً فضل مقالاته على الأمة الأفغانية وذاكراً أن لها الفضل فى إطلاع الشعب الأفغانى على أخبار العالم وخاتماً بالدعاء له ولجريدته بالدوام والاستمرار فيقول:

- إن محمود ذلك المدير الفاضل والعالم نافذ البصيرة، الذى يشى طابعه المستنير بامتلاك ناصية الكلام.
- ويتجسد كمال الفن فى آثار قلمه، ومن رسالته المضيئة تتبدى مرامى الكلام.
- اعتلى الكلام أسمى مكانة من فيض كتاباته، أجل فكتاباته تجل من شأن الكلام.
- ومن آثار قلمه الغزير الإنتاج، نبتت فى روضة الفن بساتين الكلام.
- وقد دوى نفير الصور من صرير قلمه، أجل فإن قلمه قد أحيا روح الكلام.
- صار "سراج أخباره" منارة للفضل والفن، ومثل الشمس المضيئة جاء هذا الكلام.
- إن الأمة تدين بالفضل لقلمه، الذى فاض عليها بالمعرفة وفنون الكلام.
- لقد صار الوطن مطلعاً على أخبار العالم، لأنك أدرجت فى جريدتك أنباء العالم والكلام.
- ومن فيض مقالاتك يفتخر فنون القول، فبفضل هذه المقالات تحرر من قيود الكلام.
- أنت تاجر الكلام ورأس مالك العلم والفضل، ومن كل حدب وصوب تقصدك

1 - خليل الله خليلي – ص33.

2 - د. آمال حمزة محجوب – محمود الطرزي رائد الصحافة الأفغانية - ص 317 بحث منشور - بمجلة الدراسات الإنسانية - العدد التاسع يناير 2012م.

قوافل الكلام.

- فا لتظل آثار رسالتك باقية أبد الدهر، طالما ظلت فى الدنيا روح الكلام[1].

ويمكن اعتبار عصر أمان الله خان أزهى عصور الصحافة فى أفغانستان ففى هذه الفترة وقع حادثان مهمان في الحياة السياسية والثقافية لأفغانستان: **الأول هو** صدور أول دستور فى أفغانستان عام 1344 هجرية قمرية الموافق 1924 ميلادية وتضمنت المادة الحادية عشرة من هذا القانون، حرية التعبير والصحافة، وإقرار حق طبع الصحف للحكومة والمواطنين الأفغان فقط، ويكون الإشراف والرقابة على الصحف الأجنبية للحكومة.

والآخر هو: صدور قانون الصحافة عام 1348 هجرية قمرية الموافق 1928 ميلادية، وعلى هذا النحو أصبح للمرة الأولى فى أفغانستان صحافة بحكم القانون، وبالطبع لا يجب التصور بأن قانون الصحافة كان يكفل الحرية الكاملة للتعبير، بل إنه كان هناك مواد فى هذا القانون بإمكانها تحديد حرية التعبير، ففى هذا القانون جرى تضمين بعض المواد بعقوبات على الصحف، ومع ذلك فإن تطبيق الدستور وقانون الصحافة أسهم كمًّا وكيفاً فى انتشار الصحافة فى أرجاء البلاد[2].

وعلى أثر ذلك توالى صدور الصحف والجرائد والمجلات فى عهد أمان الله خان ومن بعده فى عهد نادر خان ومحمد ظاهر شاه، ففى ذلك لعصر صدر أكثر من خمس عشرة جريدة فى أفغانستان سواء من طرف الدولة أو عن طريق أفراد مستقلين وأهم هذه الصحف:

1. جريدة "أنيس" وهى جريدة نصف شهرية وقد صدرت فى عام 1347 هـ ق الموافق 1927م فى كابل وهى من الصحف الخاصة كانت تصدر تحت إدارة غلام محيى الدين أنيس وعدد صفحاتها اثنتا عشرة صفحة، وكانت تصدر باللغتين الفارسية والپشتون.
2. جريدة "إصلاح" وهى جريدة أسبوعية وقد صدرت عام 1349 هـ ق الموافق 1929م.[3].

---

1 -كليات قارى ص· 275 .

2 -د. آمال حمزة محجوب – محمود الطرزي رائد الصحافة الأفغانية ص 308 .

3 -أفغانستان – مكتب الصحافة والاستعلام بالسفارة الملكية الأفغانية – ص 101.

- مرتضى أسعدى – وهو شنگ اعلم – أفغانستان مجموعة مقالات – ص 247.

- محمد عبد الفتاح إبراهيم – أفغانستان – ص 61 – القاهرة 1998م.

3. جريدة "هيواد" وقد صدرت فى عام 1369 هـ ق الموافق 1949 م باللغة اليشتون، ومعنى هيواد بالپشتون أى الوطن.
4. جريدة "پامير" وقد صدر أول عدد لها عام 1371 هـ ق الموافق 1951م وكان يصدرها المجلس البلدى فى كابل.
5. جريدة "كابل تايمز" وقد صدرت فى عام 1381 هـ ق الموافق 1961 م وكانت تصدر باللغة الإنجليزية، حتى يستفيد منها الأجانب المقيمون بكابل وعدد صفحاتها أربع صفحات.
6. جريدة "پيام إمروز" وقد صدرت فى عام 1385 هـ ق الموافق 1965م.
7. جريدة "وحدت" وصدرت فى أواخر عام 1385 هـ ق الموافق 1965م وهى جريدة إسبوعية.

وهناك أيضاً جريدة خلق وأخبار مردم وأخبار عرفان ونسيم سحر ونوروز وأمان أفغان ومساوات[1].

المجلات:

وهناك أيضاً العديد من المجلات التى صدرت فى هذا العصر أهمها:

1. مجلة " آئينه عرفان" وقد صدرت للمرة الأولى عام 1344 هـ ق الموافق 1924م وهى تعالج الموضوعات التربوية والعلمية والأدبية والتاريخية وتصدر باللغتين الفارسية والپشنونية.
2. مجلة " آريانا" وقد صدرت عام 1364 هـ ق الموافق 1944م، وتعالج الموضوعات التاريخية والأدبية فى أفغانستان وتصدر بالفارسية.
3. مجلة "أردوها" وقد صدرت عام 1341 هـ ق الموافق 1921م، وهى تعالج

---

1 -مير محمد صديق فرهنگ - أفغانستان درپنج قرن أخير - جلد سوم - ص 557.
- سيد حسن أحمدي نـژاد - سيماي كابل - ص 74.
- صفا إخوان - تاريخ شفاهي أفغانستان - ص114، 115.
- محمد هنائي عبد الهادي - أفغانستان الحديثة - ص 36.

الموضوعات العسكرية وتصدر باللغة الفارسية وتصدرها وزارة الدفاع الأفغانية.

4. مجلة "الفلاح" وقد صدرت عام 1350 هـ ق الموافق 1930م وتصدرها وزارة العدل.

5. مجلة "أدب" وصدرت عام 1373 هـ ق الموافق 1953م وتصدرها كلية الآداب وهي تعالج الموضوعات الأدبية وتصدر بالفارسية والپاشتو.

6. مجلة "اقتصاد" وتصدر أسبوعياً، وقد صدرت عام 1351 هـ ق الموافق1931م باللغتين الإنجليزية والفارسية وتعالج شئون البلاد الاقتصادية.

7. مجلة "تعليم وتربيت" وقد بدأ إصدارها عام 1368 هـ ق الموافق 1948 م وتصدرها وزارة المعارف.

8. مجلة "حقوق" وقد صدرت عام 1365 هجرية قمرية الموافق 1945 ميلادية وتعالج الموضوعات القانونية وتصدر باللغة الفارسية والپشتو.

9. مجلة "أفغانستان" وقد صدرت عام 1381 هـ ق الموافق 1961م وتصدرها جمعية الدراسات التاريخية باللغتين الفرنسية والإنجليزية[1].

كما ظهرت الصحافة النسائية فصدرت صحيفة "إرشاد نسوان" عام 1342 هجرية قمرية الموافق 1922ميلادية وهي صحيفة مختصة بمعالجة شئون المرأة وتصدر في ثمان صفحات وكانت تصدر أسبوعياً.

وهناك أيضاً مجلة "مير من" وهي تعالج أيضاً شئون المرأة وتصدر باللغة الفارسية[2].

هذا بالإضافة إلى صحيفة "الأطفال" التي صدرت سنة 1339 هـ ق الموافق 1919م وهي أول صحيفة أفغانية تصدر للأطفال، وقد تأسس في كابل ما بين عامي 1928م إلى 1960م ما يقرب من ستة وثلاثين مجلة، وكان استعمال المطبوعات في أفغانستان محدوداً حتى

---

1 -مير محمد صديق فرهنگ- أفغانستان در پنج قرن أخير - جلد سوم - ص 652.
سيد حسن أحمدي نـژاد - سيماى كابل - ص 75.
صفا إخوان - تاريخ شفاهى أفغانستان - ص115، 116.

2 -سيد محمد خير خواه - أفغانستان ضعفها وقوتها - ص 141.

قبل عام 1979م وبعد هذا العام ازداد عدد الجرائد والمجلات بشكل ملحوظ(1).

وإلى جانب الجرائد والمجلات نجد أن هناك أيضاً الجمعيات العلمية والثقافية التى يرتبط عملها بالمراكز الأدبية والثقافية فى كابل وأهمها:

- **جمعية كابل الأدبية:** التى تأسست فى عام 1351 هجرية قمرية الموافق 1931 ميلادية بواسطة مجموعة من علماء ومثقفى أفغانستان وتحت رئاسة محمد أنور بسمل، وقد أصدرت هذه الجمعية مجلة كابل الأدبية، وقد ظلت هذه المجلة لمدة عشر سنوات تعد هى الأفضل فى نشر أخبار المنطقة(2).

وكان لهذه المجلة تقدير عظيم فى نفس شعرنا قارى عبد الله خان، فقد نظم بعد أدائه فريضة الحج وهو فى طريقه إلى أرض الوطن، حيث مرت عليه ثلاثة أشهر دون أن يعرف أى شيء عن وطنه لأنه لم ير مجلة كابل طوال تلك الفترة.

قائلاً:

- يا رياح الصبا أليس هناك أخبار عن سرور كَويا؟، فأبلغيه منى السلام والتحية.
- وحين تحملين رسائل الأحبة فيما بينهم، احملى رسالة باسمي إليه.
- قولى له إننى فى اشتياق شديد لصحبة الأحباب، وبلغى تحيانى إلى أصدقائه ومحبيه.
- مرت أشهر ثلاثة لم أر خلالها "مجلة كابل"، فاحملى إليها حنينى وتقديرى.
- وقولى لسرور كَويا كيف أصبحت صامتاً، بالله عليكى أبلغيه رسالة الغرباء(3).

- **جمعية لغة البشتون:** وقد أنشت الدولة هذه الجمعية لأجل ترويج هذه اللغة وجعلها اللغة الرسمية لأفغانستان بعد أن كانت اللغة الدرية هى اللغة الرسمية وقد بدأ أمر هذه الجمعية فى قندهار ثم انتقل إلى كابل عام 1355 هجرية قمرية الموافق 1935 ميلادية وقد أعدت هذه الجمعية فصول لتعليم لغة البشتون فى المدارس.
- **الجمعية التاريخية:** وقد تأسست على يد مجموعة من الكتاب وتحت رعاية

1 -سيد حسن أحمدي نزاد – سيماي كابل – ص76.

2 -مير محمد صديق فرهنگ - أفغانستان درپنج قرن أخير – جلد سوم – ص601.

- سيد حسن أحمدي نزاد – سيماى كابل – ص 76.

3 -كليات قارى ص 173)

إدارة المطبوعات، وهناك أيضاً.

- **جمعية دائرة المعارف، جمعية شعر وأدب**: وغيرها العديد من الجمعيات العلمية والثقافية التى اهتمت وعنيت بتطوير الوعى الثقافى لدى الشعب الأفغاني[1].

رابعاً الإذاعة:

وإذا انتقلنا من الصحف والمجلات نجد أن من أهم وسائل تثقيف الشعوب فى أى بلد هى الإذاعة، فإلى جانب كونها وسيلة ترفيهية فهى أيضاً تنقل الأخبار والثقافات بين الشعوب المختلفة.

ولقد بدا التفكير فى الإذاعة فى أفغانستان منذ عهد أمان الله خان، ففى سنة 1345 هجرية قمرية الموافق 1925 ميلادية بدأت فى كابل محطة إذاعة على الموجة الطويلة "100 فولت" لمنح سكان العاصمة لوناً من الثقافة والترفيه والتوجيه، وكانت الآمال معقودة على أن يتم مستقبلاً تجديد محطة الإذاعة لتعمل فى مدى أوسع، وفى سنة 1347 هجرية قمرية الموافق 1927 ميلادية بدأت الحكومة الأفغانية مفاوضاتها مع شركة فرنسية، إلا أن كل هذه المباحثات انتهت بالثورة العارمة ضد أمان الله خان وفى سنة 1357 هـ ق الموافق 1933 م أدرجت الحكومة ضمن مشروعها الأول "للسنوات الخمس" إقامة محطة إذاعة، وقامت بعدة مباحثات انتهت بالاتفاق مع شركة ألمانية لإنشاء محطة بقوة عشرين "كيلو وات" تذيع على موجة متوسطة، وفى أكتوبر 1359 هـ ق 1939 م بدأ "راديوا كابل" إذاعاته التجريبية الأولى وافتتحت دار الإذاعة رسمياً فى مارس سنة 1360 هـ ق الموافق 1940 م، ولكن ظروف الحرب "العالمية الثانية" حالت دون متابعة التقدم والنهوض بالإذاعة بسبب عدم استيراد الأجهزة التى تقرر أن تقوم بإعدادها الشركة الألمانية، فلما انتهت الحروب أدرجت الحكومة الأفغانية ضمن مشروع السنوات الخمس الثانية

---

1 -علي أكبر دهخدا – لغت نامه – جلد 39 – ص10.

- سيد حسن أحمدي نـژاد – سيماي كابل – ص 76، 77.

تقوية أجهزة الإرسال، وبخاصة للموجات، القصيرة مع إعداد خمسين جهاز استقبال فى الولايات المختلفة على أن يشتمل المشروع أيضاً بأن يكون فى كل قرية على الأقل مكبر صوت، وتبدأ الإذاعة إرسالها يومياً من الصباح حتى المساء، وتستند برامج إذاعة كابل إلى حصيلة طيبة من القصص والأغانى والموسيقى الشعبية والمسرحيات، بالإضافة إلى المعلومات التاريخية والجغرافية، والزراعية والتجارية والأخبار الداخلية والخارجية، وكل تلك البرامج مقتطعة من مراحل تاريخ البلاد، وذلك لإذكاء روح القومية ولرفع معنويات الشعب، وتذيع محطة كابل باللغتين القوميتين الفارسية والپشتون، وذلك إلى جانب بعض الغات الأجنبية كالإنجليزية والفرنسية والعربية والأوردية[1].

وقد أنشد قارى بمناسبة اقتراب افتتاح نادى الإذاعة قائلاً:

- إن الإذاعة التى هى أساس فهم وإدراك الناس، أصبح صوتها الحسن باعث لثورة الناس.
- إن موجاتها القصيرة والطويلة المنتشرة فى مئات الذبذبات، تنقل الأخبار الحديثة لأسماع الناس.
- ولقد أصبحت أخبار تراثنا وتاريخ السابقين، متاحة لآذان الناس.
- ومن كثرة ما تحكى عن أوضاع العالم كل لحظة، سوف تنزع القطن سريعاً من آذان الناس.
- من ألحانها المطربة وأنغامها البليغة دون كلمات، تزداد ثورة وأنين الناس.
- لو هكذا يعالج جهازها الصمم، لن ترى بعد ذلك صمماً يحجب أسماع الناس[2].

---

1 -علي أكبر دهخدا - لغت نامه - جلد 39 ص 10.

محمد عبد الفتاح إبراهيم - أفغانستان - ص 62، 63.

سيد حسن أحمدي نـژاد سيماى كابل - ص 78.

أفغانستان - مركز الصحافة والاستعلام بالغار الملكية الأفغانية - ص104.

2 -كليات قارى ص 370)

خامساً الفكر والأدب:

وإذا انتقلنا إلي بيان حركة الفكر والأدب وخاصة الشعر وحاولنا التعرف على تطوراته والمؤثرات فيه ووسائل نشره فسنقف على الحقائق التالية:

فى القرن الثانى عشر الهجرى القمرى وخلال فترة الضعف والانحطاط التى مر بها الشعر فى إيران فى العصر الصفوي، خرجت من أصفهان وما حولها الدعوة إلى إحياء أسلوب المتقدمين وأخذوا يقلدون فى الغزل أساتذة السبك العراقى المعروفين وخاصة سعدى المتوفى(691 هـ ق الموافق 1271 م) وحافظ المتوفى(719 هـ ق الموافق 1299 م) وفى القصيد قلدوا شعراء الدولة السامانية والدولة الغزنوية مثل الرودكى والعنصرى المتوفى(431 هـ ق الموافق1039 م) والفرخى المتوفى(429 هـ ق الموافق 1037 م)، أما شعراء أفغانستان فقد مالوا إلى تقليد السبك الهندي[1] تأثراً بالشاعر الكبير عبد القادر بيدل [2]. شاعر الهند ذائع الصيت[3].

وقد وضع النقاد للسبك الهندى مميزات عديدة أهمها

- ابتكار المضامين والمعانى والموضوعات الجديدة التى لم يسبق إليها أحد.
- كثرة استعمال الكناية والاستعارة .
- دقة الخيال .

---

1 - ولقد اختلفت الآراء حول مؤسس هذا السبك الهندي وانحصر الخلاف بين " عرفي الشيرازي " وبابا فغاني" - ذبيح الله صفا تاريخ أدبيات در إيران – ص528 – جلد پنجم – تهران1362هـ ش – محمد حقوقي – أدبيات امروز إيران – ص 379 – تهران 1377 هـ ش

2 - بيدل: هو ابو المعاني عبد القادر بن عبد الخالق بيدل ولد فى مدينة عظيم آباد بالهند عام 1054 هـ ق الموافق 1632 م وتوفى فى دهلى عام 1133 هـ ق الموافق 1711 م ودفن فى ساحة منزله ثم نقلت رفاته إلى قرية "خواجه رواشي" بالقرب من كابل، وهو من أصل مغولي تلقى العلم حتى ظهر نبوغه فى الحكمة والشعر وعكف على القراءة وقرض الشعر ، وكان موضع تقدير وكرم سادات عصره وقد طبعت كلياته فى كابل – د. محمد محمد يونس – حكاية الملك والساحر – ص 34 – وما بعدها – القاهرة 1993.

3 -رضا چهر قاني – شعر معاصر أفغانستان ازبيداري تا جمهورى – ص3.

د. عفاف السيد زيدان – شاعر أفغانستان المعاصر خليل الله خليلي – ص 30.

- حسن الأمين – دائرة المعارف الإسلامية الشيعية– المجلد الثالث – ص 278.

- اللجوء إلى الغموض والإبهام كنتيجة للإسراف في استعمال الاستعارات الصعبة والكنايات المبهمة .
- المبالغة والإغراق.
- اشتماله على الكثير من الحكم السائرة والعبارات العامية والأمثال.
- استعمال الألغاز والأحاجي.
- وصف الطبيعة المقترن بأحاسيس الشاعر ومشاعره.[1].

وقد أحدث الإسلوب الهندى انقلاباً كبيراً فى عالم الآداب الفارسية، وبعث نوعاً من الفكر الجديد والخيال الطريف في ميدان الأدب والشعر، وترك تأثيراً كاملاً في شعراء أفغانستان وظل الكثير منهم ينظمون على هذا الإسلوب منذ القرن العاشر الهجري[2].

وكان مرجع ذلك وسببه هو الافتتان والإعجاب بشعر بيدل فقد كان قادة سدوزائى وقادة محمدزائى يقيمون مجالس لقراءة شعر بيدل تسمى "بيدل خواني" بالإضافة إلى أن المهاجرين مما وراء النهر إلى أفغانستان كانوا يحملون الإعجاب والتقدير للسبك الهندي، ويرجع ذلك أيضاً إلى إعجابهم ببيدل، فقد جرى أهل ما وراء النهر أيضاً على إقامة مجالس كل أسبوع لقراءة أشعار بيدل وشرح سيرته وأحواله[3].

« وهناك أيضاً عدد من الشعراء مالوا إلى تقليد السبك العراقى والخراسانى نذكر من هؤلاء الشعراء سيد مير المتوفى "1322 هـ ق الموافق 1902م" الذى قلد خاقانى الشيروانى المتوفى"595 الموافق1198م"، وكذلك واصل الكابلى المتوفى" 1309هـ ق الموافق 1889م" الذى جود السبك العراقى بغزليات جميلة أحيا فيها غزليات حافظ المتوفى "719 هـ ق الموافق 1299 م"، وفيما بعد وجد عدد من الشعراء والكتاب سار على نهج السلف

1 -د. عبد العزيز مصطفى – السبك الهندي فى الشعر الفارسي – ص 19. - دار الثقافة العربية 1986م.
علي مير فطروس – تاريخ در أدبيات – ص58 – چاب باريس 2000م.
- Yar shater, Ehsan "The indianar safavid style, progress or Decline"? in person literatar, pp. 252, 253.
- سيروس شميسا – سبك شناسى شعر – ص 287 وما بعدها – چاب نهم - تهران 1382 هـ ش.
2 -حسن الأمين – دائرة المعارف الإسلامية الشيعية – المجلد الثالث – ص278.
3 -.د. عفاف السيد زيدان – شاعر أفغانستان المعاصر خليل الله خليلي – ص31.

سواء في النظم أو النثر وقد أنتجوا آثاراً تذكرنا بأشعار الفرخي والعنصري ونثر البيهقي والعروضي »[1]

ويمكن القول إن الشعر الدري في أفغانستان ابتداء من عهد أحمد شاه بابا "1160هـ ق الموافق 1740 م" حتى نهاية حكم الأمير عبد الرحمن خان (1180 هـ ق الموافق 1901 م) قد سار على نهج أساتذة الشعر القدامى، وخاصة أصحاب السبك الهندي، لا فرق في ذلك بين المضامين الفكرية أو الصيغ العروضية، على أن تأثير بيدل لم ينقطع وإنما امتد بعد ذلك حتى شمل النصف الأول من القرن العشرين فوجدنا من يقلده مثل، عبد العلي مستغني المتوفي "1352 هـ ق الموافق 1932م"، وقاري عبد الله خان وعبد الحق بيتاب المتوفي "1347 هـ ق الموافق 1968م"، فقد اتبعوا في أشعارهم التطور الجديد، ولكن كانت أشعارهم وخاصة الغزليات منها بالسبك الهندي[2].

« ثم دخل الشعر والأدب مرحلة جديدة بدخول أفغانستان معركة الاستقلال والحرية ضد الاستعمار الإنجليزي، فقد ألهب الكفاح الشديد لنيل الاستقلال والحرية عواطف الشعراء وألهمهم النظم في موضوعات جديدة تتمثل في الشعر القومي الملتهب بنار الحرية والاستقلال، وبذلك عادت روح أشعار الحماسة وشعر الحرب التي كانت شائعة بكثرة في الأدب الفارسي، مثل الشهنامات القديمة "وخداى نامة" ولقد اختفت هذه الروح منذ التيمورين حتى أوشكت أن تندثر، إلى أن جاء شعراء فترة الكفاح بين الأفغان والإنجليز فأعادوا هذه الروح وأخذوا ينقلون وقائع الحرب التي خاضها الأفغان ضد الإنجليز، وقد حفظ لنا التاريخ بعض هذه الآثار مثل أكبر نامه لحميد كشميري، وقد

---

1 - دائرة المعارف الإسلامية الشيعية المجلد الثالث ص 279.

- محمد كاظم كاظمي – شعر پارسى - ص 90.

- رضا چهر قاني – شعر معاصر أفغانستان از بيداري تاجمهوري ص 4.

2 -أحمد جاويد – سخن سرايان أفغانستان از اغاز قرن دوازدهم تانيم دوم قرن چهاردهم هجرى – ص 109 – دانشگاه تهران 1334 هـ ش.

H.L. De Dianous, "la litterature afghane de language persane," orient, 1964, p.138 – 144.

- مرتضى أسعدى وهوشنگ اعلم – أفغانستان مجموعة مقالات – ص 247.

- محمد كاظم كاظمي – شعر پارسى – ص 91، 92.

جرى فيها على وزن شهنامة الفردوسي، وحبيب القصائد لمحمد عزيز خان محمد زائى وجنگ نامه لمحمد غلامى، ومن الملاحظ أن عناصر التجديد لم تشمل الصنعة العروضية وإنما شملت فقط المضامين والأفكار»[1].

ومع ظهور جمعية الشباب اليقظ "جوانان بيدار" سنة 1367 هجرية قمرية الموافق 1947 ميلادية التى كانت تدعو إلى الإصلاح والتجديد اشتدت حركة الصراع بين القديم والجديد وبدأت الدعوة إلى تحديث الشعر الأفغانى تزدهر منذ سنة 1380 هـ ق الموافق 1960 م وأثمرت عن ظهور كتاب " الشعر الجديد" سنة 1383 هـ ق الموافق 1963م الذى ألف باللغتين الدرية والپشتو كما ظهرت فى العام نفسه ثلاث مجموعات من الشعر الحديث، أسهمت فى زيادة الجدل بين أنصار القديم والحديث، ومع استقرار الأوضاع السياسية اتسع المجال للشعراء النابهين أمثال خليلى المتوفى "1407 هـ ق الموافق 1987م" وبارق شفيعنى المولود سنة "1310 هـ ق الموافق 1931م" وغيرهم لكى يضعوا أسساً جديدة للشعر الأفغانى الحديث، على أن هذه الأسس كانت تختص بموضوعات الشعر عنها فى أسلوبه، فرغم أن كل واحد من الشعراء المجددين قد عرض نماذج من أشعاره الجديدة فإن شعر كثير من الشعراء لم يقدم فى الحقيقة ابتكاراً إلا فى القافية، ومع الممارسة وتكرار المحاولة اتسع مجال التجديد فشمل الوزن إلى القافية[2].

---

1 - د. عفاف السيد زيدان - شاعر أفغانستان المعاصر خليل الله خليلي - ص32

مير محمد صديق فرهنگ - أفغانستان درپنج قرن أخير - جلد سوم - ص 562 - وما بعدها.

عبد الحي حبيبي - جنبش مشروطيت در أفغانستان - ص 67 - 1372 هـ ش.

2 -محمد كاظم كاظمي - شعر بارسي - ص 94.

أ.د. محمد السعيد عبد المؤمن - أفغانستان - ص 110.

الباب الثانى

حياة قارى عبد اللّه خان

الفصل الأول

بيئة قارى عبد الله خان ونشأته

أولاً : البيئة الجغرافية للشاعر

يجدر بنا قبل البدء فى الحديث عن شاعرنا قارى عبد الله خان أن نحدد البيئة الجغرافية التى نشأ بها ، وهى مدينة كابل ، فقد ولد بها وتلقى ثقافته فيها وعمل فيها بالعديد من الوظائف المهمة، وعاش بها طوال حياته إلى أن توفى و دفن فى ثراها .

موقع كابل وتاريخها ووصف أماكنها :

كابل هى عاصمة أفغانستان ، وتقع بين خط العرض الشمالى43 درجة و 30 دقيقة وخط الطول الشرق 69 درجة و 13 دقيقة، وعلى ارتفاع 1762 قدماً من سطح البحر فى واد خصب.[1]

وتبلغ مساحة كابل الحالية حوالى 4.462 كيلو متراً مربعاً، ويبلغ عدد سكانها حوالى 3.138.100 نسمة.[2]

وتمتاز كابل بموقع إستراتيجى ممتاز منذ أقدم العصور، كما كانت تحتل مركزاً تجارياً مرموقاً لوقوعها على طريق الحرير الرئيسى ، وهى اليوم تعتبر مركز البلاد إداريا

---

1 - علي أكبر دهخدا لغت نامه جلد 39 ص 10 جاب 1365 هـ ش

أفغانستان بلاد الإسلام –ص32 - إصدار لجنة دعم شعب أفغانستان بلجيكا1981 م.

حسن الامين دائرة المعارف الإسلامية الشيعية المجلد التاسع ص 314 .

2 - هذه البيانات من على الرابط الالكتروني ويكيبيديا، الموسوعة الحرة

واقتصادياً وثقافياً، وهى أكبر مدن أفغانستان وأكثرها جمالاً وأفضلها موقعا [1]

وكابل بفتح الكاف وضم الباء الموحدة ولام ، و تسمي " كابلستان" و "كابل شاه" وقد أطلق عليها الرحالة الصينيون القدماء اسم "كاوفو" وأطلق عليها اليونانيون اسم "ارتوسبانا " بمعنى القصر العالي[2] وتقع كابل فى الإقليم الثالث ، طولها من ناحية الغرب مائة درجة وعرضها من جهة الجنوب ثمان وعشرون درجة، وهى ولاية كبيرة ذات مروج كبيرة بين الهند وغزنة [3]

وذكرها ابن خرداذبه من ثغور طخارستان [4] وذكرها الإصطخرى مدينة من عمل الباميان [5]

وأشار إليها القزوينى بأنها مدينة مشهورة من بلاد الهند وأهلها مسلمون وكفار ، وأن الشاهية لا تنعقد إلا بكابل، وإن كان بغيرها فلا يصير واجب الطاعة حتى يصير إليها ويعقد له الملك هناك ، ويجلب منها النوق البخاتى وهى أحسن أنواع الإبل .[6]

وأسماها اليعقوبى كابل شاه، ووصفها بأنها تقع بين مدينة بلخ العظمى وبين الباميان

وبأنها مدينه منيعة حصينة لا يصل إليها لما دونها من الجبال الشاهقة والأودية الصعبة والقلاع المنيعة ولها طريق من كرمان، وطريق من سجستان[7] وقال ابن حوقل : وكابل من أعمال الباميان وهي مدينة لها قهندز حصين منيع وإليها طريق واحد، وفيها المسلمون ولهم ربض فيه الكفار واليهود ، ويرتفع من كابل القطن الحسن ، وبها معادن كثيرة ويقع بها الثلج .[8]

---

1 - أبو العنين محمد فهمى - أفغانستان بين الأمس واليوم ص110 .

- حسن محمد جوهر , عبد الحميد بيومي – أفغانستان – ص110 - دار المعارف القاهرة 1961 م.

2- Government and society in Afghanistan by hasan kawunkakur p.135 - 1979.

3 - ياقوت الحموي معجم البلدان ج4 ص426 بيروت 1977 م .

4 - ابن خرداذبه المسالك و الممالك ص 37 ليدن 1889 م .

5 - الإصطخري المسالك و الممالك ص 277 الطبعة الأولي ليدن 1937 م .

6 - زكريا ابن محمد بن محمود القزوينى آثار البلاد وأخبار العباد ص243 بيروت "بدون تاريخ" .

7 - اليعقوبي البلدان ص 290 ليدن 1981 م.

8 - ابن حوقل النصيبى كتاب صورة الأرض ص 376 بيروت لبنان 1992م.

وقال الإصطخرى لها قلعه حصينة و لها طريق واحد وفيها المسلمون ، ولها ربض به الكفار من الهنود[1]وذكر ابن الفقيه إن كابل تتاخم " زرنج " قصبة " سجستان "[2] ووصفها ابن بطوطة فقال : كابل مدينة كبيرة يسكنها الأفغان ولهم جبال وشعاب وقوة وبأس وجبلهم الكبير يسمى " كوه سليمان" وتروى الأساطير أن الملك صعد على ذلك الجبل فنظر إلى الهند وهى مظلمة فرجع ولم يدخلها فسمى الجبل باسمه [3]

وقال عنها عبيد الله بن قيس الرقيات :

ولقد غالنى شبيب وكانت ... فى شبيب مغيلة ومغالة
غلبت أمه عليه أباه ... فهو كالكابلى أشبه خالة

وقال الأعشى وأطلق على أهل كابل اسم كابل :

ولقد شربت الخمر تر ... كض حولنا ترك وكابل
كدم الذبيح غريبة ... مما يعتق أهل بابل.

و تقع كابل بواد خصب وسط جبال مرتفعة وتحيط بها القلاع التى تقوم فوق المرتفعات التى يصل ارتفاعها إلى أربعة آلاف متر، ويحيط بكابل جبل پغمان[4] شرقاً ويعثر فى ضواحيها على الكثير من آثار العصور التاريخية القديمة، فقد عاش فى هذه المنطقة حكام وأمراء الإغريق و الهونيين و الهنود ، وتطل من أعالى المرتفعات فى تلك المنطقة تماثيل بوذية ضخمة ماثلة للعيان ، ويعود القسم الأكبر من سور المدينة إلى عصور ما قبل الإسلام ويمر فيها نهر كابل [5] وهو رافد من روافد نهر الآندس (نهر مهران)، ويتكون من التقاء جدولين ينحدران من جبال الهندوكش وهى الجبال التى فى شمال كابل، وعند

1 - الإصطخري المسالك و الممالك ص280 .

2 - ابن الفقيه مختصر البلدان ص 162 ليدن 1967م

3 - ابن بطوطة تحفة النظار و غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ص 437 باريس 1874 م .

4- پغمان : احدي ضواحي كابل الصيفية وهى تقع على بعد 27 كيلو متر غرب كابل وتشتهر بجبالها التى تنحدر من فوقها المياه البيضاء التى تشبه أسلاك الفضة وبها العديد من الحدائق المناظر الطبيعية الجذابة سيد حسن احمدى نژاد سيماى - كابل ص31 .

5 - حسن الأمين دائرة المعارف الإسلامية الشيعية المجلد الثالث ص265

منبعه الشرقى جبل الفضة وقد سماه العرب (بنجهير) ومنه يستخرج مقدار كبير من هذا المعدن الثمين،ويعتبر نهر كابل أهم أنهار أفغانستان وهو دائم الجريان، ويعبر من وسط المدينة فيمنحها طراوة و جمال خاص ، وهو يلتوى بين شوارعها على شكل حرف(S)، وتقوم المبانى العصرية المكونة من دورين على كلا ضفتي النهر، ومجراه الأعلى ضيق و سريع الجريان كثير الجنادل و الشلالات ، بينما مجرياه الأوسط والأدنى متسعان يرويان سهولا تشتهر منها كابل العاصمة، جلال آباد ، بشاور فى باكستان ، ويجتمع بنهر " كند " فى المقاطعة الشرقية ويصب فى نهر السند [1] ولروافده أهمية كبرى لأنها تروى مناطق شاسعة بالإضافة إلى أنها طرق تجارية وعسكرية تخترق الجبال بين الهند والهضبة الإيرانية ، وهمزة وصل بين أفغانستان و باكستان . [2]

وعن نهر كابل يقول قارى عبد الله خان :

- يعم الخير أرجاء الوطن من نهر پل مستان الفياض، فقد وهب الحياة للناس بمائه الفياض.
- وازدانت البساتين أيضاً على ضفافه الفياضة ، يا رب كيف توازن "رسم" قوس حاجب نهر پل مستان . [3]

وقد كانت كابل منذ أقدم العصور معبرا للفاتحين والغزاة من مختلف بلاد العالم، وكانت بمثابة المكان الذى تتجمع فيه الثقافات والحضارات المختلفة (الهند واليونان والفرس والمغول) ثم تنتقل منه إلى مكان آخر ، فقد انتقلت منها ثقافة العرب و الفرس إلى الهند ، كما انتقلت منها ثقافة الهند و الصين الى بلاد فارس. [4]

---

1 - علي اكبر دهخدا لغت نامه جلد 39 ص 19

. كي لسترنج بلدان الخلافة الشرقية ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد - ص389 – (بدون تاريخ طبع)

.R . Gopalakrishnan - The geography and politics of Afghanistan -NEW DELHI p.p 17 -

- حسن محمد جوهر , عبد الحميد بيومي -أفغانستان – ص101 .

محمد آصف فكرت أفغانان - ص 109 - الطبعة الأولي مشهد 1367 هـ ش .

2 - أفغانستان بلاد الإسلام ص 11 .

3 - كليات قارى ص 320

4 - أبو العنين محمد فهمي أفغانستان بين الأمس و اليوم ص107

د. محمد عبد القادر أحمد المسلمون فى أفغانستان ص 20

ويقول المؤرخ اليوناني هيرودوت : لقد كان لبضائع كابل وسلعها المختلفة مشترون و طلاب كثيرون و أسواق طيبة في اليونان والروم ، وكانت كابل مركزا لتجارة اللازورد.[1]

ومن المسلم به أن مدينة كابل كانت موجودة في فترة اليونانيين، ولكن من الذى شيدها ومتى شيدت ، فذلك أمر لم يعرف بعد وكل ما أمكن التوصل إليه أنها كانت موجودة قبل أن يصل اليونان إلى أفغانستان، ويرجح بعض المؤرخين أنها بنيت سنة 770 ق م [2]

وقد سار الإسكندر سنة 329 قبل الميلاد من فارس إلى الهند وقضى الشتاء قرب كابل وهناك أوجد نواه الإمبراطورية الرومانية ، التى تركت آثارها فى ثقافة المنطقة ، ثم جاء من بعدها إمبراطورية كوشان المتحضرة التى امتد حكمها من سنة 120 قبل الميلاد إلى سنة 350 ميلادية والتى وصلت البوذية فى عهدها إلى أفغانستان، وقد تقدمت كابل فى عصر الكوشانيين عمرانيا و ماديا ، كما كانت مركزا روحيا و مذهبيا مهما .[3]

على أن الحضارة الإغريقية البوذية لم تلبث أن اجتثت من البلاد بفعل جيوش الإسلام، فى القرن السابع والثامن الميلاديين، وتحول السكان إلى الإسلام .[4]

وفى أوائل الفتح الإسلامى كان ملوك كابل يلقبون ب (رتبيل) وكان حكمهم ونفوذهم يمتد أحيانا حتى يشمل جنوب شرق الهندوكش حتى حدود الهند،وجاء فى " هفت إقليم" أن الفاتحين العرب اكتفوا بأخذ الخراج من ملوك كابل، إلا أن يعقوب بن الليث الصفارى مؤسس أسره الصفاريين (المتوفى عام 265 هجرية قمرية الموافق 845 ميلادية) استطاع فى القرن التاسع الميلادي، بعد حروب دامية أن يستولى على كابل استيلاءً تاماً سنة 256 هجرية قمرية الموافق 836 ميلادية وان يجعلها جزء من المملكة

---

1 - مكتب الصحافة و الاستعلام بالسفارة الملكية الأفغانية ص70 القاهرة 1960م

2 - أبو العنين محمد فهمي أفغانستان بين الأمس و اليوم ص 107

3 - محمد عبد الفتاح أفغانستان ص 24 .

4 - نفس المرجع ص25.

الإسلامية ([1]) ولكن بمجرد سقوط الأسرة الصفارية عاد إلى كابل حكم الحكومات المحلية من جديد، واستطاع ملك غزنى "سبكتكين" فى سنة 397 هجرية قمرية الموافق 977 ميلادية أن يخضع كابل، ومنذ ذلك الوقت انتقلت العاصمة وما لها من أهمية من كابل إلى غزنى ، وفى سنة 659 هجرية قمرية الموافق 1239 ميلادية وصل جنكيزخان إلى غزنى وبذلك سقطت كابل فى يد جحافل المغول ([2]) وفى السنوات بين 1220 ، 1226 ميلادية حطم جنكيزخان كل آثار الحضارة فى بلخ و هرات و كابل و غزنى [3]

وقد تواتر على حكم كابل العديد الحكام وشيدوا بها قصورا منيفة للترف و التمتع وأقاموا نهضة عمرانية ما تزال آثارها باقية حتى اليوم ، وكان أول من سعى إلى إعمار كابل وتوسيعها هو الملك ظهير الدين محمد بابر الذى استولى على كابل عام 951 هجرية قمرية الموافق 1531 ميلادية [4]

وكان بابر يحب كابل كثيرا ، وترك ذكريات مؤثره كتبها عن هواء كابل و ماؤها وفاكهتها و أزهارها.[5] وبعد أن أصبح لأفغانستان اسم وكيان يعرف باسمها فى عهد أحمد شاه بابا مؤسس الأسرة الدرانية (والمتوفى عام 1187هجرية قمرية الموافق 1773 ميلادية) جاء بعده ابنه الأمير تيمور (المتوفى عام 1207 هجرية قمرية الموافق 1793 ميلادية) واتخذ خطوات في إعادة بنائها و تجميلها ، وفى عام 1196 هـ الموافق 1776 م اتخذت كابل مقراً رسمياً للملك ونقلت إليها الدواوين والإدارات من قندهار ومنذ ذلك العهد وكابل العاصمة تخطو نحو الرقى و الحضارة خطواتها الثابتة الحثيثة،[6] وقد تطورت كابل بعد ذلك من جميع الجوانب وأصبحت عاصمة للبلاد على الرغم من

1 -الگرديزى زين الأخبار ترجمة د. عفاف السيد زيدان ص 202 الطبعة الأولى القاهرة 2006 م.

2 - مكتب الصحافة و الاستعلام بالسفارة الملكية الأفغانية - ص74 .

3 - محمد عبد الفتاح أفغانستان ص 25.

4 - سيد حسن احمدى سيماى كابل ص 22 .

5 - حسن الأمين دائرة المعارف الإسلامية الشيعية المجلد التاسع ص 315 .

6 - سيد حسن احمدى سيماى كابل ص 22 .

مكتب الصحافة و الاستعلام بالسفارة الملكية الأفغانية - ص71.

الضربات المتلاحقة لهذه المدينة إثر الحوادث والوقائع الكثيرة خاصة خلال الأعوام من 1263 إلى 1359 هجريه قمرية الموافق 1843إلى1939ميلادية حيث وقعت صدامات بين السدوزائيين والباركزائين، كما تعرضت هذه المدينة لضربات كثيرة موجعه في زمن شيرعلى خان وأخواته، وأخيراً أصابها ما أصابها في الحروب الأهلية بين الشيوعيين و بعد ذلك بين المجاهدين ولا تزال مصائبها حتى هذه الساعة. [1]

مناخ كابل

ومناخ كابل تابع لمناخ سائر بلاد أفغانستان، فهي من المناطق التي ترتفع فيها الحرارة صيفا وتكون البرودة فيها قارصة في فصل الشتاء ويكثر فيها تساقط الجليد ويستمر حتى نهاية الفصل[2]

وفي وصف قسوة شتاء كابل يقول قاري:

- إذا ما انزويت عنا أيتها الشمس، يخيم على رؤوسنا موسم البرد والشتاء .
- فإذا كان النسيم قبل ذلك واهباً للحياة، فإنه قد أصبح الآن رياحاً عاتية تعجل بفنائنا .
- إننا نموت من شدة البرد، لو خلعنا الفراء عن رؤوسنا وأجسادنا ولو للحظة .
- لقد كان القلب دافئاً من نار الشوق، آه فقد خبت نيراننا من قسوة الشتاء .
- لقد أجلستنى هذه الأربعين[3] في زاوية منعزلاً، إذ لم يكن دفء صحبة الحبيب مؤنساً .

---

1 - حسن الأمين دائرة المعارف الإسلامية الشيعية المجلد التاسع ص 315 .

2 - علي اكبر دهخدا لغت نامه جلد 39 ص 11.

3 - چله : الأربعين وهى على نوعين الأولى" چله بزرگ "الأربعينية الكبرى وتستمر مدة أربعين يوما تبدأ من أول شهر دى ويكون البرد فيها شديدا قاسيا لكنه ليس في ذروته والثانية " چله كوچك" وتسمى الأربعينية الصغرى تجاوزا لأنها لا تدوم أربعين يوم كاملة بل تستمر في رأى البعض عشره أيام من أول اسفند وعند البعض الآخر عشرين يوم من شهر بهمن وفيها يبلغ البرد ذروته ، ويكون في أسوأ درجاته التى لا تحتمل حيث يشتد الصقيع وهطول الثلوج والأعاصير وتكاد الحياة تموت ليس في العراء فقط، بل وربما كذالك في داخل البيوت ويشتد خلالها فزع الخلق لقرب نفاذ المؤن ومواد الوقود من طول الشتاء . سيد أبو القاسم شيرازى عادات وتقاليد الشتاء في آذربيجان ترجمه د. آمال على حسن سلامه الجزء الثانى ص 19 القاهرة 1993 م .

- وسأظل حبيس هذه العزلة الأربعينية ، ما دام هذا الجليد الأبيض ينهمر بشدة فوق
- رؤوسنا.
- وكلما ازداد هطل هذا الجليد بشدة فوقنا متراقصاً، فانه يضعف أجسادنا النحيلة الهزيلة.
- ولقد فقدنا القدرة على التحمل والصبر، أيتها الأربعينية لقد قيدت حركتنا.
- ولقد ذاب قلبى كالماء من هيبة الجليد، فبالله عليك لا تذب أجسادنا أكثر من هذا .
- أصبح الكرسى[1] أمامك كالجبل الثقيل، آه من هذا الجبل الذى حد من حركتنا .
- من كثرة ما أخذ الثلج من قوة أبصارنا، أصبح الكحل ملازماً لأعيننا .
- أيها الشتاء لقد تحاملت علينا كثيراً، فارحم قليلاً ضعف قلوبنا .
- ولقد عانى القلب الذى مزقته، فإلي متى ستظل أوراق سجل حياتنا مضطربة ([2])

أما ربيع كابل فهو معتدل ولطيف، والسبب فى ذلك أن الطبيعة الجبلية والمياه الجارية والعيون العذبة، والواحات الخضراء والحدائق المزهرة الجميلة كل هذه العوامل منحت كابل الجمال والصفاء [3]

وفى وصف ربيع كابل يقول قارى عبد الله :

- ما أجمل أوقات السعادة فى ربيع هذه الأرض المزهرة ، وقد صار فى يد البستانى باقات من الزهور و أغصان الياسمين .
- فى تلك اللحظة تكون الأمانى فى قلب الفلك ، ما أجمل أن تكتحل عيناى بمعرفتها.

أصير مثل العاشقين والعارفين أسيرا بالروح

- لا يسر خاطرى فقط من جمال التجوال فى البستان ، بل كلما ذهبت إلى اى جهة فيه

---

1 - صندلى بمعنى الكرسي هو مكان تتجمع حوله أفراد العائلة الأفغانية في الشتاء ، وهو عبارة عن موقد كبير مغطى بملاءة كبيره محشوة بالقطن وتشبه اللحاف، وإذا كانت العائلة ذات ثراء , فان الكرسي يكون عادة مغطى بالفواكه الجافة والمكسرات من مختلف الأنواع . - أبو العنين محمد فهمي - أفغانستان بين الأمس واليوم ص 214 .

2 - كليات قارى - ص 198 .

3 - سيماى كابل – ص19.

-علي اكبر دهخدا لغت نامه جلد 39 ص 11.

يقع بصرى على سرو وياسمين .

- أتحدث عن سنبله وأترك الختن [1]، ومن وصف شقائقها يصبح الحديث

- ألوانا و أشكالاً .

يتورد الخد محمراً " دامياً " من السير في حديقة أرغوانه [2]

ضواحى كابل :

[بُست] بضم الباء وسكون السين المهملة والتاء المنقوطة ذكرها الإصطخرى وابن الفقيه من مدن سجستان [3]وقال السمعانى إن بست مدينة تابعة لكابل بين هرات وغزنة وهى بلدة جميلة كثيرة الخضر والأنهار والبساتين .[4]

[جردان] دال مهملة وآخره نون، بلدة صغيرة قرب كابلستان بين غزنة وكابل .[5]

[الساج] بالجيم مدينه بين كابل و غزنيين .[6]

[جروس] بالضم ثم السكون و فتح الواو و سين مهملة ، قال اليعقوبى: مدينة كابل العظمى التى يقال لها "جروس " افتتحها عبد الرحمن بن سمرة فى خلافة عثمان ابن عفان رضى الله عنه [7]

[بنه] بالفتح ثم التشديد مدينة بكابل غزاها المهلب بن أبى صفرة سنة 44 هـ ق أيام

---

1 - الختن : هو اسم قديم لمنطقة فى التركستان الشرقية أو الصين وتشتهر بالغزلان التى يأخذ منها المسك
حسن عميد فرهنگ عميد ص 545 چاپ دوزدهم 1377 تهران.
(وكأن الشاعر يريد أن يقول إن الرائحة التي تفوح من سنابل شجرة السرو هى أذكى من رائحة المسك الذي يجلب من منطقة الختن) المترجم

2 - كليات قارد ص 320 .

3 - الإصطخري المسالك و الممالك ص235 , ابن الفقيه مختصر البلدان ص 208 .

4 - السمعاني الأنساب ص 224.

5 - ياقوت الحموي معجم البلدان ج2 ص 56 .

6 - اليعقوبي البلدان ص 289

7 - اليعقوبي البلدان ص291

ـ آمال حمزة محجوب أثر البيئة الأفغانية و العصر علي شعر عبد العلى مستغنى (رسالة دكتوراه) ص 38جامعة الأزهر القاهرة 1422 هـ 2001 م .

معاوية بن أبى سفيان وهى مدينة بين كابل و الملتان [1]

[خُشَّك] بضم أوله وتشديد ثانيته و آخرة كاف ، بلدة من نواحى كابل قرب طخارستان [2]

[شاه بهار] يذكر أن الفضل بن يحيى بن خالد البرمكى ولى خراسان للرشيد عام 167هـ ق الموافق 792 م، ووجه إلى أرض كابل شاه جيوشاً يقودها إبراهيم بن جبريل ، وفتح مدن كابل ومنها "شاه بهار" التى فيها الصنم الذى يعبدونه فهدم و حرق.[3]

كما ذكر اليعقوبى أن من مدن كابل: الغوروند ، فج غوروند ، كاوسان ، المازران ، صرخرد .[4]

المساجد :

تذخر كابل بالعديد من المساجد الكبيرة الرائعة الطراز و المزينة بالنقوش والزخارف الجميلة من أهمها :

مسجد" شاه دو شمشير "،مسجد جامع عليا، مسجد پل خشتى،مسجد جامع ملا محمود، مسجد جامع كَذرى، مسجد عيد كَاه، مسجد جامع چوب فروشيَ، مسجد دوازده امام،مسجد جامع محمديه، مسجد جامع جمال منيه،مسجد جامع شير بور،مسجد باغبان باشى مسجد مجنون شاه،مسجد ميرهاى ده افغانان ،مسجد همت يار خان، مسجد غزنويها،مسجد إمام خميني ،مسجد حضرت فاطمة
مسجد حضرت زينب [5]

---

1 - ياقوت الحموي معجم البلدان ج1 ص747

2 - ياقوت الحموي معجم البلدان ج - 2 ص446 .

3 - آمال حمزة محجوب أثر البيئة الأفغانية و العصر علي شعر عبد العلى مستغنى - ص 38 .

4 - اليعقوبي البلدان ص291. .

5 -علي اكبر دهخدا لغت نامه جلد 39 ص 13.
سيماى كابل ص 123 ،124، 125 .

الآثار التاريخية :

قلعة بالاحصار :

تعد قلعة بالاحصار من أهم الآثار التاريخية فى كابل،وقد بنيت هذه القلعة على ربوة عالية تعرف باسم " تل الزمردة" فى السفح الشرقى من جبل " شيردروازه " وقد عرفت فى العصور السابقة على الإسلام بمبانيها القوية، وكانت مقسمة إلى قسمين العلوى والسفلى وهو الأهم، وكان عبارة عن مدينة صغيرة قوية البنيان حولها أسوار عالية وأبراج يحيط بها خنادق من جهاتها الأربع، وكانت مقراً للحكم و الديوان والمدفعية وجميع عتاد الحرب.[1] وعندما سيطر العرب على بلاد العجم، كانت كابل تحت حكم أمراء محليين، حتى جاء غزو جنكيزخان على المدن العامة بإيران وخراسان و ما وراء النهر وأشعل النار بها واحدة تلو الأخرى ، وقامت جيوشه بقيادة ابنه جغتاى بحصار كابل، وفى عام 786 هجرية شمسية الموافق 1389 ميلادية اتخذ بعض حكام المغول من قلعة كابل مقراً لحكمهم، وكانت القلعة في يد جيوش الأمير تيمور كوركان، وبعد ذلك تركها لأبنائه ، شاهرخ، بير محمد جهان كير وأحفاده، ويمكن القول إن قلعة بالاحصار ظلت مركزاً عسكرياً محكماً لمدة تربوا على الستمائة عام .[2]

وفى عام 908 هجرية شمسية الموافق 1525 ميلادية كانت القلعة تحت تصرف بابر شاه الكوركانى الذى يرجع نسبه إلى تيمورلنك، وقد استقر بها هو وأبناؤه ونقش بابر أسفل سقفها رسومات عن فتوحاته فى الهند، وظلت تحت إمرته إلى أن انتزعت الدولة الصفوية إيران و قندهار وكابل من قبضتهم ثم جاء نادر شاه الأفشارى واستولى على إيران وقندهار وفتحت جيوشه بالاحصار، وبعد مقتل نادر تولى الحكم أحد قادته وهو أحمد خان الدرانى ثم تبعه ابنه تيمور شاه، وقام بنقل العاصمة من قندهار إلى كابل، ومن هنا أعيدت الحياة للقلعة مرة أخرى كما اتخذ من قلعة بالاحصار مقرا للحكم و أقام

---

1 - أفغانستان بين الأمس و اليوم - ص 320

2 - هذه البيانات من علي الرابط الإلكتروني

http://www.jadidonline.com/story/08092010/frnk/kabul_bala_hissar

بها العديد من الأبنية الجديدة مثل قسم الحريم ،الملاعب، أماكن لحفلات الفن و الطرب والشعر، ومكان لتمرين الجنود، وسجون، مذابح للحيوانات، منازل صغيرة في الطابق السفلي، مكاتب للوزارات وغيرها، ولا يزال يوجد في المدينة حتى الآن قبرا للأمير تيمور شاه، وقد ظلت القلعة هكذا حتى تم تخريبها على يد الإنجليز في الحروب التي قامت بين الإنجليز والأفغان، وقد أعاد بنائها الشهيد نادر شاه وفيها الآن الأكاديمية العسكرية وبعض الكليات العسكرية الأخرى .[1]

ويتحسر قارى على ما آلت إليه قلعة بالاحصار من خراب و دمار قائلاً :

- ظل لسنوات عديدة على مر العصور خراباً، جدار تلك القلعة الملكية قلعة بالاحصار.
- إن جدار بالاحصار ذلك الحصن القوى المنيع، كان به قصور مجللة من ذكريات الملوك .
- كانت أماكنها منازل لأسود الأفغان، المقاتلين الشجعان الذين يقبضون على الخناجر.
- تلك القلعة التى كانت معالمها عظيمة، هى تذكار عن عظمة بلاط الملوك المشهورين
- كان دليلا على شأن ملوكها وعظمتهم، الذهاب مشياً على الأقدام من الأبواب ذات السلاسل .
- إن رؤية القلعة بمعالم برجها و جدارها، تظهر و توضح عظمتها التاريخية
- تلك القلعة التى كانت أرجائها أماكن للنزهة، للأسود الشجعان الرجال المحاربين .
- لقد كان للفرسان الشجعان كر وفر أسفل ذلك المكان، أثناء سباقهم على الجياد السريعة.
- إن القلعة التى كانت قد خربت بسبب ظلم الأعداء، مر على تخريبها مائة ليل ونهار من الدهر .
- لقد سقطت القلنسوة من رأس الشمس وقت التنزه، فماذا أقول عن الأبراج العالية لهذا الحصن.

1- هذه البيانات من علي الرابط الإلكتروني
http://www.jadidonline.com/story/08092010/frnk/kabul_bala_hissar .
حسن الأمين دائرة المعارف الإسلامية الشيعية المجلد الثالث ص 265 .
- محمد عبد الفتاح أفغانستان ص 46 كتب سياسية الكتاب رقم 181 مدرية الثقافة بأسيوط القاهرة (بدون تاريخ طبع).

- لست وحدى من وصف هذا الحصن المرتفع كالفلك، فقد استخدم أيضاً صائبنا[1] هذا المعنى فى وصفه .
- لقد جاءت جدرانه الملفوفة كالثعابين ملتوية، لكن اللبنة من هذا الحصن تساوى كنزا .
- لقد أصبح البنيان العالى خرابا من الظلم،ولم يوضع على مر العصور حجرا فى أساسه .
- أصبحت بيوتها صحراء وحدائقها بيداء وإيوانها اثر تحت الأرض، وأصبحت حديقتها المليئة بالورود مزرعة للأشواك .
- إن أغصان القصر الذى كانت تبنى فيه طيور السعادة عشها، أصبح خرابا إلى حد أن فر منه البوم فى النهاية .
- ومناظرها الجذابة التى كانت لديها أنهار فى وقت من الأوقات، أصبح ماؤها سرابا بسبب ظلم الأيام وجفائها [2]

حديقة بابر شاه

وتقع فى الناحية الشمالية الشرقية من منطقة "چهار دهى" أنشأها الملك بابر على مسافة ستة فراسخ من مدينة كابل ، وعلى حافة جبل "شير دروازه" و أقام بها حدائق جميلة بديعة وزرع فيها العديد من الأشجار المختلفة ونتيجة لحبه العميق لكابل ، إنه حينما أصيب بالمرض فى مدينة "آكره" بالهند تذكر كابل وأوصى بأن ينقل جثمانه إليها ويدفن بها ، وبناء على أوامره أيضا نقل جثمان جده من أرض الهند إلى العاصمة كابل ودفن فى حديقته الشهيرة .[3]

باغ علم و كَنج "حديقة العلم والكنز" :

ويعد هذا الأثر البديع أيضاً من آثار الملك بابر، وقد أنشئت هذه الحديقة عام 925 هـ ش بناء على رغبة الملك بابر فى جانب جبل " شيردروازه " وأنشئ له عرش مصنوع من صخرة

---

1 - يقصد الشاعر الكبير صائب التبريزى المتوفي (1279 هجرية قمرية الموافق 1859 ميلادية)
2 - كليات قاري ص 216 .
3 - محمد آصف فكرت أفغانان ص48 - مشهد الطبعة الأولى 1367 هـ ش.

لينزل فيها ويشاهد من هذا العرش المناظر الطبيعية الجذابة لكابل، ويقال إنهم أنشأوا حوضاً بهذا العرش وكتبوا عليه :

- ما أجمل الربيع والمحبوب الذى يسلب القلب!، فهيا يا بابر لتستمتع بالحياة والحب والطرب لأن الدنيا لا تعود مرة أخرى. (1)

كَلباغ "حديقة الزهور":

وهى إحدى الحدائق المعروفة فى كابل، وتقع على بعد عشرين كيلو متراً من المدينة، وهى حديقة ذات شكل رائع جذاب حيث يعبر منها نهر كابل مما يزيد من جمالها.

باغ سپهسالار:

تقع هذه الحديقة على ربوة مرتفعة، على بعد كيلوا متر من كابل، وهى من الحدائق المهمة من حيث أنواع الورود والأشجار والخضروات الموجدة بها. (2)

چهل استون "الأربعون عموداً"

- وهو يقع على مسافة اثنى عشر فرسخاً جنوب غرب كابل على ربوة عليه(3)

بنچشير "الأسود الخمسة":

- وهو واد ذو مناخ جميل يقع على بعد 27 كيلو متراً من كابل، وبه العديد من المعادن والأحجار الكريمة منها الذهب والفضة والزمرد. (4)

تپه تاج پخش:

- وهى منطقة تاريخية على بعد كيلومترين من كابل، على هضبة عالية وهى من الآثار القديمة. (5)

---

1 - سيماى كابل ص29 لغت نامه جلد 39 ص17

2 - دهخدا جلد 39 ص 17 . سيماى كابل - ص30

3 - سيماى كابل ص 30 .

4 - سيماى كابل ص32 .

5 - لغت نامه جلد 39 ص 17 .

مسجد سنكَى در باغ بابر :

تعتبر بقايا هذا المسجد من أعظم آثار " شاه جهان " خامس ملوك الأسرة الكوركانية من نسل" بابر " فى كابل ، وقد تم بناؤه فى نهاية عام 1056 هـ ش 1677ميلادية ، وتوجد بالقرب من المسجد مقبرة بابر .[1]

دار الأمان :

- وهو قصر كبير بناه الملك أمان الله خان وقد بنى هذا القصر وسط حديقة غناء وهو من الآثار التاريخية المهمة. [2]
- متحف كابل :

وقد بنى متحف كابل سنة 1927 ميلادية، وهو مليء بالآثار ، ويعتبر هذا المتحف من أغنى متاحف آسيا .[3]

وفى وصف كابل أنشد قارى عبد الله خان قائلاً :

- ذلك الوطن منبع الطمأنينة إن رؤيته تمنحنى الروح، ويحيى قلبى نسيم الصباح من روضة أزهاره .
- ومن رؤية حدائقه وأنهاره تتضح الجنة للنظر، ما أجمل قصر العشرة الكابلى وأطرافه الجبلية .
- لو نضبت المعادن من جباله، كان ملجأ أمن أمتنا فى جباله .
- لا تقل إن ليس فى سهوله مناظر خلابة، فلقد أحاطت الخضرة أطراف جباله من كل زاوية .
- لا تقل إن العالم لا ينظر إليه فى تعظيم و إكبار، فهو ينظر بعين الاحترام إلى
- آثاره فى كل مكان .

---

1 - أفغانستان بين الامس و اليوم ص 320 .

2 - سيماى كابل ص 33 .

3 - محمد عبد الفتاح أفغانستان ص 46 كتب سياسية الكتاب رقم 181 مديرية الثقافة بأسيوط القاهرة .(بدون تاريخ طبع).

- وهو ينظر مندهشاً إلى جباله الشاهقة المهيبة، وان لم ينظر إلى رفعة برجه الفلكى .
- إن شمسه فى وقت الصباح تشبه البرتقالة فى النظر، وسعة إقليمه تشبه خاطرا بلا أحزان .
- وجوه في اللطافة يشبه طبعاً متفحصاً، وحصونه الطويلة المتعرجة تشبه ثعباناً خرافياً.[1]

ثانياً : البيئة العائلية

التعريف بقارى عبد الله خان

هو عبد الله خان المتخلص بالقارئ [2]

وقد ولد قارى عبد الله خان عام 1288 هجرية قمرية الموافق 1247 هجرية شمسية الموافق 1869 ميلادية فى مدينة كابل [3]

ووالده هو الحافظ قطب الدين، كان من العلماء المعروفين فى أفغانستان فقد كان عالماً وأديباً، وعن علم والده يقول قارى.

- ليس لى نصيب من عظمة علم والدى، حينما يكون هناك مجال للفخر بالعلم والأدب.[4]

وهو من أسرة متوسطة الحال فى كابل، اشتهرت بالعفة والتقوى والورع، وقد رحل عنه والده وهو صبى صغير[5]

---

1 - كليات قاري ص 320.

2 - قارى عبد الله خان كليات قارى (مقدمه) مقالة السردار فيض محمد خان زكريا ص8 ـ

3 - سر محقق غلام حسين فرمنده دو ملك الشعراي همروز گـار - ص 34

4 - كليات قارى ص269

5 -كليات قارى مقدمة ص9 مقالة الأستاذ گوياي اعتمادي

ـ سر محقق غلام حسين فرمنده دو ملك الشعراى همروزگـار - ص34

يقول قارى:

- لم أر كيف تكون عاطفة الأب، فقد رحل عني والدى وأنا ما زلت صبياً صغيراً.[1]

ولقد صمتت المصادر تماماً عن ذكر أية معلومات تتناول طفولة قارى وحياته بعد وفاة والده، ولولا أنه ذكر النذر اليسير من هذه المعلومات فى أشعاره لكانت حياته مستغلقة عنا تماماً، لكن هذه الأشعار هى الأخرى لم تقدم لنا إجابات كافية حول كيفية رعاية قارى وكفالته عقب وفاة والده وهو لم يزل بعد طفلاً صغيراً.

وقد أنجب شاعرنا ستة أبناء، أربعة من الذكور واثنتين من الإناث وهم [2]

1 - عبد الغفار قارى:

وهو الذى قام بتدوين كليات والده بعد وفاته ويذكر السيد محمد زهير فى مقدمة هذه الكليات: "إن من عين الوفاء القيام بمهمة عظيمة وهى تدوين وترتيب ديوان الأستاذ العظيم ملك الشعراء المرحوم قارى عبد الله خان بمعاونة ومساعدة ابنه السيد عبد الغفار قارى الذى ساعدنى فى جمع هذه الكليات" [3]

2 - عبد الفتاح قارى:

وله تقريظ فى نهاية كليات قارى كتب فيه (المنة لله عز وجل لأننى ابن لشخص قد اهتم طول مراحل عمره بكسب العلم والمعرفة، والزهد والتقوى والتعليم والتحصيل الذى استفاد منه وأفاد به أبناء وطنه، ولقد تم تقدير وتكريم أبى بما يليق به من الحكومة فى حياته وبعد مماته) [4]

---

1 -كليات قاري ص269

2 -هذه البيانات أخذتها عن طريق السماع من - إذاعة بى بى سى راديو لندن - على لسان السيد عبد القيوم قارى احد أبناء شاعرنا. http://www.bbc.co.uk/persian/afghanistan/story/2008

3 -كليات قاري (مقدمه) مقالة الأستاذ محمد زهير - ص1

4 -كليات قارى مقالة السيد عبد الفتاح قارى - ص512

3 - دكتور واحد قارى[1]

4 - عبد القيوم قارى

وقد كان يعمل فى وزارة الخارجية لمدة ثلاثة عشر عاماً قضى بعضها فى كابل وبعضها فى ولايات أخرى .[2]

وقد سافر أحد هؤلاء الأبناء فى حياة الشاعر إلى لندن، وبعد فترة من سفره اندلعت الحرب العالمية الثانية وانقطعت أخباره فتملك الحزن والأسى قلب قارى

فأنشد يقول:

- الآن أصبحت ذليلاً من قسوة الحياة، فقد آلمنى فراق ابنى وهد كيانى وحطمنى .
- ولقد أظلمت الدنيا أمام عينيَّ، لأن قرة عينى قد رحل عني.
- لقد مضى على سفره أربع سنوات، وأخشى أن يمضى العمر وابنى فى سفر
- انقضى شطر من حياتى وأنا فى انتظار، اللهم لا تنتهى حياتى قبل أن أرى قرة عيني.
- لقد سقطت أوربا والطريق خطير، ولا تصل إلى رسالة من ابني.
- تحارب أوربا بعضها البعض ووقع هو فى الحصار، فهل أشتكى من الفلك أم من حظ ابنى العاثر.
- لا يذهب أحد إلى لندن عوضاً عنه ولا هو يأتي، وإننى غريق فى الحزن لعدم مجيئه ليلا ونهاراً.
- لقد طال سفر ابنى كم تكون سعادتى، عندما يصل إلى خبر عن وصوله المبارك[3]
- أما ابنتاه : فقد توفيت إحداهما أثناء حياته وقد حزن قارى حزناً شديداً لفراقها

---

1 -وقد قام كل من عبد القيوم قارى وواحد قارى مؤخراً بالمشاركة في حفل لإحياء ذكري ملك الشعراء قارى عبد الله الذي أقامه مركز (كانون فرهنگ أفغانهای) في مدينه إستراسبورگ بفرنسا - وذلك في يوم السبت الموافق السادس من شهر فبراير عام 2010 ميلادية.

2 -http://www.bbc.co.uk/persian/afghanistan/story/2008

3 -كليات قاري ص 270 .

فأنشد يقول:

- لقد احترقت بنيران فراق ابنتي العزيزة، وتصاعدت أدخنة الحزن من كبدي حزناً عليها.[1]

وخلاف هذه الأشعار حول فقده لابنته فلقد صمتت أشعار قاري صمتاً مطبقاً عن الحديث حول نساء عائلته، فلم نجده يتحدث عن أمه، و هل هي التي كفلته بعد موت أبيه، وأيضا لم نجده يذكر زوجته ولا ابنته الأخرى في شعره، ولم نعرف أسماءهن ولا أية معلومات عن دورهن في حياة قاري .

ولم يكن حظ الكتابات الأخرى حول قاري وشعره أفضل حالا، فلم نتمكن من التوصل إلى أي من المعلومات التي تفيدنا في ذات السياق، سواء من مقدمات كلياته أو من خلال بعض الكتابات القليلة التي تناولت حياة قاري وشعره، حتى أنني لم أجد بغيتي في الحوار الإذاعي الذي سجل مع ابنه عبد القيوم قاري، عبر إذاعة " B B C " اللندنية، والذي تحدث من خلاله عن حياة والده وأشعاره،لكنه لم يذكر شيئا عن المرأة في حياة قاري .[2]

وعن علاقة قاري بـأبنائه يقول عبد القيوم : إن قاري كانت تربطه بأبنائه علاقة ذات طابع خاص فقد كان دائم الحوار معهم في شتى مناحي الحياة، وكان يعلمهم القرآن الكريم وتفسيره باللغة الفارسية، وكان يبث فيهم الكثير من علمه وثقافته، وأنه كان شخصا محبا لأهل بيته رحيماً بعائلته .

ولقد كان لقاري عبد الله خان شقيقان وثلاث شقيقات، وقد توفوا جميعاً في حياة شاعرنا .

فيقول:

- إن ثلاث أخوات وأخوين قد رحلوا عن حياتي، آهٍ لا يوجد الآن من يشاركني الخير والشر[3]

1 - كليات قاري ص296.

2- http://www.bbc.co.uk/persian/afghanistan/story/2008

3- كليات قاري ص296

وتألم قارى كثيراً لفراق أحد إخوته، كان يسمى "عبد الرسول" وقد توفى فى ريعان شبابه فلم يتجاوز عمره آنذاك الثامنة والعشرين

ويرثى قارى هذا الأخ قائلاً :

- ذهب الصبر من القلب وولت الروح من البدن المكدود، حينما جاء الخبر المشئوم برحيل أخي.
- وصار خاطرنا مكسوراً ووصلنا مقطوعاً، وأصبح القلب بلا قرار وفارقت الراحة أرواحنا.
- يا لقسوة الزمان لقد رحل أخي الصغير، في يوم الجمعة الثانى من أيام عيد الأضحى.
- عجباً كم كان أخي هذا بلا وفاء، كيف رحل دون أن يودعنى.
- تركنى وحدى فى هذا العالم المؤلم، ورحل هو من هذه الدنيا بروح طاهرة.
- لا تتعجب لو أصبح شهر ذى الحجة هو شهر المحرم بالنسبة لنا، فإن موته كان مصيبة حلت على الأسرة.
- وكدمع جرى من عين اليتيم رحل عن أعيننا، عبد الرسول حسن الطلعة نبع الخير.
- عام ألف وثلاثمائة وأربعين إذا زيدت ثلاثة، رحل عن الدنيا ذلك الشاب عن عمر ناهز الثامنة والعشرين[1]

وقد تكبد قارى آلام و أحزان فراق الأهل والخلان طوال حياته، ففضلا عن وفاة جميع إخوته وأخواته زادت فجيعته أيضاً بموت بعض أبناء هؤلاء الإخوة، وهو ما يزال على قيد الحياة.

ويقول فى هذا الشأن :

- وإذا تذكرت فراق أبناء أشقائى وشقيقاتى، تصبح الحياة طوقاً فى عنقى.[2]

ويزخر ديوان قارى بالعديد من أشعار الرثاء لهؤلاء الأقارب وخاصة أبناء الأشقاء، وسوف يأتى ذكره في موضعه من البحث عندما نتحدث عن فن الرثاء في شعره.

1- كليات قاري ص346 .

2- كليات قارى ص 270

- وفاته :

توفى قارى عبد الله خان يوم الجمعة التاسع من شهر ثور عام 1322 هجرية شمسية[1] الثانى من شهر ربيع الآخر عام 1362 هجرية قمرية[2] الموافق عام 1943 ميلادية عن عمر يناهز الخامسة والسبعين فى مدينة كابل، وقد نظم الشاعر الكبير عبد الحق بيتاب تاريخ وفاة قارى فى هذين البيتين قائلاً :

- رحل يوم الجمعة التاسع من ثور، في شهر ربيع الآخر ذلك الجميل الكريم هادى الطباع .
- ولأجل توضيح عام وفاته للجميع، قال هاتف الروح " اجعل مكانه يا رب روضات الجنان ".[3]

كما كتب أيضاً على شاهد قبره :

- فى الثانى من ربيع وفى برج الثور، رحل ذلك الملاك الطاهر.
- نقش بيتاب عام وفاته قائلا، "ليكن مكانه يا رب روضات الجنان".[4]

وإذا نظرنا إلى حساب الجمل[5] نجد أن عدد حروف جملة "جاى وى يا رب بود باغ جنان" التى تكررت فى البيتين السابقين يعادل الرقم " 1362 هـ ق " وهو العام الهجرى القمرى لتاريخ وفاة قارى عبد الله خان.

وقد أنشد الشاعر خليل الله خليلي، فى مراسم تأبينه قائلاً :

- لا ينبعث من هذه الدنيا إلا صوت النواح و العويل، ولا تشدو نغمه متوافقة مع النفس خلف هذه الأستار .

1- كليات قاري ص9 مقالة الأستاذ كوياى إعتمادي
2 - كليات قاري ص 509 - مرثية الشاعر عبد الحق بيتاب
3- كليات قاري ص509 - مرثية الشاعر عبد الحق بيتاب
4- كليات قاري - ص509 - مرثية الشاعر عبد الحق بيتاب
5 -وحروف حساب الجمل هى : أبجد ،هوز ، حطى ، كلمن ، سعفص ، قرشت ، ثخذ، ضظغ .
وتتخذ هذه الحروف بهذا الترتيب في الحساب ويسمى حسابها حساب الجمل وكانت تستعمل للدلالة علي الأرقام المعرفة لأن فيها تسعة أحرف للآحاد وتسعة للعشرات ، و تسعة للمئات وحرف للألف أبو سعيد عبد الحي الگرديزي زين الأخبار ترجمة د. عفاف السيد زيدان القاهرة 2006 م .

- سر مظلم ومبهم خلف هذا النقاب، ولهذا لم تقتحم أذن حرمة هذا السر.
- إن الطائر الذى يقع فى هذه الشباك، لن يطير مرة أخرى حتى يوم الحشر وا حسرتى.
- إن هذا الموت الجائع لا يشبع من أكلنا، ولا يغلق فمه عن ابتلاعنا.
- لم نسمع صوتاً من هذه المحلة الصامتة، ومن مات فإن خبرة لا يأتى مرة أخرى
- فى مدفن هذه الطيور الشادية الفريدة، يا أسفى، لا يتصاعد منها إلا أصوات البوم.
- لم يضحك (قبج) واحد فى هذا الجبل، إلا وانقضت عليه قبضة النسر فجأة
- فلا تبحث عن النعمة الخالدة فى خوان الفلك، فلن يكون إلا البخل والحرص من هذا العجوز الحاقد العينين.
- وخلال مائه قرن لن يأتى فى هذا الملك، خلفاً لحافظ مثل قارينا.
- قد نرى مائه شاعر ينشدون ولكن، لا يوجد بين كل هؤلاء شاعر واحد ممتاز.
- فكل قطرة مطر لن تكون جوهرة نفيسة، وليس بكل شعر تسخر الأفلاك والممالك.
- ولا تستطيع أنفاس كل شفة أن تفعل فعل المسيح، ولا تأتى قدرة الإعجاز من كل قلم.
- وإن كل شعب لا يكرم عظماءه، فإنه لن يكون مرفوع الرأس فى مجمع الأقوام.[1]

ويرثى الشاعر عبد الحق بيتاب قارى قائلاً:

- قارى عبد الله خان شاعر صاحب علم وأدب، ذلك الذى كان فى فن الأدب أستاذ عصره.
- ذلك الذى كان وجهة مضيئاً بنور الزهد والتقوى، ذلك الذى رحل ولن يأتى مثله مرة أخرى فى الدنيا.
- كان أبنا صالح العمل محافظاً على رفعة وطنه، ولهذا فإن فؤاد الوطن يبكى الدماء لفراقه.
- كان يخشى الله عز وجل فى كل ما يجول بخاطره، كان رجلاً زاهداً عفيفاً.
- وحتى وافته المنية لم يهمل فرضاً من فروض الصلاة، هكذا يكون الشخص متدبراً حقاً.

---

1 - د. عفاف السيد زيدان شاعر أفغانستان المعاصر خليل الله خليلي ص143، القاهرة 1402 هجرية 1982 ميلادية

- كليات قاري – ص511.

- يا أسفى يا حسرتى لقد غيب الدهر عنا، ذلك النقى العظيم المنزلة والقيمة وكأنه سبائك الذهب.

- ولقد جلب موته على أهل الوطن آلاماً عظيمة، وحرك رحيله من بعده الغم والأحزان.

- فارتفع صوت النواح والعويل فى كل مكان، فى وداع ذلك العزيز عظيم الشأن.[1]

أما الشاعر محمد طاهر المتخلص بهاتف وهو من شعراء أفغانستان المعروفين فقد كتب فى تاريخ وفاته قائلاً:

- من هو فقيد بحر العلم والفضل، إنه قارى عبد الله خان صاحب الأسلوب الذى يشبه الدر الثمين .

- لقد تساءل شعراء الهند وإيران، من بعده يستطيع أن ينظم الشعر هكذا.

- له خيال مضيء وفهم راقٍ، وأصبحت شهرة أشعاره كالشمس فى الآفاق.

- أسرع ناحية العالم الآخر عن عمر يناهز الخامسة والسبعين

- وفى تاريخ وفاته كتب "هاتفي"، رحمة الله على روح ذلك الشاعر العظيم[2] 1322

وبمناسبة تشييد مقبرة قارى عبد الله ينشد الشاعر الأفغانى شائق جمال قطعة يرثيه فيها قائلاً:

- هنا يرقد قارى بديع الحديث، إن مطالعة قبره أجمل وأبهى من النظر إلى البستان.

- هذه مقبرة الرجل الذى أسعد وطنه بعلمه وفضله .

- فى جوف الأرض يستقر هذا الإنسان هادئاً، كما كانت روحة مطمئنة فى جسده.

- إن هؤلاء الذين يكدون فى خدمة أوطانهم، أوصافهم حسنه جميلة وحديثهم عذب.

- لست وحدى من أغترف من ذلك البحر الذاخر، بل كان علمه وثقافته منهلاً لكل رجل وامرأة.

1- كليات قاري - ص 508 - مرثية الشاعر عبد الحق بيتاب.

2 - كليات قاري ص513 قطعة للشاعر محمد طاهر "هاتفي"

ـ د. آمال حمزة محجوب دراسة حول قاري عبد الله خان وشعره بحث منشور بمجلة كلية الدراسات الإنسانية - العدد 24 عام 2006ميلادي - ص32 .

- يا شائق إن روح قارى هى شعار التقوى بالنسبة لنا، فلتهدأ ولتسعد روحك يا من كنت أستاذى ورائدى ومعلمى.[1]

1 -كليات قارى - ص 511 - مرثية الشاعر شائق جمال

الفصل الثانى

ثقافته وتحصيله – آثاره ومؤلفاته

أولاً : ثقافته وتحصيله

1ـ الروافد الثقافية للشاعر:

حينما ندرس الروافد الثقافية لشاعر أو كاتب، نتناول مدارسه التي درس بها، والمعاهد العلمية التي تخرج فيها، والدواوين التي حفظها واللغات التي يعرفها، وأسفاره التي سافرها خارج وطنه[1]

وسوف أتناول هذا كله في حديثي عن قاري عبد الله خان، وأضيف إليه شيئاً آخر هو وظائفه التي تولاها ؛ لآن تلك الوظائف قد أسهمت في إثراء ثقافته بشكل كبير، فقد كانت وظائف علمية حكمت عليه أن يصقل نفسه ويثريها.

ولكن إزاء شح المصادر التي بين أيدينا في إمدادنا بما نتبلغ به في توضيح ملامح شخصية قارى العلمية، فليس لنا مرجع في ذلك سوي أشعاره، بالإضافة إلى مقدمة كلياته التي تتكون من مجموعة مقالات وتقاريظ كتبها عنه بعض الأدباء والكتاب الذين أسهموا في جمع أشعاره وتدوينها.

لقد نشأ قارى فى أسرة علم وأدب، فكما ذكرنا سالفاً كان أبوه وجده وأعمامه من كبار علماء أفغانستان، وقد تلقي قاري دراسته الأولي على يد والده الذي رباه على حسن الخلق والعفة، واختار له نخبة من الأساتذة العظماء والمعلمين الأكفاء، كان من بينهم (حافظ جي) وهو من أعظم النحاة في أفغانستان، فحصل شاعرنا مقدمات العلوم علي أيديهم ،وبعد أن بلغ سن الرشد وبناء على ذكائه الفطرى وحبه الغريزي للعلم، توجه إلى تحصيل العلوم الأدبية

1- د.عقاف زيدان ـ شاعر أفغانستان خليل الله خليلي ص4

والعربية، فتعلم الفقه والتفسير والحديث وأصول الدين والتجويد و الصرف والنحو، كما تعلم المنطق وعلم الكلام والحكمة القديمة "الفلسفة" ثم أراد أن يصقل نفسه ويخلق كيانه الأدبي والثقافي فدرس علم المعاني والبديع والعروض والقافية ونقد الشعر وسائر العلوم الأدبية، كما حفظ القرآن بتجويده وأحكامه بمنتهي الدقة، ولهذا تخلص بالقارئ[1] كما اجتهد قارى كثيراً فى تعلم خط (النستعليق) ، فأجاده إجادة تامة، وصار يكتب هذا الخط بأسلوب غاية في الروعة والجمال، حتى أنه غطى على خطوط الأساتذة المتقدمين والمتأخرين[2].

وفى هذا الشأن أنشد الأستاذ بيتاب قائلاً:

إن خطه في الحسن والصفاء يشبه وجه الحسان، فهو نفيس وجذاب وجميل ويبلغ منتهي الكمال[3] والدارس لأشعار قارى يجده متأثراً بأشعار كبار الشعراء السابقين، ويتبين له مدى استفادته من أشعارهم ومدي اطلاعه على دواوينهم وحفظه للعديد من أشعارهم ، فقد قرأ قارى دواوين كل من الفردوسى (416 هـ 1025 م) و الفرخى المتوفى(429 ـ1037 م) و العنصرى المتوفى (431 هـ ـ1039م) و سنائى المتوفى 0526 هـ ـ 1131 م) و الخاقانى (582 هـ ـ1185 م) ونظامى الكنجوى (599 هـ ـ1202 م) و سعدى (691 هـ ـ 1291م) و حافظ الشيرازى (791 هـ 1299م) والجامى (898 هـ ـ1492م) وبيدل (1133 هـ ـ1713م) ، وقد استطاع قارى استقبال العديد من أشعار هؤلاء الشعراء، وإنشاد العديد من القصائد على غرار أشعارهم،

كما تعلم قاري اللغة العربية واللغة الأوردية واطلع على ما كُتب بهذه اللغات من كتب التراث وتزود بثقافات تلك الأمم.[4]

1- مقدمة كليات قاري ـ مقالة الأستاذ كوياي اعتمادي ص9

2- مقدمة كليات قاري ـ مقالة الأستاذ كوياي اعتمادي - ص9

3-كليات قارى ص3

4- مقدمة كليات قاري مقالة العالم الفاضل فيض محمد خان زكريا ص8

- ادوارد جرانفيل براون ـ تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى إلى سعدى ـ ترجمة إبراهيم أمين الشواربي ـ الطبعة الأولى 1424 هـ ـ2004م

ـ إسعاد عبد الهادى قنديل ـ فنون الشعر الفارسى ـ الطبعة الثانية 1402 هـ ـ 1981م .

ولم يكد يتجاوز قارى العشرين من عمره حتي ذاع صيته في العلم والمعرفة والأخلاق والفضائل في أنحاء العاصمة، وبلغ حد الكمال في محافل أفغانستان[1]، حتى إن حكام وأمراء عصره كانوا يطلبون مجالسته ولقاءه[2]

2- تفجر موهبة قارى الشعرية:

ومع ذيوع صيت قاري وشهرته في المحافل الأدبية، اختاره الأمير حبيب الله خان، الذي كان ولياً للعهد آنذاك، ليكون مستشاراً علمياً وأدبياً له، فكان قاري ملازماً لهذا الأمير في السفر والحضر، وفي ذلك الوقت تفتحت قريحته المتوقدة وتفجرت موهبته، فأنشد أول تجاربه الشعرية.[3]

ويوضح الشاعر عبد الحق بيتاب ذلك قائلاً:

قرض الشعر عام ألف وثلاثمائة وعشرة ، بينما كان عمرى آنذاك أربعة أعوام.[4]

وبالنظر إلى تاريخ ميلاد قاري عام 1288 هجريه قمرية الموافق 1869 ميلادية وبما أنه قد بدأ نظم الشعر عام 1310 هجريه قمرية الموافق 1890 ميلادية نجد أن قريحته قد تفجرت بالشعر وعمره آنذاك لم يتجاوز واحداً وعشرين عاما[5]

ولكن بالرجوع إلى كليات قاري نجد أنه قد أنشد أولي قصائده في عام 1309 هجرية قمرية الموافق 1889 ميلادية برديف الشمس وقد نظمها في حوالي عشرين بيتا.

وكان مطلعها:

يا من خالك مثل البخور على جمرة الشمس ، إن شعلة حسنك أضرمت النيران وأججتها في الشمس، وأتبعها بقصيدة أخرى فى عام 1312 هجرية قمرية الموافق 1892 ميلادية بمناسبة اقتراب عودة نائب السلطنة من لندن.

1- مقدمة كليات قاري - مقالة الأستاذ كوياى اعتمادى- ص9

2-أوراق من على الرابط الالكتروني www.ariaue.com what ariaye is about

3- مقدمة كليات قاري - مقالة الأستاذ كوياى اعتمادى- ص9

4- كليات قارى ص3

5- سر محقق غلام حسين فرمند - دو ملك الشعراي همروزكار - ص35

ومطلعها يقول:

أيها المعشوق اليوم يوم بهجة ونشاط ، فانهض وأحضر كأسا واثنين للخمر من أجلنا[1] ثم بعد ذلك أنشد قصيدة أخري مشهورة بمناسبة التهنئة بالعيد، وكانت أيضاً في بلاط الأمير عبد الرحمن خان عام 1314 هجرية قمرية الموافق 1894 ميلادية، وفي هذه القصيدة أطلق شاعرنا على الأمير عبد الرحمن لقب ضياء الملة والدين، وقد وقعت هذه القصيدة موضع الاستحسان والتقدير من جميع أدباء وشعراء البلاد واكتسب قاري مقاماً رفيعاً في حلقات الثقافة والأدب.[2]

وعلى التوالي، وتجربة تلو أخري، وصلت شخصية قاري الأدبية والثقافية إلى أوج تفتحها، واقتربت من مراحل الكمال في تشكيلها.

3- وظائفه فى الدولة وعلاقته بالبلاط الملكى:

عندما اعتلي الأمير حبيب الله خان أريكة السلطنة، ونظراً لما كان قد رآه أثناء ولايته للعهد من الكفاءة العلمية والسجايا الأخلاقية ومكارم النفس لدي شاعرنا قاري اتخذه مربياً ومعلماً لأبنائه، وظل قاري يؤدي هذه الوظيفة لفترة طويلة بمنتهي التفاني والوفاء، ولقد كان قارى من المقربين لبلاط الملك حبيب الله خان ومن بعده أبنه أمان الله خان[3]

وذكر مير محمد صديق صاحب كتاب أفغانستان در پنج قرن أخير،(أفغانستان فى الخمسة قرون الأخيرة) أن قاري عبد الله كان شاعر البلاط، وأنه منذ عهد الأمير عبد الرحمن خان حتى عهد الملك محمد ظاهر شاه كانت وظائفه على قسمين:

الأول: إنشاد الشعر في مدح الملوك والعظماء.

والثاني: تأليف الكتب الدراسية وتدريس الآداب فى مدارس أفغانستان[4]

وأشعار قارى تذخر بالعديد من القصائد التي أنشدها في مدح ملوك وحكام وقادة عصره.

1- كليات قارى ص204

2- سر محقق غلام فرمند ـ دو ملك الشعزاي همروزكار ص36

3- مقدمة كليات قاري ـ مقالة الأستاذ كوياي اعتمادي - ص10

4- مير محمد صديق فرهنگ ـ أفغانستان درپنج قرن أخير ـ جلد سوم- ص559 .

وفي سنة 1322 هجرية قمرية الموافق 1902 ميلادية عندما تأسست المدرسة الحبيبة كأول مدرسة عصرية في أفغانستان ، كان قاري من أوائل من تم استدعاؤهم للعمل بالتدريس في هذه المدرسة ، وقد قضي قاري حوالي أربعين عاماً يعمل بالتدريس والتعليم في هذه المدرسة، وفي المدرسة الحربية، وسائر المدارس العلية التي تم تأسيسها بعد ذلك في أفغانستان ، وقد أدي قارى هذه الوظائف بمنتهي التدين وحسن الأخلاق والسلوك ، كما أمضي شاعرنا فترة أخري من حياته في العمل بدار التأليف التابعة لوزارة المعارف، عمل خلالها على تأليف وتدوين سلسة من الكتب الدراسية لكل من الصفوف الابتدائية والإعدادية والثانوية ، كما تكبد المزيد من المشاق وتحمل الكثير من الصعاب في تصحيح وتنقيح الكتب المؤلفة والمصنفة بوزارة المعارف[1]

وفي سنة 1339 هجرية قمرية الموافق 1920 ميلادية كُلف قارى من قبل جلالة الملك أمان الله خان وباقتراح من وزارة المعارف بتشكيل الجمعية العلمية (انجمن علمية) كانت أهدافها هى متابعة وملاحظة مراحل نهضة وتطور المعارف ومتابعة الحالة الثقافية في أفغانستان ، وأدي حصول قاري على عضوية هذه الجمعية إلى أن وصل قاري فى المكانة العلمية والأدبية إلى أعلى مراتب التقدم والاعتبار.[2]

وقد كانت هذه الجمعية تحت رئاسة ناظر المعارف عبد الحبيب خان، وكان من أعضائها غير قارى القائد محمد عزيز رئيس القصر الخارجي، وشير أحمد رئيس القصر العسكري ، وحسن على أفندي، ومولوي غلام محيى الدين رئيس دار المعلمين، ومحمد إسحاق معاون وزارة الخارجية وميرسيد قاسم قائم مقام، والقاضي محمد غوث مبشر، ومير محمد صديق، وغلام محمد رسام.[3]

وفي عهد الملك محمد نادر شاه تم إعفاء قاري من العمل بالتدريس في مدارس الدولة، نظراً لكبر سنة وضعف قواه ، وأسند إليه جلالة الملك الاضطلاع بمسئولية التدريس لابنه

1- مقدمة كليات قاري ـ مقالة الأستاذ كوياى اعتمادي- ص10
ـ دو ملك الشعراي همروزكار- ص37

2- دو ملك الشعراي همروزكار ـ ص37

3- أسد الله حبيب ـ دورة أماني ـ ص-35 چاب كابل 1368- هجرية شمسية

الأمير محمد ظاهر شاه ، كما تم انتخابه لعضوية (الجمعية الأدبية بكابل) والتي كانت قد تأسست حديثاً في ذلك الوقت[1] (1350 هجرية قمرية الموافق 1931ميلادية) وقد قضي قارى ثلاثة عشر عاماً من عمره يعمل في هذه الجمعية الأدبية، بذل خلالها جهداً بليغا في سبيل نهضة الآداب، فقام بتأليف العديد من الكتب والرسائل العلمية المهمة، كما عمل على تحقيق وتدقيق العديد من الكتب في العلوم المختلفة، كالآداب، وفقه اللغة، والتاريخ والمنطق والبلاغة وعلم المعاني والبيان، وكذلك العديد من التراجم المهمة ، وقد أثمر جهده هذا عن طبع العديد من مطبوعات أفغانستان[2]

ويمكن القول إن انضمام قاري لعضوية تلك الجمعية يعد نقطة تحول في تشكيل شخصيته الأدبية والثقافية، وفي الأعوام الثلاثة الأخيرة من حياته وعلاوة على ما تم إسناده إليه سابقاً من الوظائف والمهام، حصل أيضاً على منصب المستشار الشرعي والعلمي لمطبوعات الرئاسة المستقلة.[3]

4ـ الأسفار وما لها من تأثيرعلى تشكيل شخصية قارى الأدبية :

الأسفار نافذة يطل منها الإنسان على عوالم جديدة، ويستشرف منها آفاقاً واسعة، وتنفذ إليه منها شموس المعارف وأنوار الثقافات المختلفة، فالسفر يجدد للإنسان فكره ووجدانه[4] وقد أثرت الأسفار في بناء شخصية قاري الأدبية والثقافية بشكل عام، وكانت أسفار قارى معظمها مع الأمير حبيب الله خان وابنه الأكبر معين السلطنة.

فكان أول سفر له خارج مدينة كابل التي ولد وعاش فيها عام 1321 هجرية قمرية الموافق 1901 ميلادية، حيث سافر قارى بصحبة ولي العهد معين السلطنة إلى الهند، وذهب معه إلى كلكتا وأقام هناك فترة وجيزة ثم عاد إلى البلاد[5]

وفي عام 1332 هجرية قمرية الموافق 1912 ميلادية وبينما كان الأمير حبيب الله

1- مقدمة كليات قاري ـ مقالة الأستاذ كـوياى اعتمادي- ص10

2- نفس المرجع- ص12

3- دو ملك الشعراي همروزكـار ـ ص34 .

4- د. عفاف زيدان ـ شاعر أفغانستان المعاصر ـ ص54.

5- مقدمة كليات قاري ـ مقالة الأستاذ كـوياى اعتمادي ـ ص12.

خان في الهند، سافر قاري مع معين السلطنة إلى باسول حيث قضى هناك فصل الشتاء، وفي هذه البلدة الجميلة الماء والهواء اشتعلت أحاسيس شاعرنا وتفجرت قريحته بالشعر فدون مكنون قلبه ولسانه، فنظم في ذلك الوقت أصدق غزلياته[1]

وفي عام 1350 هجرية قمرية الموافق 1931 ميلادية سافر قاري إلى أرض الحجاز برفقة وزير البلاط لأداء فريضة الحج وزيارة المدينة المنورة، وفي تلك الرحلة لم يكتف قاري بأداء الفريضة والتمتع بالجو الروحاني للأماكن المقدشة، بل أخرج من رحم هذه التجربة رسالة أسفاره (سفر نامه) وهي تشتمل على جغرافيا وتاريخ بلاد العرب بالإضافة إلى وصف بناء الكعبة المكرمة، وذكر موقعها ودورها التاريخى على مر العصور، إلا أن هذه الرسالة القيمة بالغة الأهمية لم يقدر لها أن ترى النور حتى اليوم، بل ظلت محفوظة بخط يده عند الأستاذ سروركويا اعتمادي ، وكان لهذا السفر بالغ الأثر في تعميق الجانب الديني بالنسبة لشاعرنا.[2]

وفي الحقيقة إن هذه الأسفار التي تيسرت لقاري برفقة أفراد الطراز الأول للمملكة كان لها تأثير قوي في إثراء قريحته وتكوين شخصية الأدبية.[3]

5ـ ثقافة قاري عبد الله الإسلامية والعربية :

إن الدارس لإنتاج قاري الفكري يتعرف منذ البداية على جانب مهم، وهو أن هذا الإنتاج مملوء بالمؤثرات العربية وخاصة الإسلامية، وهذه المؤثرات تنكشف في جانبين واضحين:

أولاً: الجانب الشعري ، ويتمثل في المعاني الشعرية العربية والإسلامية، التي يحويها ديوان أشعاره.

ثانياً : الجانب النثرى: ويتمثل فيما ترجمه قارى من كتب بعض أئمة ورموز الفكر الإسلامى.

وعند دراسة الجانب الأول: وهو معاني الشعر العربي التي تحويها أشعار قاري، يتضح

1- مقدمة كليات قاري ـ مقالة الأستاذ كوياى اعتمادي ـ ص13.

2- مولانا خسته ـ معاصرين سخنواران ـ ص261 ـ چاب كابل 1339 ش

3- دو ملك الشعراي همروزكار ـ ص37

لنا مدي استيعابه لمحصول وفير من الشعر العربي على طوال عصور الأدب العربي، من جاهلي وإسلامي ، ولا نستطيع أن نرد ذلك إلا أن اللغة الفارسية فى محاولتها للتكوين كلغة للثقافة سارت إلى جانب اللغة العربية، وحاول كتابها أن يرتفعوا ببلاغة لغتهم إلي مستوي البلاغة العربية، وقد كان مفهوم الثقافة العربية في ذلك الوقت ليس محدوداً إقليمياً، وإنما اتسع ليشمل البلاد الإسلامية جميعها بحيث يمكن أن يقال إنها ثقافة إسلامية[1]

وقد أخذت اللغة الفارسية بعد القرون الثلاثة الأولي تقريباً تشارك العربية في حمل لواء الثقافة الإسلامية، وعلى هذا فالمضمون الفكرى للغة العربية انتقل إلى اللغة الفارسية، وإن هذا الأدب نشأ في شكل رد فعل اللغة والأدب العربي ومقاومة له، بحيث يمكننا أن نقول إن اللغة العربية واللغة الفارسية حملا في وقت واحد مضموناً فكرياً واحداً، وهو مضمون الثقافة الإسلامية، وإذا كانت اللغة الفارسية حوت مضمون الثقافة العربية، فإن الشعر من ناحية أخري قد حمل المضمون الفكري للشعر العربي، كما أن الشعراء العجم في محاولاتهم تكوين القصيدة الفارسية لم يجدوا أمامهم تراثاً من لغتهم يمكنهم أن يسترشدوا به، فاتجهوا نحو النثر والشعر العربيين يقلدونهما من جميع جوانبهما، ويكفى أن نلاحظ أن الشعر الفارسى يقال إلى الآن في أوزان الشعر العربي[2]

وقارى شاعر عظيم برزت فيه غلبة روح الشعر العربى على شاعريته، فديوان أشعاره كله مكتوب على نظام القصيدة العربية من حيث الوزن ووحدة القافية، وقصائده مكتوبة على نمط القصيدة العربية من حيث إن معظمها يبدأ بمقدمات يخرج إلى الموضوع، ونجد قاري كذلك يختم قصائده بنهاية واحدة وهي الدعاء للممدوح، وهذه الخاتمة موجودة في كثير من الشعر العربى.

وبعد هذا العرض السريع عن تأثر العجم وشاعرنا بالثقافة العربية ، فسوف ننتقل الآن إلى تحديد مدى تأثر شاعرنا بهذه الثقافة ومدى إلمامة بها.

فتأثر قارى بالثقافة العربية قد بدأ منذ الصغر عندما تتلمذ في بداية حياته على يد

1- د. عفاف السيد زيدان - فرخي سيستاني - شاعر المشرق الإسلامي - ص101 القاهرة 1429 هـ - 2008م.
2- د. عفاف السيد زيدان - فرخي سيستاني - شاعر المشرق الإسلامي - ص102

والده ـ كما ذكرنا سالفاً ـ الذي كان ملماً ومتقناً للغة العربية وعلومها، ولقد عرف قاري بإعزازه لدينه وتمسكه بعقيدته الإسلامية، وكان هذا هو السبب الرئيسي في حبه للغة العربية، فأتقن دراستها وتزود بآدابها وقرأ تراثها الإسلامي وآثار أئمتها من المتصوفة والعلماء، وقرأ دواوين الأسلاف من الشعراء العرب ووقف على سيرتهم .[1]

وليس أدل على إتقان قاري للغة العربية من تنصيبه ملكاً لشعراء أفغانستان، حيث يذكر الأستاذ خليل الله خليلي "أن الأفغان لا يقدرون العالم حق قدره إلا إذا كان يجيد اللغة العربية وآدابها، بل إن الشاعر لا ينصب ملكاً للشعراء إلا إذا أجاد الآداب العربية إجادته للفارسية.[2]

فتأثر قاري باللغة العربية يتمثل في جانبين:

الأول : الجانب النثري متمثلا فيما ترجمه من كتب عن العربية.

الثاني : الجانب الشعري ومدى انعكاس هذه الثقافة على أشعاره.

أولاً: الناحية النثرية:

فقد وصل مبلغ إجادة قاري للغة العربية وامتلاك ناصيتها اللغوية إلى أنه كان يقرأ ويكتب بها ويترجم العديد من كتب تراثها إلى اللغة الفارسية.

ومن أهم ما ترجم قاري من اللغة العربية إلى اللغة الفارسية كتاب " فصوص الحكم " للعلامة محيي الدين بن عربي"[3] الفيلسوف والمتصوف الإسلامي العظيم، إلا أن هذه الترجمة ما زالت بخط يده ولم يكتب لها أن تنشر أو تري النور حتى الآن.

1- مقدمة كليات قاري – ص 9 .

2- د. عفاف السيد زيدان ـ شاعر أفغانستان المعاصر خليل الله خليلي ـ ص 53.

3- محيي الدين ابن عربي: هو محيي الدين أبو بكر محمد ابن علي ابن محمد بن أحمد الطائي، الشهير بابن عربي، وهو من أكبر رجال الصوفية في الإسلام وهو مولود في مدينة "مرسيه "من بلاد الأندلس، سنة 561 هـ ـ 1165م عاش فتره في مصر، ثم في الحجاز ثم في بغداد ثم في الموصل ثم في آسيا الصغرى وانتهي به المطاف إلى دمشق حيث توفي بها عام 638 هـ ـ 1240م ، وقد تجاوز عدد مؤلفاته مائة وخمسين كتاباً ما زالت باقية في أيدينا حتى اليوم ، وأشهرها ، فصوص الحكم ،والفتوحات المكية. ـ تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى سعدي إدوارد جرانفيل بروان ص633 ـ ترجمة ـ إبراهيم أمين الشواربي ـ

ويوضح قاري سبب ترجمته لفصوص الحكم قائلاً: "إن العبد على قدر فهمة القاصر يتذوق كلام الصوفية الكرام ويعتقد في كتاباتهم، ولقد أقدمت منذ عدة سنوات على مطالعة فصوص الحكم للشيخ الأكبر، ولكن بسبب المشاغل الدنيوية من جهة وصعوبة الكتاب من جهة أخري سد طريق الاستفادة في وجهي، وأحياناً كان يروق لي مطالعة عدة أسطر في هذا الكتاب، لكن لم أكن أفهم بعض مطالبة، ورغم بعض الشروح حول هذا المتن إلا أن هذه المشكلة لم تكن تحل .... إلى أن اندلعت تلك الفتنة الوخيمة وما حدث من انقلاب فى أفغانستان بدأ منذ شهر العقرب في العام الماضى واستمر حتى هذا العام 1348 هجرية قمرية الموافق 1928 ميلادية أدى إلى انتشار أعمال السلب والنهب والقتل والهدم والاعتداء على الأموال والأرواح والمنازل والأهالي في وطني العزيز، وقد شعرت بعجز واضطراب شديد بسبب كل ما حدث، فأردت إزاء هذا الاضطراب أن أستجمع ذاتي وأتخلص قليلاً من هذا العذاب، فعدت أشغل نفسي مجدداً بمطالعة الفصوص لمجرد معرفته، وبدأت في ترجمته، وفي خلال أربعة أشهر انتهيت من هذه الترجمة وأسميته ترجمان الفصوص"[1]

وإن كان هناك من يشكك في أن الفصوص يمكن ترجمتها إلى لغة غير العربية، فيذكر الدكتور أبو العلا عفيفي في تعليق كتبه في مقدمة الفصوص قائلاً:

لا مبالغة في القول بأن كتاب" الفصوص" أعظم مؤلفات ابن عربي كلها قدراً وأعمقها غوراً وأبعدها أثراً فى تشكيل العقيدة في عهده وفى الأجيال التي تليه[2]

والفصوص كتاب في الفلسفة الإلهية الممتزجة بالتصوف، لا فى التصوف البحت، وغاية المؤلف فيه البحث في طبيعة الوجود بوجه عام، وصلة الوجود الممكن "العالم" بالوجود الواجب "الله"[3] ولقد هم الأستاذ نيكلسن المستشرق الإنجليزي بترجمة الفصوص إلى اللغة الإنجليزية، ولكنه عدل عن فكرته قائلاً: "هذا الكتاب يتعذر فهمه

1- كليات قاري ص 458 .

2- محيى الدين بن عربي ـ فصوص الحكم ـ والتعليقات عليه بقلم أبو العلا عفيفي ـ ص7 ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت لبنان ـ الجزء الأول "بدونتاريخ"

3- نفس المرجع ـ ص23

في لغته مع كثرة الشروح عليه، فكيف به إذا ترجم إلى لغة أخري؟

وفي اعتقادي أن هذا السبب عينه هو علة إحجام جمهرة من فضلاء المستشرقين ـ غير نيكلسن ـ عن دراسة الفصوص والانتفاع به فيما كتبوه من بحوث قيمة عن ابن عربي، وهي غير قليلة ،فالأستاذ لويس ماسنيون الذي جرؤ على معالجة كتاب الطواسين للحلاج وحل رموزها، لا يكاد يذكر الفصوص أو يشير أليه في دراسته الواسعة القيمة في التصوف ، وكذلك "آسين بلاسيوس"، وهو من أكثر المستشرقين دراسة لابن عربي يقتصر على الفتوحات وغيره في كل ما يقوله عنه، أما الفصوص فلا يدخل له في حساب "وفون كريمر" الذي خطط معالم التصوف تخطيطاً مفيداً وختم كتابه بفصل خاص عن ابن عربي، اعتمد فيما كتبه على الفتوحات وأغفل الفصوص[1]

ويقول العلامة نيكلسن في وصف أسلوب ابن عربي فى الفصوص " ونظرياته فى هذا الكتاب صعبه الفهم، وأصعب من ذلك شرحها وتفسيرها، لأن لغته اصطلاحية خاصة، مجازية معقدة في معظم الأحيان، وأي تفسير حرفي لها يفسد معناها، ويمثل الكتاب في جملته نوعاً خاصا من التصوف المدرسي العميق الغامض"[2]

وإذا كان قارى قد وفق في ترجمة كتاب الفصوص رغم كل ما قيل حوله من صعوبات، بالإضافة إلى غيره من الكتب العربية ـ لا مجال لذكرها الآن ـ ففى ذلك دليل كافى على مدى إلمامه باللغة العربية وعلومها الإسلامية.

1- فصوص الحكم ص 20، 21

2- فصوص الحكم ص 12

ثانياً: أما من جانب تأثر أشعاره باللغة العربية والثقافة الإسلامية.

فقد كان لتمكن قارى من اللغة العربية وآدابها أثر بدا واضحاً جلياً في شعره من حيث استعماله المفردات العربية، حيث تضمنت أشعاره قاري معانى إسلامية وعربية، حيث يقول:

- أيها الملك! ملك الملوك! العادل، أنت الذي أصبح الدين بقوتك قوياً ومتين.
- أنت ملك العظمة والجلال، أنت الظل الإلهي وغوث الدولة والدين.
- فلم تر عين الدولة ملكاً مثلك، على مدار الدهور والقرون والسنين[1]

ويمدح الأمير عبد الرحمن خان فيصف وجهه بأنه آية في مصحف مبين فيقول:

جمال وجهك مثل آية في مصحف مبين، لا تسع معانيه الشرح والبيان.[2]

ثم يمدح الرسول صلي الله عليه وسلم فيقول:

إمام الرسل فخر الأنبياء الكرام، الذي جاء اسمه الطيب حافظاً لروح القلم.

إنه محمد العربي سيد الزمان والمكان، الذي جاءت ذاته أول الخلق مثل القلم[3]

ويقول في موضع آخر.

يا نخبة نسل آدم، أنت خاتم حلقة الأنبياء.

إن أحكام شريعتك غراء، وقانون رسالتك محكم.[4]

ويشير قاري إلي أن الإسلام يدعو إلى حسن الخلق ويعمل على نشر المبادئ السامية، وهو النور الذي أضاء الله به العالم، وأن طريق الدين هو الطريق القويم. فيوضح ذلك في قصيدة له نظمها على هيئة السؤال والجواب قائلاً:

- قلت له: كيف أضاء الإسلام العالم، قال: من الأخلاق الحسنة والمبادئ السامية.

1- كليات قاري ص 279

2- كليات قاري ص 278

3- كليات قاري - ص258

4- كليات قاري – ص288 .

- قلت له: إن الطريق في هذه الصحراء متشعب، قال: اذهب إلى طريق الدين فسوف تصل إلى المكان[1]

أما ثقافته الدينية المتمثلة في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة التي نراها في كل مناسبة في ديوانه، فلقد حفظ قاري القرآن الكريم بتجويده- كما ذكرنا سابقاً-، ويظهر أثر ثقافته القرآنية من تلميحاته وإشاراته لبعض الآيات القرآنية في شعره، وتتضح معالم هذا التأثير وهذه المعرفة بجوانب القرآن الكريم من خلال تناوله للقصص القرآني في أشعاره، فقد أشار قارى إلى ما تضمنه القرآن الكريم من قصص الأنبياء في مواضع عديدة من أشعاره، نذكر منها على سبيل المثال تناوله لقصة سيدنا آدم عليه السلام حيث يقول:

لقد وصل آدم الذى خلق من تراب إلى أعلي درجات الكمال بفضل العلم، حيث جعل الله ملائكته يسجدون له.[2]

وهو في هذا البيت يوضح فضل العلم على الإنسانية، وهنا يشير إلى قوله تعالي:

وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلائكَة فَقَالَ أَنبِئُوني بأَسْمَاء هَؤُلاء إنْ كُنتُمْ صَادقينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا علْمَ لَنَا إلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إنَّكَ أَنْتَ العَليمُ الحَكيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُمْ بأَسْمَائهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بأَسْمَائهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَات وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ[3]

وقوله تعالي:

وَإذْ قُلْنَا للْمَلائكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلَّا إبْليسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ منَ الْكَافرينَ[4]

أما قصة سيدنا يوسف عليه السلام فقد أشار إليها في أبيات عديدة نظم معظمها من خلال غزلياته التي اتخذت طابعاً صوفياً فيقول:

لن يهدأ لزليخا بال اليوم ، طالما أنها لم تر يوسف سجيناً.[5]

1-(كليات قارى- ص281

2-(كليات قارى- ص224

3- قرآن كريم سورة البقرة آية 31، 32، 33 .

4- قرآن كريم سورة البقرة آية 34

5- كليات قاري ص113 .

وهو في هذا البيت يشير إلى قوله تعالى:

قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ[1]

ويقول في موضع آخر:

عندما غاب يوسف عن ناظري يعقوب ، قال ليس لي حيلة إلا الصبر الجميل.[2]

وهنا يشير إلى قوله تعالى

" وَجَاءُو عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ "[3]

ويشير إلي سيدنا يوسف وسيدنا إبراهيم فيقول:

يا من جمالك يوسف وعارضك نيل، أنبت وجهك الذي يمتلئ حيوية روضة الخليل.[4]

كما أشار قاري إلى سيدنا سليمان في إحدى غزلياته قائلاً:

لقد ظهر الخط على الوجه الجميل الساحر، مثلما ظهرت النملة أمام سليمان.[5]

وهو يشير إلى الآية الكريمة " حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ "[6]

كما يشبه المعرفة بخاتم سليمان فيقول:

إن المعرفة هي التي تستولي على الآفاق وتسخرها، وإن لم أكن أخطئ فإنها خاتم سليمان.[7]

1- قرآن كريم سورة يوسف آية 32، 33

2- كليات قاري ص146 .

3- قرآن كريم سورة يوسف آية 18

4- كليات قاري ص146 .

5- كليات قاري ص181

6- قرآن كريم سورة النمل آية 18 _ د. آمال حمزه محجوب ـ بحث حول قاري عبد الله خان وشعره ـ ص462

7- كليات قاري ص208

ويتناول شاعرنا قصة "ذو القرنين" في قصيدة يمدح فيها الأمير عبد الرحمن خان فيشبه ممدوحة بالإسكندر قائلاً:

أنت إسكندر الزمان الذي أصبح حماك، سداً منيعاً لحماية الدين.

فبمعاونتك يحفظ أهل الإسلام جمعاً، من فتنة يأجوج والكفار الملاعين.[1]

وهنا يشير قارى إلى قوله تعالي: " قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا"[2]

فقد استخدم قارى هذا السد على أنه سد الإسكندر.

ويمدح الأمير عبد الرحمن خان في موضع آخر فيصف حسنه قائلاً:

لم يخلق مثلك في بني البشر، فهو الذي خلق الإنسان من سلالة من طين

أفدي تلك اليد والأصابع التي صورت، مثل صورتك البديعة من ماء مهين.[3]

وفي هذه الأبيات تضمين لقوله تعالي: الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ"[4]

ويناجي قارى ربه في إحدى غزلياته قائلاً:

صار كل إنسان يسبح بحمدك بلغة مختلفة، ومع ذلك فإن حمدك لا تسعه الألسنة.[5]

وهنا إشارة إلى قوله تعالي: " وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا "[6]

ويدعو إلي الزهد في الدنيا فيقول:

الدنيا مقام غرور ودار فناء وليست للراحة، فلماذا تفكرون في البقاء بها؟.

1- كليات قاري ص279

2- قرآن كريم سورة الكهف آية 94

3- كليات قاري ص287

4- سورة السجدة آية 7,8

5- كليات قاري ص24

6- قرآن كريم سورة الإسراء آيه 44.

وفي هذا البيت إشارة إلي قوله تعالي: " وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ .[1]

ويصف العلم فيقول

إن العلم حياه والجهل موت، والجاهل كالميت لا عمل له .[2]

وهو في هذا البيت يشير إلى قوله تعالي: " قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أولو الأَلْبَابِ" .[3]

ويتحدث شاعرنا عن القرآن بأنه معجزه الرسول صلي الله علية وسلم الباقية إلى يوم الدين **فيقول:**

القرآن هو المعجزة الباقية ، إلى يوم القيامة.

لن يستطيع أحد تحريفه ، فهو كتاب محكم حصين.[4]

وهنا إشارة إلى قوله تعالى: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ " .[5]

أما بالنسبة للأحاديث النبوية فقد تضمنت أشعار قارى العديد من معانى أحاديث النبي صلي الله عليه وسلم نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر قول شاعرنا:

يا من في رأسك الطغيان ليلاً ونهارا، هل نسيت هول يوم الحشر.[6]

وهنا إشارة إلى الحديث الشريف: عن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال "اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم أن سفكوا دماؤهم واستحلوا محارمهم" .[7]

1- قرآن كريم سورة آل عمران آية 185 ـ كليات قاري ص265

2-(كليات قارى ص224

3- قرآن كريم سورة الزمر آية 9

4- كليات قاري ص 288 .

5-قرآن كريم سورة الحجر آية 9.

وقد رجعت فى هذا الفصل إلى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ تاليف د. محمد فؤاد عبد الباقى ـ دار الكتب المصرية القاهرة 1364هـ .

6- كليات قارى ص388

7-)الامام ابى زكريا يحيى بن شرف النووى الدمشقى ـ رياض الصالحين ص114

ويدعو قارى إلى ضرورة الترابط بين الفرد والمجتمع فيقول:

إن تحسن المجتمع من تحسن الفرد ويصبح الجسد سليماً عندما تكون الأعضاء سليمة.[1] وهو يشير إلى الحديث الشريف: عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، عن النبي صلي الله عليه وسلم قال" مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمي".[2]

ويقول أيضاً:

لا تكن أنانياً وأحسن الظن بخلق الله، حتى تصل إلى مرتبة الإيثار[3]

وهنا إشارة إلى الحديث الشريف:

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث".[4]

قارى عن العلم قائلاً:

إن العلم خزينة لا تقبل النقصان، حتي ولو قام الخازن بصرفه ليل نهار.[5]

وهنا إشارة إلى الحديث الشريف:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :"لا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله مالا فسلطه علي هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها.[6] متفق عليه، كما مدح قارى الرسول صلي الله عليه وسلم وخلفائه الكرام في قصيدتين من أطول قصائده وأعظمها شأناً، ولكن يطول بنا الحديث إذا تناولناهما الآن، وسوف يتم تناولهما باستفاضة في موضعهما من البحث، عند الحديث عن المدائح النبوية .

1- كليات قارى ص386

2- منصور على ناصف ـ التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول ـ جـ 5 ص18

3- كليات قارى ص231

4- رياض الصالحين ص 547

5- كليات قارى ص224

6- رياض الصالحين ص 475.

ويتردد في أشعار قاري الإشارة إلى أعلام العاشقين من العرب فيذكر ليلي والمجنون قائلاً :

كيف لا يختال الياسمين بأغصانه، وقد صار مثل ليلي تجلس في الهودج علي ناقتها؟

ويقول أيضاً : [1]

من الذي يملك هوس المجنون يا قاري، اذ لم يكن هناك أحجار بيد أطفال هذه المدينة؟. [2]

آثاره ومؤلفاته :

وقد رأيت أنه من تتمة القول في تمثيل شخصية قاري الثقافية والأدبية، أن أذكر مؤلفاته ومصنفاته.

لقد ترك شاعرنا خلال مدة خمسة وخمسين عاماً قضاها في خدمة الحياة العلمية، قدراً كبيراً من المؤلفات المختلفة، بعضها شعر والبعض الآخر نثر، منها ما تم طبعه ومنها ما يزال بخط يده، وقد يكون هذا موضع دهشة وتعجب بالنسبة لشخص مثل قاري، في تلك الحالة من نحول الجسد وضعف البنية، خاصةً وأن قاري قد قضي أغلي وأثمن سنوات عمره مشغولاً بالعمل في التدريس بمدارس الدولة.

ولكن في الحقيقة أن قاري كان يجد متعة خاصة في العمل بتأليف وتدوين الكتب والرسائل الأدبية، ويذكر الأستاذ كوياى اعتمادي أنه سمع قارى ذات مرة يقول، "إن غذاء روحي وقوة حياتي أجدها في المطالعة والتدوين، وإنني بدون الكتابة أكون عرضة لإيذاء ضغوط الحياة وثقل الوقت". [3]

وقد قسمت ما أنتجه قارى من مؤلفات ومصنفات إلى أربعة أقسام، وذلك حسب تصنيفها ومجالاتها المختلفة:

أولاً : كتب دراسية.

1- كليات قارى ص230

2- كليات قارى ص 114 .

3-(مقدمة كليات قاري ـ مقالة الأستاذ كوياى اعتمادي ـ ص17

ثانياً: كتب علمية وأدبية قام بتأليفها وتحقيقها.

ثالثاً: كتب ترجمة.

رابعاً: دواوين أشعاره.

أولاً: الكتب الدراسية:

لقد ألف قارى هذه المجموعة من الآثار والكتب الدراسية لخدمة العلوم والمعارف فى بلاده، وحتى يستفيد بها طلاب العلم في السنوات الدراسية المختلفة، وسوف أقوم بسرد هذه الكتب حسب تاريخ تأليفها:

1. كتاب في الفارسية للسنة الثالثة الابتدائية سنة 1302 هجرية قمرية.
2. كتاب في الفارسية للسنة الرابعة الابتدائية سنه 1302 هجرية قمرية.
3. مختارات أدبية للصف الأول الثانوي ـ سنه 1303 هجرية قمرية. وقد طبع هذا الكتاب في عام 1311 هجرية قمرية.[1]
4. كتاب في علم الأخلاق للصف الثاني الثانوي عام 1303 هجرية قمرية.
5. مفتاح الصرف العربي للصف الأول الثانوي عام 1305 هجرية قمرية.
6. كتاب في الإملاء وأصول التنقيط للسنة الرابعة الابتدائية عام 1305 هجرية قمرية.
7. كتاب في الإنشاء للسنة الرابعة الابتدائية عام 1305 هجرية قمرية.
8. كتاب في الصرف والنحو للصف الثاني الثانوي عام 1305 هجرية قمرية.
9. كتاب في الصرف والنحو للصف الأول الثانوي عام 1305 هجرية قمرية.
10. كتاب في الصرف والنحو للاستفادة العامة عام 1305 هجرية قمرية.
11. القراءة الفارسية للسنة الخامسة الابتدائية عام 1306 هجرية قمرية.

1- مقدمة كليات قاري – ص 17.

12. القراءة الفارسية للصف الأول الثانوي عام 1307 هجرية قمرية.

13. كتاب في الأدب للصف الثالث الثانوي عام 1307 هجرية قمرية.

14. تاريخ الأدب العربي للسنة الأولي والثانية الإعدادية عام 1307 هجرية

15. قمرية.

16. الجزء الأول من كتاب القواعد الأدبية للصف الثالث الثانوي عام 1309 هجرية قمرية[1] وهذا الكتاب قد اشترك في تأليفه كل من قارى عبد الله خان، هاشم شائق، وصلاح الدين السلجوقي، وهو يقع في جزأين وكان مقرراً على سنوات الثالث والرابع الثانوي. وربما يكون الجزء الأول قد انتهي قاري من تأليفه عام 1308 هجرية قمرية والجزء الثاني عام 1309 هجرية قمرية.[2]

17. المنهج الجديد من أجل المعلمين عام 1310 هجرية قمرية.

18. تاريخ الأدب للسنة الثانية والثالثة الإعدادية عام 1319 هجرية قمرية.

19. مفتاح الصرف لطلاب المدرسة الحبيبة وقد طبع عام 1333 هجرية قمرية.

20. مفتاح النحو لطلاب المدرسة الحبيبة وقد طبع عام 1333 هجرية قمرية.

21. القراءة الفارسية للسنة الأولي حتى الخامسة الابتدائية للطالبات فقط وهو (بدون تاريخ).[3]

ثانياً: كتب علمية وأدبية قام شاعرنا بتأليفها وتحقيقها.

وفضلا عما قدمه قاري من مؤلفات دراسية، فقد قام بتأليف وفحص وتحقيق مجموعة أخري من الآثار العلمية والأدبية المختلفة، علماً بأن هذه الآثار قد ألفها قاري خلال السنوات التي تم إعفاؤه فيها من أعمال التدريس، وأثناء عضويته لجمعية كابل الأدبية.

وهذه الكتب هي:

1. تذكرة الشعراء المعاصرين "نسخة مخطوطة".

1- مقدمة كليات قاري ـ مقالة الأستاذ كويا اعتمادي ـ ص17

2- دو ملك ـ الشعراي همروزكار ـ ص48

3- مقدمة كليات قاري ـ مقالة الأستاذ كوياى اعتمادي ـ ص17، 18.

2. رواة وفقهاء أفغانستان وقد طبع في مجلة كابل في عددها الثاني والثالث والرابع.
3. السيرة النبوية وقد طبع في مجلة كابل في العدد السادس والسابع.
4. تأليف وتدوين القسم الأعظم لدائرة المعارف.
5. مجموعة خطب في أيام الجمعة والأعياد "نسخة مخطوطة".
6. كتاب في البلاغة "معاني ونقد الشعر" وقد نال عليه قاري جائزة من الدرجة الأولى للمطبوعات عام 1321 هجرية قمرية.
7. وبناء على قول كوياى اعتمادى يعد هذا الكتاب من أهم وأفضل أعمال المرحوم قاري.
8. محاكمة بين خان آرزو وصهبائي، وقد طبع في كليات قاري بكابل.
9. محاكمة بين كوياى وعالمشاهي "نسخة مخطوطة"
10. تاريخ وجغرافيا أفغانستان "نسخة مخطوطة".
11. تاريخ وجغرافيا بلدان العرب "نسخة مخطوطة".[1]

ثالثاً: كتب الترجمة:

ولما كان قاري يجيد اللغة العربية واللغة الأوردية ـ كما ذكرنا سالفاً ـ هذا إلى جانب اللغة الفارسية، فقد ترجم العديد من الآثار بالغة الأهمية من تلك اللغات إلى اللغة الفارسية، وقد بلغت هذه التراجم من الدقة العلمية وجمال الأسلوب حداً يدل على مدى امتلاكه ناصية تلك اللغات وتمكنه من تحليل مفرداتها الدقيقة.[2]

وهذه الآثار هي:

1. ترجمة كتاب المنطق للإمام الغزالي، وقد نال به قاري جائزة المطبوعات في كابل عام1321 هجرية قمرية.
2. ترجمة مغازى الإمام الواقدى وهي "نسخة مخطوطة". أهدها قاري لمكتبة الرئاسة المستقلة.

1- مقدمة كليات قاري ـ مقالة الأستاذ كوياى اعتمادي ـ ص18
2- مقدمة كليات قاري ـ مقال الأستاذ كوياى اعتمادي ـ ص18

3. سراج النحو وهو مترجم عن كتاب باللغة الأوردية للحافظ عبد الرحمن الباكستانى وهو"نسخة مخطوطة"
4. سراج الصرف وهو مترجم عن كتاب باللغة الأوردية للحافظ عبد الرحمن الباكستاني وهو"نسخة مخطوطة".[1]
5. ترجمة كتاب "سخندان فارسي" لمولانا محمد حسين آزاد وهذا الأثر هو أول كتاب يكتب باللغة الأوردية عن الآداب الفارسية ، وهو في "فقه اللغة وفقه الصوت"وهو يعد من أهم وأنفس الكتب بالنسبة لأدباء اللغة الفارسية، فهو يشرح ويوضح المطالب اللغوية والاصطلاحات الغامضة، وقد تكبد قاري مشقة ترجمة هذا الكتاب، وكان في البداية في صورة سلسلة من المقالات تنشر في مجلة كابل، ولكن نظراً لما لهذا الكتاب من أهمية من الناحية الثقافية، فقد قامت جمعية كابل الأدبية بطبعة في صورة كتاب حتى يتسنى للقراء إطلاع عليه بسهولة ويسر.[2]
6. ترجمة أشهر مشاهير أدباء الشرق "مخطوط".
7. ترجمة فصوص الحكم للشيخ الأكبر ابن عربي[3] (وقد سبق الحديث عنه باستفاضة في الحديث عن ثقافته العربية والإسلامية.)

رابعاً: دواوين الأشعار:

لم يقتصر إنتاج ملك الشعراء قاري عبد الله خان فقط على علوم الفصاحة والبلاغة والصرف والنحو وسائر العلوم الذي سبق الحديث عنها، بل إن جموح خيالة وطائر فكرة راح يحلق أيضاً فى الفضاء الفسيح الشاسع لفن الشعر، واستطاع بخياله الحالم أن يصل إلى عنان سماء ذلك الفن الرفيع، ويرقى إلى أعلي مكانة بين رواد هذا الفضاء.

وقد أثبتت التجربة أنه : لو أن شاعراً كان يتقن سائر العلوم المختلفة ، فإن شعره لا

1- نفس المرجع والصفحة
2- مولانا حسين ازاد ـ سخندان فارس ـ ترجمة قاري عبد الله خان ملك الشعراء ـ مقدمة ـ نشرات انجمن كابل 1310 ش
3- مقدمة كليات قاري ص8

يأتي على مستوي مناسب من الكمال أو الإجادة، بل إنه قد لا يرقي إلى مستوي الشعراء المجيدين أما شاعرنا قارى فكان رجلاً ذا شخصية نادرة. بحيث استطاع أن يقدم لنا مؤلفات قيمة في سائر العلوم، كما وصل إلى مكانه ممتازة في مجال الشعر.

وفي ذلك كتب الأستاذ صلاح الدين السلجوقي في مقالة له بمقدمة كليات قاري تحت عنوان "صنع وعمل" قائلاً: إن الإنتاج الذي يحتوي على أثر ذوق فني رائع يسمي "صنعاً"، والسلوك الذي يتأتى نتيجة للالتزام الأخلاقي على الوجه الأكمل يسمي "عملاً" لكن أفلاطون قد أعطي هذا الفرق سعة أكثر شمولاً فقال: "إن أهل الفن الذين يمتلكون الذوق الفني الجميل، غالباً ما يفتقدون السلوك الأخلاقي، كما أن السالكين الأخلاقيين غالبا ما يفتقدون الذوق الفني الجميل في معظم الأوقات"، ولكن ربما لو أن أفلاطون قد رأي أستاذنا الكبير المرحوم قاري عبد الله خان، لأيقن أن الصنع والعمل يمكن أن يجتمعا سوياً بحيث يرتقيا إلى أقصي درجة من السمو في شخصية الكريم، وقد عرف قاري عند الجميع باسم الشاعر، والحق هو أنه كان يجب أن يعرف بهذا الترتيب: العالم، الحافظ، المعلم، المؤلف، الشاعر، السالك.[1]

وقد ترك لنا قاري تراثاً قيماً من الأشعار ونال شهرة عريضة في هذا الفن وذاع صيته ليس في أفغانستان فقط بل في كل من إيران والهند أيضاً، ولأنه شاعر مجيد فقد كان في الصدارة بين شعراء عصره، مما جعله يحصل على لقب ملك الشعراء بجداره.

وأهم ما تركه قاري من دواوين الأشعار هي:

- منتخب غزليات قاري، وهو عبارة عن مجموعة من الغزليات دونها قاري للملك محمد ظاهر شاه "وهي نسخة مخطوطة"

- مجموعة من الغزليات والقطاعات أعدها قاري وأهداها للسيد أيدون وزير خارجية إنجلترا وهي "نسخة مخطوطة".

- مجموعة من الغزليات دونها قاري للسردار "محمد نعيم خان"[2] وزير الخارجية

1- مقدمة كليات قاري ـ مقالة الأستاذ صلاح الدين سلجوقي ـ ص4.

2- محمد نعيم هو الأخ الأكبر لمحمد داود رئيس أفغانستان (1973 إلي 1978 م)وقد تولي وزارة المعارف سنة 1358 هـ ق 1938 م وقد بذل جهد كبير في جعل اللغة البشتوانية لغة رسميه لأفغانستان إلي جانب الدرية وفي

وهي نسخة مخطوطة.

- ديوان أشعار خاص بغزلياته فقط وقد طبع في مطبعة لاهور عام 1302 هجرية قمرية 1902 ميلادية.

- ديوان أشعار دونه قاري في مجلدين وأهداه إلى مكتبة وزارة المعارف وهو لا يزال مخطوطاً.

- كليات قاري:وهي تشتمل على غزليات، قصائد، ترجيعات، تركيبات بند، مخمسات، مسدسات، قطع ، رباعيات، مثنوى.

وتصدر الكليات مقدمات عن الشاعر كتبها الكاتب الكبير صلاح الدين سلجوقي سفير أفغانستان في مصر سابقاً، والعالم الفاضل السردار فيض محمد خان زكريا، والأستاذ كوياي اعتمادي ، والشاعر الكبير عبد الحق بيتاب، وقد تم طبع الكليات في مطبعة المعارف بكابل عام 1334 هجرية شمسية الموافق 1955 ميلادية[1]

وسوف أتحدث عن هذه الكليات باستفاضة في موضعها من البحث".

وعلاوة على كل هذه الآثار سالفة الذكر يمكن أن نضيف أيضاً:

ما قام به شاعرنا من تدوين وتأليف للعديد من الرسائل العلمية والأدبية، وكذلك تنقيح وتصحيح لدواوين الكثير من شعراء عصره، وكتابة مقدمات لتلك الدواوين والتي ما يزال معظمها بخط يده ،كذلك كتب قارى العديد من المقالات والمنظومات الشعرية التي تم نشرها في مجلة آينية عرفان وسائر مجلات أفغانستان، ويذكر الأستاذ كوياي اعتمادي أن أثار قلمه تجاوزت الثلاثمائة مقاله، ولكن بناء على حساب الإمام واقدى فهى تتعدي الألف مقالة ،وقد دون قاري معظم هذه الآثار والمؤلفات في غير أوقات عمله الرسمية، ورغم غزارة إنتاجه إلا أنه لم يستعن بأي كاتب لتدوين تلك المؤلفات، بل إن

سنة 1946 م سافر إلي باريس كوزير مفوض ثم عاد إلي كابل عام 1949 م وفي عام 1953 تولي منصب وزير خارجية أفغانستان وكذا معاون ثان للصدارة ، ثم قتل في انقلاب عام 1978 م مع الرئيس محمد داود وابنه وزوجته وجميع أفراد أسرتيهما وذلك في صباح يوم الجمعة الثامن من شهر ثور من نفس العام . - مير محمد صديق فرهنگ - أفغانستان در پنج قرن اخير جلد سوم - ص 652 ، 655 ،702 .

1- مقدمة كليات قاري - ص17، 18

أي من الكتاب لم يكن ليستطيع أن يدون تلك الأعمال بمثل خطة الجميل.[1]

ولو أن قارى قد رحل عن عالمنا إلا أنه قد ترك ثمرة حياته متمثلة في هذه الأعمال القيمة ، سواء من الناحية العلمية أو الأدبية، والتي تعد ثروة قيمة وباقية في أيدي أبناء أفغانستان ليستفيد منها أبناء الحاضر والمستقبل ويظلوا يفتخرون بها وبشاعرنا .[2]

1- مقدمة كليات قاري ـ مقالة الأستاذ كـوياي اعتمادي ـ ص19

2- مقدمة كليات قاري ـ مقالة الأستاذ كـوياي اعتمادي ـ ص12

الفصـــل الثالـــث

أخلاق قارى وصفاته وشخصيته

1 - أخلاق قارى وصفاته وشخصيته:

إن أبرز سمات شخصية قارى عبد الله خان أنه عاش حياة علمية منذ بداية شبابه وحتى نهاية حياته، فقد أمضى عمره فى تحصيل العلم وتدريسه، مما جعله ذا علم ومعرفة، واطلاع واسع، وفهم وإدراك وفراسة، وبالإضافة إلى ذلك كان لقارى صفات فطرية تكمن فى طبيعة تكوينه وهى التقوى والتدين والإيمان القوى وعزة النفس والقناعة[1].

وكانت كل تلك الخصال الحميدة والفضائل يجللها صمت ووقار وطبع هادئ ينزع إلى طول التأمل والبعد عن مظاهر الشهرة والبذخ.

فمن يرد الإطلاع على كل هذه الكنوز المغمورة فى صدر ملك الشعراء فليرجع إلى مؤلفاته التى تعد حصيلة سنوات عمره الطوال فى طريق العلم والأدب.

وقد اتصف ملك الشعراء قارى بالتواضع، والحياء والخجل فيقول:

إن المياه تميل دائماً إلى الأسفل، وكذلك يتناسب التواضع مع الطباع اللطيفة[2].

كما كان قارى يتمتع بقلب يملؤه الصفاء والأحاسيس الرقيقة والعواطف النبيلة، وكانت صورته وهيئته مثل شعره من حيث الرقة والذوق الذى يسمو بقارئه إلى درجة عالية من الرقى واليقين والإيمان[3].

أما أبرز صفاته فإنه كان ناكراً لذاته ذاكراً لمآثر الآخرين فكانت أكثر قصصه لأبطال

1 -مقدمة كليات قاري – ص14 - مقالة الأستاذ گوياي اعتمادي.

2 -كليات قاري ص66.

3 -مقدمة كليات قاري ص14.

آخرين، ونادراً ما يتحدث عن مآثره وفضائله الشخصية. كذلك كانت أفراح وسعادة الآخرين ذات تأثير قوى وعميق على نفسه، فقد كان يتأثر لمصائبهم وأحزانهم أكثر من تأثره بأحزانه الشخصية، وما أكثر ما بكت عيناه لأحزان غيره، وسعد لسعادة الآخرين[1].

ويبدوا ذلك جلياً فى أشعاره التى تذخر بالعديد من المرثيات التى أنشدها متأثراً بآلام الآخرين، كما أن له العديد من القطع الشعرية التى نظمها للتهنئة والمباركة لكثير من معاصريه.

وكان قارى على درجة كبيرة من الهدوء النفسي، بحيث أنه إذا رأى أخطاء فى سلوك وأفعال من حوله فإنه يقدم لهم النصح والإرشاد بكلام رقيق وإسلوب هادئ مهذب لا يؤذى شعور من حوله، وهو يتقبل النقد من الآخرين بصدر رحب[2]، فلم يكن أنانياً وكان دائماً حسن الظن بغيره.

فيقول:

- لا تكن أنانياً وأحسن الظن بخلق الله، حتى تصل من هذا الطريق إلى مرتبة الإيثار[3].

ورغم أن قارى كان رقيق الطباع، يتعامل مع من حوله بحب واحترام بالغ، إلا أنه كان يعد أحياناً معقداً صعب المنال، حذراً قليل الكلام فنراه **يقول:**

- لا تتفوه بالكلام مع أحد، حتى لا تفشى أسرار قلبك[4].

ومن أهم الصفات التى تميز بها قارى وأبرزها "الاعتزاز بالنفس" فكما سبق أن أشرنا إلى أن قارى كان يعمل مربياً ومعلماً لأبناء ملوك وحكام عصره منذ عهد الأمير حبيب الله خان وحتى عهد الملك محمد ظاهر شاه، وكان يعد شاعر البلاط لهؤلاء الملوك، كما عمل مستشاراً للملك حبيب الله خان، وكان يستطيع من خلال هذه الوظائف أن يحقق الكثير

1 -مقدمة الكليات - ص15.

2 -مقدمة كليات قاري - ص15.

3 -كليات قاري - ص231.

4 -كليات قاري - ص391.

من المكاسب المادية إلا أن قارى كان رجلاً غني النفس لم يعتمد على أحد طوال حياته، فقضى عمره فى كد واجتهاد، فنراه يتحدث عن وجوب الاعتماد على النفس **قائلاً:**

- لا يستطيع أحد مساعدتك سوى نفسك، ولن تجد الراحة بدون التعب والمشقة[1].

كما يقول أيضاً:

- لا تتمن الحصول على شيء بلا مقابل من أحد، ولا تكن الطامع فى جاه الدنيا عبثاً[2].
- ولم يحدث أى تغيير سواء فى مسكن قارى أو ملبسه أو أخلاقه أو سلوكه منذ أوائل شبابه وحتى آخر عمره[3]ولم يتعلق قارى بماديات الدنيا كما تجنب الجاه والشهرة والانسياق وراء مباهج الحياة الزائفة[4].
- وعن ذلك **يقول:**
- لا تنخدع بالعز وعلو الشأن يا قاري، لأن الفلك قد يطيح إلى الأرض بمن رفعه إلى العلا والمجد[5].
- ودائماً ما كان قارى كثير الشكر لله فى أشد حالات حزنه، وهو رجل فى روحه قوة تمنحه الصبر والسلوى عند الشدائد، وكان شديد الاجتهاد فى أداء الفرائض والسنن، ونجده شديد الاجتناب للنواهي والمنكرات، فهورجل يخشى الله فى أفعاله متدين وزاهد وصاحب أحاسيس طيبة طاهرة[6]. وقد ظهر ذلك فى إنتاجه الأدبي، فنراه يحض على عبادة الله **فيقول:**
- اجعل حريتك فى عبادة الله، وعش حراً وأتبع طريق عبادة الله.[7].

---

1 -كليات قاري - ص 173.

2 -كليات قاري - ص 391.

3 -مقدمة كليات - قاري ص15.

4 -مقدمة كليات قارى - ص8.

5 -كليات قاري ص60.

6 -مقدمة كليات قاري - ص 15 - مقالة الأستاذ گوياى اعتمادى.

7 -كليات قاري - ص 391.

وينهى عن شرب الخمر ويستنكر ذلك على شاربها فيقول:

- إلى متى تتبع المحتال شارب الخمر، وتصير منكس الرأس بسبب الكأس والقدح؟.

- فاحذر أيها الشيخ ولا تذهب إلى محلة الحانات، ولا تصاحب العاهرات فتصير سيء السمعة[1].

وكان شاعرنا شديد التمسك بعقيدته وتدينه، فنراه قد ربط كمال العلم والأدب بالدين والأخلاق، حيث قال: "إن علماً دون أخلاق، وأدب دون دين راسخ لا فائدة منه بل يكون ضاراً"[2] و كان رجلاً صادقاً مخلصاً ذا قلب رقيق ووجدان صادق وضمير يجلله الصفاء والنقاء[3]وهو يسعى دائماً للاستقامة ومخالطة الصادقين ويدعو إلى ذلك **فيقول:**

- إن زينة المرء هي مجالسة الصادقين، ألا ترى أن الخط يبدو جميلاً من أثر المسطرة؟[4].

ويدعو إلى التآلف والترابط **فيقول:**

إن تأليف القلوب هو لب اجتماع القوم، فإن الأوراق إذا ما اجتمعت تصبح دفتراً[5].

وهو إنسان متسامح يدعو إلى العفو والتسامح وستر العيوب ويربط بين ذلك وبين الإيمان.

فيقول:

إن العفو جزء من الإيمان وكذلك ستر أحوال الخلق، والمؤمنون يسترون ولا يرون الفضائح[6].

وقاري رجل كريم جواد محب للخير، وهذا الخير يمنحه لكل الناس دون تفرقة أو تمييز[7].

---

1 -كليات قاري ص 391.

2 -مقدمة كليات قاري - ص 16 - مقالة الأستاذ گوياى اعتمادي.

3 -مقدمة كليات قاري ص16.

4 -كليات قاري - ص 122.

5 -كليات قاري - ص122.

6 -كليات قاري - ص228.

7 - كليات قاري - مقالة الأستاذ گوياى اعتمادى - ص16.

ويحض قارى على عدم الحرص فيقول:

- تصبح ملكاً على الأرواح إذا تركت الأهواء، فبالله عليك لا تكن عبداً للحرص والبخل[1].

وكان العلم هو ما يمتلكه قارى من خير ونفع وكان يهبه للجميع، ولم يبخل به على أحد قط، فقد كان يتحمل العمل الشاق لتقديم العلم والنفع لأبناء وطنه، وكل من يطلب هذا العلم ينال منه حظاً وافراً، ولهذا لا يوجد مقام فى عالم العلم والأدب يستطيع وصف قدره ومقامه كما لا يمكن وصف فضائله وعلمه،وكما قال مولانا جلال الدين الرومى البلخى.

- أحتاج فماً باتساع الفلك، حتى أستطيع أن أصف من تحسده الملائكة[2].

- وعن صفات قارى يقول العالم فيض محمد زكريا قلما رأيت مثل قارى فى الصلاح والنقاء والنزاهة فى هذه المملكة[3].

- وعن صفاته يقول الشاعر الصوفى عبد الحق بيتاب.

- ولو سألتنى عن صفاته الشخصية، فليس لذاته مثال فى المجد والشرف.

- ذلك الذى يكمن ذكر الله فى داخله، يذرف الدمع من خوف المآل[4].

- وقد استفاد من هذه الخصال الحميدة والفضائل وذلك الصفاء فى القلب والروح كل من اقترب من، شاعرنا سواء من أصدقائه أو تلاميذه أو سائر المسلمين.[5].

2 - قارى بين التكريم والتقدير:

لكل أمة من الأمم عظماء تؤمن بهم وتعتقد فيهم، وتراهم جديرين بالثقة والتقدير، يقول الشاعر الكبير خليل الله خليلي:

إن كل شعب لا يكرم عظماءه، فإنه لن يكون مرفوع الرأس فى مجمع الأقوام[6].

---

1 - كليات قاري - ص265.

2 -كليات قاري ص16.

3 -مقدمة الكليات ص8.

4 -كليات قاري ص3 - مقالة الشاعر عبد الحق بيتاب .

5 -مقدمة كليات قاري ص16.

6 -د. عفاف السيد زيدان – شاعر أفغانستان المعاصر خليل الله خليلي - ص55.

ولقد عرف قارى لدى أمته وحكامها منذ البداية بأنه شاعر صاحب متانة فى أسلوبه، ورشاقة فى عباراته، وبلاغة فى كلماته كما عرف بقدرته الفائقة على الوصف والتصوير، ولقد ذكرنا سابقاً أن قارى تدرج من البداية فى العديد من الوظائف كان لها أثر فى بناء شخصيته العلمية، هذا بالإضافة إلى ما قدمه من خدمات جليلة للثقافة والمعارف فى بلاده، فكان عليها أن تقدره.

ففى عام 1311 هجرية شمسية الموافق 1932 ميلادية اقترحت مجلة كابل فى العدد الأول للسنة الثانية إجراء مسابقة شعرية عن موضوع فتح كابل، على أن يتقدم شعراء المملكة بقصائد حول هذا الموضوع، وقد وضعوا معياراً لتلك المسابقة، وهو أن تشتمل القصيدة على عدد معين من الأبيات يكون عددها من خمسين إلى مائة بيت، وأن تكون القصائد بأسلوب شعرى جيد، وكذلك تكون مرادفة فى البحر والوزن لقصيدة مشهورة للشاعر فرخى السيستانى التى مطلعها[1].

- منذ أن اكتست الغياض والرياض بالحرير الأزرق، واكتست قمم الجبال بحرير تنوعت ألوانه.

فاشترك فى هذه المسابقة أصحاب الوزن والقافية من شعراء أفغانستان، ومن بينهم شاعرنا قاري، وقد تقدم بقصيدة فى نفس الوزن والقافية كان عدد أبياتها مائة وثلاثة عشر بيتاً، وحصل بها على الجائزة الأولى، وكانت عبارة عن وسام الآداب ومبلغ من المال، وقد نشرت هذه القصيدة كاملة فى العدد السادس للسنة الثانية بنفس المجلة[2].

وفيما يلى نذكر على سبيل المثال مجموعة من أبيات التشبيب فى هذه القصيدة حتى نظهر مدى مقدرة قارى الشعرية وبأنه يتساوى مع أساتذة الشعراء المشهورين فى فن القصيد.

يقول قاري:

إذا صارت الجبال بلون الزمرد بفضل نيسان، فقد صار المرج أيضاً بلون الذهب

---

1 -سر محقق غلام حسين فرمند - دو ملك الشعراي همروزگـار - ص 38.

2 -مقدمة كليات قاري - ص10.

المنثور من تساقط الأوراق في الخريف.

ولو ملأ الورد أطراف الخميلة من فيض الربيع، فإن البستان أيضاً يمتلئ بالأوراق والأمطار في شهر الميزان.

ويصير الليل والنهار متساويين مرةً أخرى، ويظهر الاعتدال على طبع العالم جلياً.

وتملأ شجرة العنب أطراف الفلك المملوء بالكواكب من العنب، وتصير أغصان الرمان بلون الياقوت من ثمار الرمان.

· واتخذت الجداول درعاً فضياً من الأمواج فضية اللون، وتدثرت الأحواض بالذهب من الأوراق الصفراء.

ويغطس البط منتشياً أثناء سباحته في الأحواض، بينما ترتع رعناء الغزلان ثملة في المروج[1].

وفي عام 1313 هجرية شمسية الموافق 1934 ميلادية أعلنت مجلة كابل في عدد شهر الحوت عن إجراء مسابقة بمناسبة فصل الربيع يتم من خلالها اختبار قريحة الشعراء وأصحاب الوزن والقافية، وفي تلك المسابقة أيضاً حصل قاري على الجائزة الأولى، بالإضافة إلى خطاب ملكي بلقب ملك الشعراء من جلالة الملك محمد ظاهر شاه 1352 – 1392 هجرية قمرية الموافق 1933 – 1973 ميلادية [2].

وكان مطلعها:

- أحاط نسيم الربيع البستان بجماله، استعداداً لاستقبال شهر الحمل
- ترك السحاب ساحة الرياض ورحل، كما فرشت رياح الصبا الخضرة في الغياض والرياض.[3]

وعن ذلك كتبت مجلة كابل في العدد الحادي عشر للسنة الرابعة عام 1314 هجرية شمسية الموافق 1935 ميلادية ما يلي:

---

1 -كليات قاري ص220.

2 -مقدمة الكليات ص10.

3 -كليات قاري ص229 .

" إننا اليوم سعداء للغاية؛ لأن خدماتنا ومساعينا الجادة لم تضع هباءً، بل جاءت مورد التقدير والتكريم من الحكومة التى تقدر العلم والمعرفة، حيث إن الأستاذ الفاضل قارى عبد الله خان، عضو الجمعية الأدبية والشاعر الوطني الشهير الذى يشار إليه بالبنان فى العلم والمعرفة، والذى قدم العديد من الخدمات الجليلة للوطن فى مجال العلوم الأدبية، والذى بذل جهوداً مضنية فى تأليف الآثار المهمة خاصة فى مجال الشعر والأدب، والتى ينحصر وجودها اليوم فى الوطن على شخصه، قد حصل أخيراً على خطاب بلقب ملك شعراء أفغانستان، وكان ذلك بحضور جلالة الملك الشاب بذاته المباركة، وبمرافقة عدد من العلماء والفضلاء المخلصين للبلاد، ونحن نتقدم بخالص التهنئة إلى جناب ملك الشعراء قارى عبد الله خان كما ندعو لجلالة الملك المبارك بطول العمر ودوام الملك "[1].

وفى عام 1317 هجرية شمسية الموافق 1938 ميلادية، حصل قارى على جائزة أخرى وهي عبارة عن وسام العلوم من الدرجة الثانية، وكانت هذه الجائزة بمناسبة مرور أربعين عاماً على عمل قارى فى مجال العلوم والمعارف، ولما قدمه خلال تلك الفترة من خدمات صادقة ومثمرة فى مجال العلم.

وكان نص الفرمان الملكى هو:

"نظراً للأعمال العظيمة والخدمات الجليلة التى قدمها ملك الشعراء قارى عبدالله خان فى سبيل الارتقاء بالعلوم والمعارف الوطنية أمرنا بمنحه وساماً جليل الشأن من الدرجة الثانية للمعارف مقروناً بالإعزاز والافتخار".

كابل– قصر دلكشا 17من شهر الميزان

عام 1317 هجرية شمسية[2].

3 - مكانة قارى بين شعراء عصره:

لم يكن شاعرنا نجماً متلألئا فى سماء علوم ومعارف أفغانستان فحسب، بل إنه كان

1 -مقدمة كليات قاري مقالة الأستاذ گوياى اعتمادي - ص11.

2 -مقدمة كليات قاري - ص11.

أيضاً في نظر العالم الخارجي ذا نفوذ كبير وصيت ذائع في عالم الآداب في إيران والهند، فقد سطع نجم هذا الشاعر العظيم واشتهرت أشعاره وآثاره لديهم، وكانوا يذكرونه في كل محفل وتجمع علمي وأدبي بكامل الاحترام والتعظيم والتقدير، ومن تلك الأشعار التي انتشرت في إيران، قصيدة نظمها قاري في قالب المثنوي بمناسبة الاحتفال بألفية الفردوس وأهداها إلى روحه[1].

وكان مطلعها:

- الحكيم المقتدر عالم طوس، باسمه تقرع المزاهر والطبول.
- أديب وبليغ اللغة الفارسية، الذي فتح لنا أبوابها ومغاليقها.
- ولقد أشعل لهيب الفارسية، الذي سيظل مشتعلاً حتى الحشر[2].

وكان الأستاذ سرور كَويا مشاركاً في هذا الحفل ممثلاً لجمعية كابل الأدبية، وقد قرأ هذه الأشعار على علماء وأدباء إيران العظماء وبعض من المستشرقين، وقد لاقت القصيدة التقدير اللائق لمكانة قاري الأدبية من جميع الحضور، وقد نشرت صحيفة روزنامه اطلاعات هذه الأشعار في العدد رقم 2326 لشهر آبان عام 1313 هـ ق الموافق1934م بهذه التقديم:

" كان السيد سرور خان كَويا عضو جمعية كابل الأدبية وهو من علماء وكتاب أفغانستان مشاركاً في احتفالية الفردوسي، وقد قرأ رسالة الجمعية وهي أشعار غراء للشاعر الكبير قاري عبد الله خان، وذلك في جلسة بحضور رئيس وزراء إيران وجمع من علماء وأدباء إيران الكبار وبعض المستشرقين والفضلاء ورجال الدين، وقد تلقى جميع الحاضرين أشعاره أحسن استقبال وصفقوا له تصفيقاً حاراً[3].

وكذلك رسالة العزاء التي كتبها قاري في وفاة زوجة العلامة إقبال، وقام بإرسالها إلى ذلك الحكيم الإسلامي بالهند، وأيضاً قصيدة أخرى نظمها في رثاء العلامة إقبال[4] نفسه.

---

1 -مقدمة كليات قاري ص11.

2 -كليات قاري ص 314.

3 -مقدمة كليات قاري ص 11 مقالة الأستاذ گوياى اعتمادى – دوملك الشعراي همروز گار ص42.

4 - إقبال: هو العلامة محمد إقبال اللاهوري شاعر ومفكر إسلامي كبير، ولد بباكستان عام 1289هـ - 1873م وتوفي

وكان مطلعها :

- رحل إقبال وذهب من الهند، رحل ذلك الفيلسوف عالم الشرق من بيننا.
- ينبغى أن نبكى على حظنا العاثر مغمومين محزونين، لقد رحل إقبال سريعاً عن الدنيا.
- لقد سقطت جوهرة من يد الدهر فى التراب، انظر إلى الدهر المسكين لقد حل عليه الخسران والبوار[1].

وعن هذه المرثية يقول السيد كَوياى اعتمادى: " لقد ذهبت إلى الهند فى ذلك العام، فطلب منى علماء وأدباء الهند هذه المرثية حتى ينشروها في "دهلي" وقد وصلت أصداؤها إلى جميع مدن الهند، وكان لها كبير الأثر فى ذيوع صيت قارى وشهرته فى الهند، وحتى اليوم فإن علماء الهند وإيران يكنون لاسم شاعرنا كل تعظيم واحترام، ويطلبون منا سيرته لنشرها فى كل الصحف التى تصدر فى الهند وإيران"[2].

وللوقوف على مكانة قارى الأدبية والعلمية وإيضاح مقدرته الشعرية يجدر بنا أن نرجع إلى ما كتبه عنه بعض من الشعراء والكتاب ممن عاصروه أو جاءوا بعده، فقد أشادوا جميعاً بمكانته وعلمه فى كافة العلوم والفنون.

ونبدأ فى ذلك برأى محمد تقى بهار ملك شعراء إيران الذى كان معاصراً لشاعرنا حيث قال:

- نخلع الحذاء فى مجلس قاري، فإن له فى إيران من المكانة كأنه المصباح على رؤوسنا

وكذلك ما ذكره بهار فى موضع آخر حينما كان قارى مديراً لمجلة كابل، وكانت هذه

عام 1357 هـ - 1938م درس العلوم الإسلامية وأحاط بأصولها وفروعها حتى تصدر التدريس في إحدى الكليات بمدينة لاهور، واتصلت الأسباب بينه وبين شعراء الفارسية والأوردية، فتأثر بهم وأصبح في عدادهم، ثم رحل إلى الغرب في طلب العلم وفي كامبردج ولندن وميونخ نهل من موارده ما شاء الله أن ينهل ، وهو يعد من الرواد المطالبين بحركة إصلاح المسلمين، وكان من أهم آماله وطموحاتها إيقاظ أهل المشرق من غفلتهم واتحاد الممالك الإسلامية – محمد إقبال – كتاب روضة الأسرار ص17، 18 قدم له وشرحه وترجمه عن الفارسية – د. حسين مجيب المصري – مكتبة الأنجلو - القاهرة 1977م.

1 -كليات قاري ص 209.

2 -مقدمة كليات قاري ص12.

المجلة توزع فى جميع البلاد المجاورة لأفغانستان ومنها إيران، وذات يوم تناول ملك الشعراء بهار نسخة من المجلة بينما كان فى مجلس يضم أدباء وعلماء إيران وقال: "نحن حتى الآن فى إيران ليس لدينا مجلة مثل مجلة كابل التى يديرها قارى عبد الله خان"[1].

ومن المعاصرين لملك الشعراء قارى أيضاً العالم الفاضل **فيض محمد خان زكريا**: وقد كان يفخر بتلمذته على يد قاري، ويصور جهوده فى تربية أبناء الوطن ونشر العلم بين أبناء شعبه قائلاً: "كان ملك الشعراء قارى عبد الله خان، عالماً فريداً ومتبحراً فى العلوم والآداب، ظل يعمل بالتدريس طول حياته ونهل كل شيخٍ وشاب فى هذه المملكة من نبع علمه الفياض وله على حق الأستاذ، وقد نلت حظاً وافراً من هذا العلم وتعلمت واستفدت من فضل هذا الأستاذ العظيم فى الشعر والكلام"[2].

أما پانيده محمد زهير الذى اهتم بجمع كليات قارى فيصف أستاذيته **قائلاً**:

"كان ملك الشعراء قارى عبد الله خان، والملا عبد العلى المستغنى هما أستاذا الكلام وزعيما الأدب فى أفغانستان"[3].

وأحد الأصدقاء المقربين لملك الشعراء قاري، **العالم والشاعر الأفغانى سرور گوياى اعتمادي**، وقد كتب فى محاضرة ألقاها خلال احتفال أقيم تقديراً لمكانة قارى العلمية **قائلاً**:

"لم يكتب أحد فى تاريخ حياة والبحث فى صفات وآثار وأشعار وكلمات هذا العالم والشاعر الفاضل مثلى أنا، ذلك لأنى أردت أداء حق ذلك الأستاذ العظيم صاحب القلم فى العلم والأدب، حيث إنى قضيت عمراً فى شرف التتلمذ على يديه، والاستفادة من مجلسه الشريف، وقد رأيت وسمعت خلال هذه المدة الكثير من سوانح حياته وصفاته

1 -هذه البيانات من على الرابط الإلكتروني
سايت پيام مجاهد - آريا نفر شمس الحق . www.ariaye.com.
2 -مقدمة كليات قاري - ص8 - مقالة الأستاذ فيض محمد خان زكريا.
3 -مقدمة كليات قاري - ص1
- دوملك الشعراي همروزگار - ص57.

وآثاره، وسوف أذكر كل هذه المعلومات في هذا المحفل الذى عقد لذلك الشاعر العظيم[1].

فلقد كان قارى عالماً، وأديباً، وشاعراً مرهف الحس ثاقب النظر صاحب قلب كبير، يمتلك الصفتين العظمتين للإنسانية وهما العلم والأخلاق، وهو صاحب ذوق لطيف ومتصوف وزاهد، وقد لازمته هذه الخصال حتى آخر حياته[2].

ويتابع سرور كَوياى كلامه قائلاً : كما كان قارى أستاذاً لا يشق له غبار فى النظم والنثر، ونال شهره واسعة فى عصره، وشهد له معاصروه بالمكانة والعلم والفضل وجعلوا له مقاماً مرموقاً فى تاريخ آداب أفغانستان، فلم ينشد أحد من المتأخرين الغزل بأسلوب أفضل أو أجمل أو أفصح من قاري، وفى الرثاء واستخراج المادة التاريخية يعد قارى منقطع النظير فى براعته، فبعد أن انطفأ شمع الأدب والشعر فى أفغانستان بموت "سيد ميرخان مشوانى" لم يبزغ نجم فى هذا البلد إلا نجم عبد العلى مستغنى وملك الشعراء قارى عبد الله خان، فإن فتيل مصباح الأدب والشعر الكلاسيكى فى بلادنا، والذى كاد يصل إلى نهايته قد زود بالوقود بواسطة مستغنى وقاري، وقد استطاع هذان الشاعران العظيمان، أن يحفظا شمع الأدب والشعر فى أفغانستان، ويعد وجود قارى هو آخر نجم فى هذا الأفق، وآخر شموع مجلس الأدب والعلم القديم، وواحد من أهم ممثلين لأسلوب الشعراء المتوسطين فى هذه البلاد الجبلية؛ وذلك لأن أسلوبه فصيح بليغ وسبكه متين وجذاب، وجاذبيته فى الشعر وانسجامه فى الغزل والقصيد هو أفصح ترجمان وأبرز مؤيد لقولنا هذا[3].

ويقول كَوياى أيضاً :

- يا من أنت ملك العلم والفضل فى النظم والنثر، ليس لك لفظ ضعيف ولا حديث مستعار.
- كل قطرة من بحر آثارك لها ذوق خاص، ولم يخرج منك إلا الجواهر النفيسة الغالية.

---

1 -مقدمة الكليات - ص9.

2 -مقدمة الكليات قاري - ص16.

3 -مقدمة الكليات ص19.

- إن ديوان أشعارك هو تذكار رفيع وجميل، وليس في ذلك الزمان أجمل من هذا تذكاراً[1].

وكذلك وصف الشاعر والأديب الأفغاني عبد الحق بيتاب مكانه قاري وشعره **قائلاً:**

- قاري عبد الله خان شاعر ذو علم وأدب، ذلك الذي كان في فن الأدب أستاذ عصره.

- ذلك الذي يظهر على وجهه نور الزهد والتقوى، ذلك الذي رحل ولن يأتي مثله مرة أخرى في الدنيا.

- لديه من الفكر العالي اليد الطولى بأقسام الكلام، وقد أشعل فتيل الكلام بصدى قلمة.

- وأصبح الكلام مزين بمشاطة طبعه، وجعل للشعر روحاً في عصر صائب وكليم.

- لقد خدم من أجل الوطن خمسين عاماً، خمساً وثلاثون في المعارف وخمسة عشر في المجلس الأدبي.

- لقد رحل وترك آثاره النفيسة الغالية، قطر قلمه كتباً عديدة في العلم والأدب.

- لقد كتب في علم المعاني نسخة جميلة، وترجم أيضاً فصوص الحكم للشيخ الأكبر.

- لقد نهض بقلمه وجلس على عرش الكلام، ولم أر بيتاً واحداً متدنياً في أشعاره.

- لقد نظم بألفاظ سلسة في جميع مضامينه، ولهذا السبب جاءت أشعاره متينة نفيسة[2].

أما الشاعر إبراهيم خليل وهو أحد الشعراء المعاصرين لقاري: فقد صرح في قطعة من الشعر كتبها في رثاء قاري بأن قاري هو أستاذ النظم والنثر وهو مربي ومعلم الشعراء والمتحدثين في أفغانستان. **فقال:**

- يا أسفي ويا حسرتي رحل صاحب الطبع السلس الفياض لأرواحنا، أستاذ النظم والنثر ومربي شعرائنا[3].

ويصف الشاعر محمد طاهر والمتخلص بهاتف وهو من الشعراء المشهورين في أفغانستان، مكانة قاري الأدبية **فيقول:**

- ذلك الذي يأتي الكلام من قلمه، من صدف لامع وصفاء من فضة نقيبة صافية.

---

1 -كليات قاري ص 510.

2 -كليات قاري ص 508، 509.

3 -دوملك الشعراي همروزگار – ص58

- بخيال جديد ومضمون غير مسبوق، أعطى للكلام أسلوباً من الصفاء والنقاء.
- فى سبيل خدمة الوطن، لم يركن مطلقاً إلى النوم و الراحة
- لا مثيل له فى الذوق السليم، ونادراً ما يوجد مثله فى الرأى الصائب. [1].

وكتب **الدكتور محمد رضا شفيعى كدكنى**[2] عن قارى قائلاً "كان قارى عبد الله خان ملك شعراء أفغانستان، شاعراً ممتازاً وأيضاً أديباً وناقداً مجيداً، كما أنه كان ذا قدمٍ راسخةٍ فى عالم التصوف والفلسفة الإسلامية، وإذا نظرنا إلى الناحية الشعرية فقد كان أستاذاً ورائداً فى هذا الفن، وحقه فى ذلك مقدم على غيره من الشعراء المعاصرين فى أفغانستان[3].

كما كتب الشاعر محمد إبراهيم خليل هذه القطعة على شاهد قبر قارى يشير فيها إلى مكانته قائلاً:

- قارى فريد عالمه وحكيم الوطن، ذلك الشاعر الشهير التقى العارف الزاهد.
- ذلك الرجل الفاضل الذى كان على مدار خمسة وسبعين عاماً، مثل القمر المضئ بكمال العلم والأدب.
- ذلك الرجل التقى الذى ألم بكل علم وفضل، فكان غزير النفع وله فضل على الملك
- والشحاذ.
- رحل من هذه الروضة مثل البلبل طبعه جذاب للقلوب واستقر فى وعيه يقين بستان البقاء[4].

---

1 -كليات قاري ص513.

2 - محمد رضا شفيعي كدكن هو أحد الشعراء المعاصرين في إيران ولد عام 1318 هـ ش الموافق 1939م في قرية كدكن إحدى قرى نيسابور، تلقى علومه الأولى في المعاهد والحوزات الدينية ثم التحق بجامعة مشهد، وحصل على الماجستير والدكتوراه من جامعة طهران وعمل مدرساً بها، وأتقن اللغة العربية والإنجليزية إلى جانب الفارسية، له العديد من المؤلفات القيمة بالفارسية والعربية والإنجليزية، ويعد نابغة من نوابغ الأدب الفارسي فهو أستاذ وشاعر يشار إليه بالبنان في الأدب الفارسي – محمد رضا شفيعي كدكن – الأدب الفارسي المعاصر – ترجمة بسام ربابعة – ص12 – سلسة عالم المعرفة الكويت – أكتوبر 2009م.

3 - www.ariaye.com

مقالة للدكتور محمد رضا شفيعي كدكني بعنوان "شعر فارسي معاصر در أفغانستان".

4 -محمد إبراهيم خليل – استخراج تاريخ در نظم – ص37 – كابل 1337 هـ ش.

4 - تأثر قارى بتراث السابقين:

لقد قرأ قارى كثيراً من دواوين شعراء الفارسية البارزين أمثال الفردوس المتوفى (416 هـ ق. – الموافق 996م) وفرخى السبستانى المتوفى (429 هـ الموافق 1037م) وسنائى الغزنوى (526 هـ =1133م) ونظامى الكنجوى (599 هـ =1202م) وسعدى (691 هـ = 1271 م) وحافظ (719 هـ ق = 1299م) وجامي (898 هـ = 1492م) وغيرهم من الشعراء[1].

- وكان قارى يقول عن هؤلاء الشعراء أن لديهم قوة روحية علاوة على المقدرة الشعرية، وعندما كان يقرأ شيئاً من آثارهم وأشعارهم كان دائماً ما يشيد بالذوق الأدبى والمقدرة الشعرية من ناحية وبقوة العقيدة من ناحية أخرى[2].
- وقد تأثر قارى بهؤلاء الشعراء واقتبس بعض معانيهم واتبع أسلوبهم الكلاسيكى الرصين وكانت الأفكار العميقة واللغة الشعرية الرائعة لهؤلاء الشعراء هى منبع إلهامه وإبداعه.
- وقد قال عنه العلامة صلاح الدين السلجوقي: إن قارى شاعر من طراز الفرخى وسنائى وجامي[3].

كما قال الشاعر الكبير خليل الله خليلي:

- وآاسفاه لن يأتى فى هذا الملك، حلفاً لحافظ مثل قارينا[4].

ومن خلال البحث حول شخصية قارى وأشعاره تبين لى أن قارى قد تأثر فى إنتاجه الأدبى بمؤثرين أساسيين.

المؤثر الأول: هو تأثره بهؤلاء الشعراء سالفى الذكر واستقباله لأشعارهم وتضمينه[5]

1 -مقدمة كليات قاري ص 8 .

2 -مقدمة الكليات – ص15.

3 -مقدمة الكليات – ص4.

4 -د. عفاف السيد زيدان – شاعر أفغانستان المعاصر خليل الله خليلي – ص144.

5 - التضمين: تكون هذه الصنعة بأن يدخل الشاعر في شعره، على سبيل التمثل والعارية لا على سبيل السرقة، مصراعاً أو بيتاً أو بيتين من قول شاعر آخر، ويجب أن يكون بيت التضمين مشهوراً وأن تكون هناك إشارة صريحة على التضمين، بحيث تزول تهمة السرقة عن الشاعر لدى سامعيه – رشيد الدين الوطواط – حدائق السحر في دقائق الشعر – ترجمة – إبراهيم أمين الشواربي – ص175 – القاهرة 1364 هـ - 1945م.

لبعض معاني أشعارهم ومصطلحاتهم القديمة في قصائده، بل وتضمينه لأبيات وقطع كاملة من أشعارهم فيما نظمه من قصائد، وقد نظم قارى العديد من قصائده على غرار أشعارهم من حيث المعنى والوزن والقافية.

أما المؤثر الثاني: فهو تأثره بشعراء السبك الهندى من أمثال كليم المتوفى (1061 هـ ق الموافق 1641م) وطالب وسليم وواقف أما أكثرهم تأثيراً على شخصية قارى وعلى إنتاجه الأدبى فهو ميرزا عبد القادر بيدل المتوفى (1133 هـ ق الموافق 1713م)، فكان قارى أكثر ميلاً وإرتباطاً بهذا السبك وشعرائه فقد نظم غزلياته كلها بالسبك الهندى، وقد صرح قارى بهذا التأثر والارتباط فى أكثر من موضع من أشعاره، ولكن لا مجال لبحث هذا النوع من التأثير الآن وسوف يأتى الحديث عنه عند الحديث عن أسلوب قارى الشعري.

وإذا نظرنا إلى من تأثر بهم قارى من شعراء الفارسية العظام نجده متأثر بالشاعر فرخي السيستانى (المتوفى 429 هـ ق الموافق1037م) فى قصيدة نظمها بعنوان فتح كابل، حيث جاءت القصيدة على غرار قصيدة مشهورة للفرخي ومرادفه لها فى البحر والوزن، فيقول الفرخي فى مطلع قصيدته:

منذ أن اكتست الغياض والرياض بالحرير الأزرق، واكتست قم الجبال بحرير تنوعت ألوانه[1].

- فقام قارى بتضمين بيت الفرخي فى قصيدته قائلاً :
- يقوم قلمي بتضمين بيت للفرخي، حتى يكون صوته نغماً جذاباً مع البلابل.
- يبزغ الربيع بحسنه الباهر اللطيف من الحجب، "بينما اكتست الغياض والرياض بالحرير الأزرق".
- وبينما صارت أوراق البستان ألواناً مختلفة من الخريف "اكتست قمم الجبال بحرير تنوعت ألوانه"[2].

1 -د. عفاف السيد زيدان - فرخي سستاني – ص 475.

2 -كليات قاري ص 221.

كما تأثر قارى بالشاعر الفردوسى (المتوفى 416 هـ ق الموافق 1025م) واقتبس بعض مصطلحات الشهنامة فى أشعارها، فيقول: -

إذا لم تترحم على أشلاء معارك "رستم"، فليس لدى صبر على فراقك أكثر من هذا"[1].

ويقول أيضاً:

أيها الملك ماذا أصف من معاركك، فيقيناً، إن كل من حكايات حروبك تملأ "هفتخوانه[2]"[3].

- كما تأثر قارى أيضاً بالشاعر الكبير **سعدى الشيرازى** (المتوفى 691 هـ ق الموافق 1291م).

فنراه يضمن قطعة من خمسة أبيات من أشعار سعدى فى قصيدته التى مدح فيها الأمير عبد الرحمن خان قائلاً:

- واستشهد في هذا القصيدة بقطعة دعائية، تيمناً من شعر سعدى وتضمين.
- ليكون دائماً خاتم الحظ ملك يمينك، وتكون عين رزقك دائماً جارية.
- وليجلس حسادك فى حزن طوال السنين، وأنت تستمع إلى أصوات الطرب الحزين.
- ولا يبقى أعداؤك فى العالم بعد ذلك، بل يكونون فى السجن أو أمواتاً فى سجين.
- وترتفع أصوات أصدقاؤك بالطرب، ويرتفع أنين أعدائك إلى عنان السماء.

وليدم ألف عام عمر جلالتك، وتكون كل شهورها أردى بهشت وفروردين[4].

ومن مظاهر تأثر قارى بتراث السابقين أيضاً أننا نراه يعجب بأشعار نظمها العديد من هؤلاء الشعراء ويستقبلها وينظم أشعاراً على غرارها، وظاهرة الاستقبال فى شعر قارى بارزة جدا، فكلياته تزخر بالكثير من الأشعار التى نظمها قارى استقبالاً وجواباً لأشعار العديد من الشعراء السابقين عليه والمعاصرين له، وقد نظم هذه الأشعار فى جميع قوالب الشعر وفنونه، فمنها ما هو فى القصيد، والغزل، والقطع والمخمس، والرباعي وغيرها من الفنون.

---

1 -كليات قاري ص 279.

2 - هفتخوان: هي إحدى قصص شهنامة الفردوس، وهي عبارة عن سبعة دروب سلكها رستم وهو في طريقه لقتل سپيد ديو، وتخليص كيكاوس – الفردوسي – الشهنامة – الجزء الأول ص 162 – ترجمة الفتح بن علي البنداري – تحقيق عبد الوهاب عزام. الطبعة الثانية – القاهرة 1993م.

3 -كليات قاري - ص 279.

4 -كليات قاري - ص 279.

ولو تجرد باحث لسرد وبحث الأشعار التي نظمها قارى فى استقبال وجواب غيره من الشعراء لأعد بحثاً منفرداً حول هذا الموضوع، على أننى سوف اكتفى بذكر نماذج مختصرة توضح كيف تأثر قارى بهؤلاء الشعراء.

ومن أشعار الاستقبال قصيدة أنشدها عام 1306 هـ فى استقبال نظامى وجامى وهو فى حالة الشيخوخة، يقول فى مطلعها:

جاء وقت الشيخوخة وضعف بصري، وينبغى ألا أقيم للحياة وزناً.

لم تتمتع طبيعتى بمتعة المشاهدة، عندما أذهب إلى الحديقة وأنظر إلى الورد والياسمين[1].

وهناك قصيدة نظمها حوالى عام 1334هـ ق المواق 1914م فى استقبال قصيدة للمستغني[2] فيتحدث المستغنى فى قصيدته عن الربيع قائلاً:

- جاء الربيع حتى تشعل الشقائق الحمراء النارية في كل صوب وحدب، ويشعل الورد السورى النار فى الغصون مرة أخرى.

فنظم قارى على غرارها قائلاً:

- جاء الصيف وأشعل شواطئ النهيرات بالنار، وارتفع شرر النار من الأرض للفلك.
- جاء الصيف وجعل السنابل دخان، لقد حل الصيف واشتعلت الشقائق الحمراء النارية[3].

ونذكر من نماذج استقبال قارى لأشعار شعراء إيرانيين معاصرين، قطعة من الغزل نظمها

---

1 -كليات قاري ص 268.

2 - مستغني: هو عبد العلي خان المستغني ولد عام 1293 هـ ق وتوفى عام 1352 هـ ق وهو أحد الشعراء المعاصرين لقاري: د. آمال حمزة محجوب-أثر البيئة الأفغانية والعصر على شعر عبد العلي مستغني-(رسالة دكتوراه)-ص 3، 444.

3 -كليات قاري ص 246.

تموز: هو الشهر العاشر من أشهر السنة الإيرانية، وهو يوافق شهر مرداد في السنة الفارسية، وشهر يوليو في السنة الميلادية، وهو أشد أشهر الصيف حرارة.

- حسن عميد - فرهنگ عميد - ص 121 - چاپ دوازدهم - هران 1377 هـ ش.

في استقبال غزل لملك الشعراء بهار المتوفي (1370 هـ ق الموافق1950م).

- **يقول قاري:**

- مرة أخرى نبدأ بالشكوى من تلك الجدائل المتدلية المضطربة، فتجعل البال المضطرب أكثر اضطرابا[1].

ولقارى غزلية أخرى أنشدها في استقبال أشعار للشاعر الإيراني المعاصر فرخى اليزدى المتوفي (1318 هـ ش الموافق – 1939م).

يقول فيها:

- نظرت ثانية إلى حجابها على استحياء، آه فقد صنعت من خيط النظر قماط نقابها[2].
- وله غزلية أنشدها استقبالاً لأشعار حافظ الشيرازي، **يقول قاري:**
- اعمل على أن أجعل فكرى بمعزلٍ عن عيش الدنيا، وأخرج من صدرى أهواء لا حصر لها[3].
- كما نظم قارى غزلية أخرى في إستقبال أشعار لراهب الأصفهاني ،يقول فيها:
- لا تتحدثوا عن الجدائل المسكية لحبيبتي، ولا تسودوا أيامى بهذه الذريعة[4].

5 - علاقة قارى بأصدقائه وتلاميذه وتأثيرفيمن جاؤا بعده.

وحول علاقة قارى بأصدقائه وطلابه الذين تلقوا العلم على يديه، فإن كليات قارى تموج بالعديد من القصائد والأشعار التى تعبر عن هذه العلاقة الحميمة، وتدل على أن شاعرنا كان حريصاً على استمرار الصلة بينه وبين طلابه وأصدقائه من الشعراء والكتاب المعاصرين له، كما اعترف هؤلاء أيضاً في العديد من كتاباتهم بفضل قارى عليهم وأشادوا بدوره في تعليمهم وتربيتهم.

ومن هؤلاء الأصدقاء الشاعر شائق جمال وهو أحد الشعراء المعاصرين لشاعرنا وكان يمت له بصلة قرابة بالإضافة إلى كونه صديقاً وتلميذاً له، ويمدح قارى نظم شائق ونثره

1 -كليات قاري ص 128.

2 -كليات قاري ص 164.

3 -كليات قاري ص164.

4 -كليات قاري ص125.

في هاتين الرباعيتين **قائلاً:**

- إن شائق عزيز على وفلذة كبدي، وهو قريب لنفسى وتذكار لأبي.
- إن مجموعة أشعاره ونثره من طبعه الفياض، وهو حلو المذاق لنا مثل الحليب والسكر.
- شائق الذى هو قريب لى وقطعة من كبدي، وهو ابن عمتى يرحمها الله.
- ذهبت القافلة والآن شائق وأنا، تأخرنا عن القافلة والطريق ملئ بالمخاطر[1].

وكما يتبين من الأبيات فإن شائق جمال هو ابن عمة قاري.

ومن الأبيات التالية أيضاً يتبين أن شاعرنا كان أستاذاً ومعلماً لشائق، وقد صرح شائق بهذه الحقيقة في البيتين التاليين، وفيهما يشيد أيضاً بما قدمه قارى من خدمات لوطنه وشعبه.

فيقول عن قاري:

- إن هؤلاء الذين يكدون فى خدمة أوطانهم، أوصافهم حسنة جميلة وحديثهم عذب.
- لست وحدى من اغترف من ذلك البحر الزاخر، بل كان علمه وثقافته منهلاً لكل رجل وامرأة[2].

ومن معاصرى ملك الشعراء قارى وأصدقائه أيضاً الشاعر الكبير عبد العلى المستغني، وعندما توفى المستغنى أنشد قارى فى وفاته مرثية تبلغ أبياتها أربعين بيتاً **وكان مطلعها:**

- إلى متى يدمى الكبد حزناً على الأحباب، وفى كل لحظة ننشد الرثاء ونصير محزونى الخاطر
- ومن قراءة هذه المرثية يتضح مدى أواصر الصداقة بين قارى ومستغنى وإلى أى حد حزن قارى على موته **فيقول:**
- إلى متى تأتى القيامة على بموت الأحباب، فأسمع خبر وفاة أصدقائى وأمزق ثيابى[3].

ثم يتحدث قارى عن أستاذية المستغنى ومكانته فى الشعر والكلام ويصف معانيه الرصينة وأسلوبه الجميل.

---

1 -كليات قاري ص 384.

2 -كليات قاري ص511.

3 -كليات قاري - ص 327.

- فيقول:

- منذ أن غاب أستاذ الكلام عن مجلسنا، لا نرى أحداً آخر يفتح الكلام مثله.

- ذلك الذى كان يأتى بالمعانى الرصينة والألفاظ الأصيلة، كان له أسلوب جميل وغريب[1].

بين قارى وبيتاب: -

ومن الشعراء المعاصرين لقارى والذين تتلمذوا على يديه الشاعر الصوفى الكبير عبد الحق بيتاب، وكانت أواصر الصداقة بين ملكى الشعراء قارى وبيتاب شديدة وحميمة، ولا تتسلل، إليها نزعات الحسد والتنافس التى عادة ما تدب بين أبناء الجيل الواحد من الشعراء والفنانين، فكان بيتاب يعرف حق أستاذه الذى تلقى العلوم الأدبية على يديه ويكرر ذلك دائماً فى كتاباته[2].

وكان قارى يقدر بيتاب حق تقدير وقد ترك عنده جل أعماله وإنتاجه الفكري[3].

وثمة نقاط التقاء عديدة فى حياة قارى وبيتاب وفى نشأتيهما وطدت هذه العلاقة.

من هذه النقاط:

- أن كلاً منهما قد نشأ فى أسرة تهتم بالعلم وتجله وتحث أبناءها على السعي والدأب فى طلبه وتحصيله.
- تذوقهما مرارة اليتم منذ الصغر والافتقاد لرعاية الأب والاستظلال بظله.
- تلقيهما للعلوم العربية والأدبية على يد علماء زمانيهما وتوافر أسباب الاتصال بينهما وبين الشعر والشعراء.
- كما امتهن كلاهما مهنة التدريس وحرصا على تعليم وتثقيف أبناء الوطن من خلال عملهما بالمدارس والمراكز العلمية، إيماناً منهما بأن تقدم الشعوب موقوف على اهتمام أبنائها بالعلم وبامتلاك أسباب التطور.
- كما كان لكل منهما دور بارز فى الارتقاء بالشعر والأدب والنهوض بهما من الركود

---

1 -كليات قاري - ص 327.

2 -ذو ملك الشعراي همروزگـار – ص 66.

3 -كليات قاري – ص 458.

والفتور في عصرهما.

- ولقد حاز كل منهما لقب ملك الشعراء كما كانا يتصفان بالتقوى والزهد والورع[1].
- وتتضح مدى متانة الصداقة بين قارى وبيتاب من خلال استعراضنا لما كتب كل منهما عن الآخر وذلك مثل:
- فخر بيتاب الدائم بتتلمذه على يد قاري، وتأكيده على رفعة مكانة الأدبية وتصريحه الدائم في كتاباته وأشعاره بتأثره بقارى فنجده يقول: "**لو لم يكن قارى ما كان بيتاب**"[2].

ويقول أيضاً:

- له على أنا بيتاب حق بلا حد أو حساب، أكرر ذلك كل لحظة بعين مليئة بالدمع[3].

ويمدح قارى بيتاب ويشيد بأستاذيته ومكانته في التصوف والعرفان.

فيقول:

- إن بيتاب عالم ببواطن الأمور، وتظهر آثار الحقيقة على جبينه.
- جاء أستاذ فنون الأدب ولكن، رأسماله العلم ومن هنا تكون رفعته ومكانته[4].

ويقول قارى فى مرثية نظمها فى وفاة المستغني.

- رحل المستغنى ولم يعد في بحر الكلام ماء، ولم يبق سوى حزنه وغمه في قلوب المحزونين.
- لم يعد هنا الذوق المملوء بالغزل في الليالي القمرية، وفارقت السعادة قلوب شائق وبيتاب.
- غاب عن هذا المحفل وطويت صحيفة القصائد، من غيره يجمع الجواهر الفريدة[5].

وبالنظر لهذه الأشعار نرى أنها لا توضح إشادة قارى بمكانه المستغنى ومقدرته

---

1 -مقدمة كليات قاري – ص 9، 10.

- دوملك الشعراي همروزگار - ص 66، 67، 68.

2 -دوملك الشعراي همروزگار – ص 101.

3 -كليات قاري - ص 509.

4 -كليات قاري - ص 382.

5 -كليات قاري ص 328.

الشعرية فحسب، بل توضح أيضاً مدى قوة وعمق رابطة الصداقة بين شائق وبيتاب ومستغنى وقاري.

ومما يدل على قوة العلاقة بين قارى وبيتاب أيضاً أنه عندما ترجم قارى كتاب فصوص الحكم للشيخ ابن عربى "قد سبق الحديث عنه"، أودع النسخة الخطية لهذه الترجمة بالإضافة إلى ديوان من الغزليات بخط يده أيضاً عند بيتاب[1].

ولقد تعمقت صداقة قارى وبيتاب وامتدت إلى الروابط الأسرية، فنجد أن قارى لم يترك مناسبة عند بيتاب سواء كانت سارة أو حزينة إلا وجامله فيها بالنظم، فقد نظم قطعة من الشعر فى وفاة والدة بيتاب، وأخرى بمناسبة ولادة ابنته[2].

وقد نظم بيتاب قصيدة تقريظية فى مقدمة كليات قارى وبقراءة هذه القصيدة يتضح لنا مدى ما يكنه بيتاب لشاعرنا من مودة واحترام، وفيها يشيد بمكانة قارى الأدبية.

كان مطلعها :

- لم يأت بكمال من شعراء زمانه، سوى قارى لطيف الخصال[3].

وأيضاً عندما كتب قارى منظومته الصوفية المسماه "محاكمة بين خان آزو وصهبائي" قام بيتاب بكتابة المقدمة لتلك المنظومة، وبقراءة هذه المقدمة يظهر لنا مدى إلمام بيتاب بالعالم الشعرى الخاص بقاري[4].

وفى حديثه حول الأشخاص المقربين من والده يقول "عبد القيوم قاري" فى حوارٍ أجرته معه إذاعة "بي.بي.سي" اللندنية.

"إنه فى عصر كل يوم كان يأتى إلى منزلنا عدة أشخاص من أصدقاء أبى المقربين أمثال: الصوفى الكبير عبد الحق بيتاب ملك الشعراء، والعلامة صلاح الدين السلجوقي، والسيد عبد الرحيم خان مدير التنظيمات وغيرهم، ويقضون عدة ساعات فى قراءة

1 -كليات قاري - ص458.

2 -كليات قاري - ص 345، 365.

3 -كليات قاري - ص3.

4 -كليات قاري – ص 460.

وتحليل غزليات وأشعار الشعراء السابقين[1].

وأخيراً عندما قام پايندة محمد زهير بجمع كليات قارى وطبعها استعان فى ذلك بالأستاذ عبد الغفار قارى وهو أحد أبناء شاعرنا فى ترتيبها وتدوينها، وقام الشاعر بيتاب بتصحيحها ومراجعتها وتكبد فى سبيل ذلك، مشقة بالغة[2].

ومن الشعراء المعاصرين لقارى والذين تتلمذوا على يديه أيضاً الشاعر مير محمد عثمان الذى صرح أنه قرأ بعض كتب الأدب الفارسى ودرسها على يد ملك الشعراء قارى عبد الله خان[3].

وكذلك الشاعر محمد فارغ وهو الابن الثالث (لحافظ جى) الذى كان من معلمى قارى وكانت تربطه بقارى صلة قرابة، وقد تلقى فارغ علوم الصرف والنحو على يد قاري[4].

وقد كتب قارى رسالة لهذا الشاعر يوضح فيها مدى محبته له ووفاءه لصداقتهما، ونذكر فيما يلى جزء منها.

يقول قاري:

"لو أنك قد فرغت من صداقتنا، فليس ميسراً لنا أن نفرغ شهيد سيف الغفلة، أسير تجعد الجدائل المسكية، خاسر روحه عشقاً ونحيباً للجديلة المتجعدة، محترق القلب يخفى نار عشقه، مضطرب طرة جبينه المشوش، ثملاً من خمراً صافية لشفة فماً غريب، ذبيح نظرة قاسية لعين كافره المذهب، مفتون الفكر، مضطرباً هو شعر قارى المضطرب الحيران، فارغ من أسلوبٍ البيان، مشغول بأمر الصفاء الزائد والعطاء......"[5].

وذكر مؤلف كتاب "أدبيات معاصر درى أفغانستان" أن قارى قد أسهم فى تعليم وتربية مجموعة كبيرة من العلماء والأدباء، وأن معظم شعراء أفغانستان قد تتلمذوا على

---

1 -هذه البيانات من على الرابط الإلكتروني : B.B.C. PERisen.com
تسجيل لحوار إذاعي مع عبد القيوم قاري.
2 -مقدمة كيات قاري - ص1.
3 -مولانا خسته - معاصرين سخنور - ص184 - چاپ كابل 1368 هـ ش .
4 -معاصرين سخنور - ص184.
5 -كليات قاري - ص419.

يديه[1] وهم يفخرون بأن هذا المربى الفاضل والعالم الجليل هو أستاذ لهم، ويذكرون اسمه دائماً بكل احترام وتقدير، وباتفاق جميع أبناء هذا الون فإن ملك الشعراء قارى يعد فى أرفع منزلة علمية وأدبية بين علماء عصره[2].

وأن الخدمات التى قدمها هذا العالم لبلاده لا يمكن حصرها فى مجرد كلمات[3].

وأن فقدانه يعد خسارة فادحة فى دنيا العلوم والمعارف، ولسوف يكتب اسمه دائماً بحروف من نور على صفحات التاريخ الحديث لهذا الوطن[4].

ومما سبق وسردناه من الأشعار والرسائل التى كتبها قارى عن أصدقائه وطلابه أو كتبت عنه، يتبين مدى الارتباط بين قارى وطلابه ومدى تأثيره فى ثقافتهم وتكوينهم.

فقد كان قارى دائماً ما ينصح طلابه بالحرص على تحصيل العلم دون كلل أو ملل، وأن العالم لا بد أن يكون مستعداً دائماً لتقبل النقد من الآخرين، وأن الطالب النابغ لا بد أن يكون لديه صبر وجلد على تقبل النقد دون اضطراب أو غضب، وكان قارى رغم كبر سنه وغزارة علمه قريباً من طلابه، تربطه بهم علاقة صداقة خاصة تبنى على العلم والأدب والأخلاق الحميدة[5].

1 -صابر مير زايف وسلطان محمد پويان - ادبيات معاصر درى أفغانستان - جزء دوم - ص 124 - كابل 12364 هـ ش.

2 -مقدمة كليات قاري - ص12.

3 -أدبيات معاصر دري أفغانستان -ص124.

4 -مقدمة كليات قاري - ص12.

5 -مقدمة كليات قاري - ص15.

الباب الثالث

كليات قاري وموضوعات شعره

الفصل الأول

كليات قارى والنسخة التى اعتمدت عليها

أولا - كليات قاري:

إن المتفحص لكليات قارى عبد الله خان يجد أن مجموعة أشعاره تربو على العشرة آلاف بيت، حيث إن عدد صفحات الشعر فى كلياته حوالى "380" ثلاثمائة وثمانين صفحة من القطع الكبير، وإذا اعتبرنا أن متوسط عدد أبيات كل صفحة هو "27" سبعة وعشرون بيتاً يكون الناتج هو "10260" عشرة آلاف ومائتين وستين بيت، من الشعر صاغها قارى من خلال العديد من الفنون المختلفة للشعر، نظمها جميعاً فى القالب القديم للشعر الكلاسيكي، مع الالتزام بوحدة الوزن والقافية فى الشكل العمودي؛ وسوف نتحدث عن هذه الفنون حسب ترتيبها فى كليات قارى وأهمها:

أ) الغزل:

والغزل ضرب من ضروب النظم الموحد القافية، وهو عبارة عن منظومة قصيرة يتراوح عدد أبياتها بين سبعة أبيات وخمسة عشر بيتاً، وقد تقل أو تزيد عن ذلك قليلاً، ويشترط فى الغزلية أن يكون مطلعها موحد القافية بين مصراعيه والمصاريع الأخيرة فى جميع أبياتها موحدة القافية مع المطلع[1].

ويلتزم الشاعر بذكر لقبه الشعرى فى البيت الأخير أو السابق عليه، وهو ما يعرف فى الفارسية بالتخلص[2].

1 - جلال الدين همايى - تاريخ أدبيات إيران - جلد أول - ص 69 - چاپ تبريز - 1308 هـ ش.

عبد الحسين زرين كوب - شعر بي دروغ، شعر بي نقاب - چاپ چهارم 1363 هـ ش.

د. إبراهيم أمين الشواربي - مقدمة ديوان حافظ الشيرازي ص 31 - 1998 م.

2 - د. عفاف السيد زيدان - الحب في الشعر الفارسي - ص 20 - طبعة القاهرة 1977م.

والغزل من مغازلة النساء أى محادثتهن، ويقال لمن يغازل النساء ويدنو منهن غزل ومتغزل وغزيل[1].

ومن حيث الموضوع ففى الغالب يكون موضوع الغزل الحب العفيف والعشق المنزه إنسانياً كان أو إلاهياً، وإن كان بعض الشعراء قد طوروا أغراض الغزل بحيث شمل أغراضاً أخرى كما فى غزليات حافظ الشيرازي، أما من حيث الأسلوب، فإنه لسمو الأغراض التى يلمسها الغزل لا بد أن تتسم ألفاظه بالعذوبة والرقة والبعد عن الألفاظ النابية والعبارات الواهية[2].

ويبنى الغزل على الأوزان الشعرية التى تحلو موسيقاها إلى الأسماع وتآلفها القلوب والطباع وترتاح النفوس إلى ما فيها من نغمات ونبرات وتنفعل بما فى وقعها من أصوات وأنات[3].

والغزل هو أهم الفنون الذى نظم فيها قارى على الإطلاق، وقد أولى للغزل عناية خاصة بين مجموعة أشعاره، وعن ذلك يتحدث فيض محمد خان زكريا قائلاً:

"لم يعط قارى فنًا من الفنون ذلك القدر من الاهتمام الذى منحه للغزل، وكان دائماً ما يقول مع أن الغزل مشتق من القصيد إلا أن الغزل هو معراج الكلام، وقد أظهر قارى فى الغزل قريحة عالية وعواطف سخية عالية"[4].

وتشكل الغزليات القسم الأعظم من إنتاج قارى الشعرى وتقع فى حوالى "196" مائة وست وتسعين صفحة من كلياته، ويبلغ عدد الغزليات "508" خمسمائة وثمانى غزليات وهى تحتوى على ما يقرب من خمسة آلاف "5000" بيت، اتبع قارى فى نظمها جميعاً مراعاة القافية والرديف[5] حسب ترتيب حروف المعجم، ومن الملاحظ أن قارى

1 - أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري – أساس البلاغة – الجزء الثاني – ص163 – طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة – القاهرة 2003.

2 - د. إسعاد عبدالهادي قنديل – فنون الشعر الفارسي - ص 203 – الطبعة الثانية - بيروت 1981م.

3 - د. محمد السعيد جمال الدين – قصائد مختارة من ديوان شمس تبريز لجلال الدين الرومي – ص33، 34 – القاهرة 2008م.

4 - مقدمة كليات قاري – ص 8.

5 - الرديف: في اصطلاح علم العروض هو تكرار حرف أو كلمة تأتي آخر الشطر بعد القافية الأصلية –

جمع فى قوافيه كل الحروف الأبجدية الفارسية ما عدا حروف "پ، ژ، گ"، وتتراوح معظم غزليات قارى بين خمسة أبيات إلى ثلاثة عشر بيتاً، إلا أن هناك غزليتين يقل فيها العدد إلى أربعة أبيات وغزليتين أخريين تتكونان من ثلاثة أبيات، وقد أجاد قارى فى مطالع غزلياته إجادة تامة، كما أنه كان أيضاً ماهراً فى تخلصه، إلا أنه لدى قارى ثمانى غزليات لم يتخلص فيها.

(ب) القصيد:

والقصيدة هى ثانية القوالب والفنون الشعرية فى كليات قاري، والقصيدة: عبارة عن شعر منظوم فى عدد من الأبيات يشتمل كل بيت منها على شطرين تامين متساويين، ويشترط فى القصيدة أن يكون مطلعها موحد القافية بين مصراعيه، وأن تكون جميع أبياتها موحدة القافية مع مطلعها، وأن تجرى أبياتها جميعاً على وزن واحد، وتتناول القصيدة أغراضاً مختلفة من أهمها، المديح والهجاء والرثاء والوصف وغير ذلك[1].

وقد جرت القصيدة الفارسية على ما جرت عليه القصيدة العربية من أن يجعل الشاعر فى مقدمتها جملة أبيات يكون موضوعها فى الغالب الوصف أو النسيب أو التشبيب بالحبيب وذكر محاسنه وذلك لتشويق السامع، ثم ينتقل إلى موضوعه الأصلى ببيت يسمى "گريزگاه" أى بيت التخلص، ثم يأخذ بعده فى إطراء ممدوحه بمختلف النعوت والأوصاف، فإذا ما استوفى الغرض وكانت له حاجة لدى الممدوح عرضها عليه فى بيت يسمى " بيت طلب" أى بيت الطلب، ثم ينهى القصيدة بالبيت الأخير الذى يسمى "بيت مقطع" أى بيت المقطع،، ويجب أن يمتاز بيت المطلع وبيت المقطع بالرقة والحسن والجمال حتى يمكن أن يقال إن القصيدة حسنة المطلع حسنة المَقطع[2].

وقد استحدث الفرس نوعاً من القصيدة يسمونه بذات المطالع، تصاغ فيه القصيدة

حسن عميد - فرهنگ عميد - مادة رديف - ص 648.

1 - د.أحمد معوض - ألوان من الشعر الفارسي - ص 31 - الطبعة الأولى -القاهرة 1983م.

عبد الحسين زرين كوب - شعربي دروغ، شعربي نقاب، ص105.

جلال الدين همايى - فنون بلاغت وصناعات أدبي - جلد أول ص 102 - چاب بانزدهم - قم 1377 هـ ش.

2 - د. إسعاد عبد الهادي قنديل - فنون الشعر الفارسي - ص79.

على أكثر من مطلع، وهي أن ينشئ الشاعر قصيدته على مطلع من المطالع، فيستوفيه غرضه، ثم يجدد المطلع على نفس القافية التى أنشأ عليها مطلعة الأولى، ثم يستوفيه غرضه ثانية، وقد يجدد الشاعر مطلعه أكثر من مرة، ويهدف بذلك إلى أن يبين قدرته على امتلاك ناصية الشعر والقافية[1].

وتحتل القصائد جزءً كبيراً من كليات قارى ويبلغ عدد القصائد في كلياته خمساً وخمسين "55" قصيدة، منها ست وعشرون "26" مقتضبة والباقى لها مقدمة وتشبيب، وتتراوح عدد الأبيات في قصائد قارى بين "15" خمسة عشر و"130" مائة وثلاثين بيتاً، وذلك حسب اقتضاء موضوعاتها، فأقصر قصيدة نظمها شاعرنا تحتوى على خمسة عشر بيتاً فقط، وهى فى مدح أحد معاصريه ومطلعها هو:

- من كثرة ما سقط فى كف قدمك من ورد الحنا، صبغ حسنك لون الربيع بلون قدمك[2].

- وأطول قصيدة لديه تقع فى "130" مائة وثلاثين بيتاً وهى فى وصف الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ومطلعها هو:

- من شدة عشقك انصهر الجسد وأصبح نحيفاً ضعيفاً كأنه القلم، وخلت العظام من النخاع كأنها القلم[3].

ومن أهم خصائص القصائد في شعر قارى المهارة وحسن الانتقال من المقدمة إلى أصل الموضوع من خلال بيت أو بيتين هما: بيتا الانتقال، فمثلاً فى قصيدة وصف الرسول صلى الله عليه وسلم وبعد مقدمه من 57 سبع وخمسين بيتاً ينتقل إلى الغرض الأساسي، وهو المديح ببيت غاية فى المهارة فيقول:

- لقد تخلص من المهالك بفضل التوبة، لو كان الهروب يليق بشأن القلم.

---

1 - د. أحمد معوض – ألوان من الشعر الفارسي – ص32.
جلال الدين همايي – فنون بلاغت وصناعات أدبي – جلد أول - ص113، 114.
2 - كليا قاري - ص 197.
3 - كليات قاري - ص257.

- فى وصف سيد العالمين مجتبى الكونين، الذى جاء اسمه عنوان لبيان القلم[1].

وخاصية أخرى تتميز بها قصائد قاري، وهو نظمه للقصائد ذات المطالع المتعددة فيشتمل ديوان قصائده على سبعة قصائد ذات المطلعين وقصيدتين اثنين تجددت فيهما المطالع ثلاث مرات، وهو ما يدل على مهارته وامتلاكه ناصية هذا الفن.

(جـ) الترجيع بندو التركيب بند:

ومن الفنون الشعرية التى نظم فيها قارى أشعاره فن الترجيع بند والتركيب بند، وقد جمعهما صاحب المعجم وجعلهما ضرباً واحداً يسميه بالترجيع بند[2].

والترجيع فى اللغة بمعنى ترديد الصوت فى الحلق، والترجيع فى الأذان بمعنى تكرار الشهادتين.

أما فى مصطلح الشعر الفارسى فهو عبارة عن منظومة مقسمة إلى أقسام أو خانات أو بنود، بحيث تكون جميع الأقسام متفقة فى الوزن مختلفة فى القافية، ويرد بين كل قسم وآخر بيت منفرد يتفق مع جميع أبيات المنظومة فى الوزن، ويختلف عن القسم السابق عليه والقسم اللاحق به فى القافية[3].

فإذا كان البيت الذى يتكرر هو ذاته فى المنظومة كلها، فتسمى "ترجيع بند" وإذا كان البيت يتكرر رويه فحسب فتسمى "تركيب بند"، والقاعدة أن يكون عدد أبيات كل قسم من الترجيع مساوياً لعددها فى كل الأقسام الأخرى، ولكن الكثير من الترجيعات التى وردت فى بعض دواوين الشعر يختلف عدد أبيات كل قسم عن الآخر[4].

أما عن تعداد الأقسام أو البنود التى يتكون منها الترجيع فقد ذهب البعض إلى أن العرف المتبع ألا تزيد الأقسام عن عشرة ولا تنقص عن خمسة، وإن كان بعض الشعراء

1 - كليات قاري ص 258.

2 - شمس قيس الرازي - المعجم في معايير أشعار العجم ص 394 - تهران 1335 هـ ش.

3 - د. إبراهيم أمين الشواربي - حدائق السحر في دقائق الشعر ص191 - "الترجمة العربية".

عبد الحسين زرينكوب - شعر بي دروغ شعر بي نقاب - ص 106.

جلال الدين همايي - فنون بلاغت وصناعات أدبي - جلد أول - ص 180.

4 - إدوارد جرانفيل براون- تاريخ لأدب في إيران من الفردوسى إلى سعدي - ص54 .

أحمد معوض - ألوان من الشعر الفارسي ص 68.

جلال الدين همايي - فنون بلاغت وصناعات أدبي - ص 180، 181.

لم يلتزم بذلك وزاد عنها[1].

أما بالنسبة للترجيع بند و التركيب بند عند قارى فمن الملاحظ أن تعداد ما نظمه في هذا الفن من أشعار يعد قليلاً إذا ما قورن بما نظمه في الفنون الأخرى من حيث الكم، فلم يتجاوز ما نظمه بذلك الفن أكثر من ثلاث ترجيعات بند وأربع تركيبات، وبالنسبة لتعداد أبيات كل قسم أو بند في كل ترجيع أو تركيب فلم تكن أعداداً ثابتة، فقد جاء تعداد الأبيات متساويا في بعض الموارد، ومختلفاً في موارد أخرى، كذلك لم يلتزم قارى بتعداد الأقسام والبنود التى يتكون منها كل ترجيع أو تركيب، فبالرجوع إلى ما نظمه نجد أن اقل تركيب عنده يتكون من بندين وأكبر ترجيع يتكون من أحد عشر بنداً.

(د) المثنوي:

ولشاعرنا قارى عبد الله عدة أعمال نظمها في قالب المثنوي، والمثنوى شعر يبنى على أبيات مستقلة مصرعه، يشتمل كل بيت منها على مصراعين متفقين في القافية والروي، مستقلين عن غيرهما من حيث القافية، ويشترط في المثنوى أن تجرى جميع أبياته على وزن واحد[2].

ويسمى هذا الفن عند العرب بالمزدوج وأشهر أمثلته في الشعر العربى ألفية ابن مالك[3].

بينما ذهب البعض إلى أن هذا الضرب فارسى النشأة لم تعرفه الأشعار العربية القديمة، وإن كان بعض الشعراء الذين كانوا من أهل فارس قد استخدموه في نظم الأشعار المتأخرة التى عرفت باسم المزدوج منذ نهاية القرن العاشر الميلادي[4]. وتتناول أغلب المثنويات عند الفرس الموضوعات القصصية أو الأغراض التعليمية أو أغراض حماسية

1 - د. عبد الوهاب عزام – أوزان الشعر وقوافيه – مجلة كلية الآداب - المجلد الأول جامعة القاهرة ص 160 – القاهرة 1933.

2 - جلال الدين همايي – تاريخ أدبيات إيران – ص77.

شمس قيس الرازي –المعجم في معايير أشعار العجم – ص 411.

عبد الحسين زرين كوب – شعر بي دروغ - شعر بي نقاب – ص 105.

3 - د. أحمد معوض – ألوان من الشعر الفارسي ص 70.

4 - إدوارد جرانفيل براون – تاريخ الأدب في إيران – ترجمة – إبراهيم أمين الشواربي جـ2 – ص47.

وتاريخية فضلاً عن الموضوعات الصوفية الفلسفية، وذلك نظراً للإمكانات التى يهيؤها هذا الضرب للشاعر من تناول موضوعات طويلة بعيداً عن شروط التزام القافية(1).

ولم يخرج شاعرنا قارى عن هذه الأسس الموضوعة لفن المثنوى من حيث الشكل، سواء بالنسبة لاتفاق القافية فى شطرى البيت واختلافها مع الأبيات الأخرى، أو بالنسبة لوحدة الوزن، أما من حيث الموضوع فلم يلتزم قارى بتلك الموضوعات المتعارف عليها للمثنوي، فلم ينظم قارى مثنويات طويلة أو قصصية ولم تتناول مثنوياته الأغراض الحماسية أو الموضوعات الصوفية الفلسفية، إنما جاءت فى مجملها إما أشعار تعليمية أو اجتماعية، ويبلغ مجمل مثنويات قارى "17" سبع عشرة مثنوية قصيرة يتراوح عدد أبياتها بين اثنين وسبعة وثلاثين بيت.

ومن أمثلة المثنوى فى شعر قارى ما نظمه في ذم الحرص على المال الذى طغى على نفوس البشر فيقول :

- من المال أصبحت أحوال الدنيا مائلة، وصار الإنسان فى ورطة هائلة
- من كثرة ما صارت المعنويات ضعيفة، بقيت الروح المسكينة هزيلة نحيفه .(2)

(هـ) المسمط:

والمسمط قد طرقه بعض شعراء الفرس ونظموا فيه شعراً قد يكون قليلاً إذا ما قورن بما نظموه فى غيره من الفنون، وقد عرف المسمط كضرب من ضروب النظم فى العربية، وهو نوع من القصائد المقسمة، حيث يقسم الشاعر قصيدته إلى أجزاء أو شطرات تتفق أوائلها فى الروي، أما أواخرها فتكون موافقة لنظائرها فى القصيدة كلها ويكون المسمط مربعاً أو مخمساً(3).

ويكون بناء هذا النوع على قطعة من ذوات القوافى الموحدة، يأخذها الشاعر يزيد قبل

1 - د. أحمد معوض – ألوان من الشعر الفارسي – ص7.
- جلال الدين همايي – فنون بلاغت وصناعات أدبي – مجلد أول – ص 157.
2- كليات قارى– ص 317 .
3 - د. أحمد معوض – ألوان من الشعر الفارسي – ص223.
- عبد الحسين زرينكوب – شعر بي دروغ شعر بي نقاب ص 106.

كل بيت ثلاثة أشطر موافقة فى الروى للشطر الأول، فيبقى الشطر الخامس مخالفاً للأشطر الأربعة التى تسبقه، موافقاً لكل شرط خامس فى القصيدة، وهذا ما يسمى المخمس[1].

وينظم الفرس نوعاً آخر من المسمط يكون بناء أبيات المنظومة فيه على خمسة مصاريع متفقة فى القافية، ثم يجعلون القافية الأصلية فى المصراع السادس الذى يكون عليه بناء القصيدة، وهى قافية مخالفة لباقى المصاريع، وهذا هو المسمط القديم الأصلي[2].

والمسمط من الفنون الشعرية التى استخدمها شاعرنا قارى عبد الله خان فى نظمه، وقد جاءت أشعاره فى قالب المسمط على ثلاثة ألوان هى المخمس والمسدس والمستزاد، فقد شملت كلياته على ثمانية مخمسات وسبعة مسدسات واثنين من المستزاد.

(و) فن القطعة :

والقطعة ضرب من ضروب النظم الموحد الوزن والقافية كالقصيدة، وهى عبارة عن منظومة قصيرة لا تقل عن بيتين، ولا تبلغ مبلغ القصيدة من حيث عدد الأبيات، ويذهب البعض إلى أنه ينبغى ألا يتجاوز عدد أبيات القطعة اثنى عشر بيتاً، وكلما استطاع الشاعر أن يجمل غرضه فى أقل من هذا العدد كان ذلك أفضل[3].

ويرى آخرون أن الأبيات لو زادت على خمسة عشر أو ستة عشر تسمى قصيدة وإن قلت تسمى قطعة[4].

غير أنه يبدو أن هذا الأمر ليس مضطرداً، فهناك بعض القطع التى تتعدى أبياتها الثلاثين بيتاً[5].

والقطعة كالقصيدة فى أنها لا تقيد بوزن معين بل تصاغ فى أى وزن يختاره الشاعر،

---

1 - د. إسعاد عبد الهادي قنديل – فنون الشعر الفارسي – ص 315.
- شعر بي دروغ شعر بي نقاب - ص 106.
2 - د. إبراهيم أمين الشواربي – حدائق السحر في دقائق الشعر – النسخة المترجمة – ص163، 164.
3 - جلال الدين همايي – تاريخ أدبيات إيران – جلد أول - ص 77.
- عبد الحسين زرين كوب – شعر بي دروغ شعر بي نقاب – ص 105.
4 - شمس الدين محمد بن قيس الرازي – المعجم في معايير أشعار العجم – ص 201.
5 - د.إسعاد عبد الهادي قنديل – فنون الشعر الفارسي – ص 230.

كما أنها لا تقيد بغرض من الأغراض بل تصاغ فى أغراض مختلفة كالمديح والرثاء والغزل وغيرها من الأغراض، وتختلف القطعة عن القصيدة فى أن مطلعها لا يكون موحد القافية بين مصراعيه[1].

أما بالنسبة للقطع عند قارى فإنه من حيث الشكل لم يلتزم فيها بالأسس التى وضعها النقاد لفن القطعة، فتبلغ عدد القطع فى كلياته "114" مائة وأربع عشرة قطعة، حافظ فيها فقط على وحدة الوزن والقافية وعدم تصريع مطالعها، أما بالنسبة لعدد أبيات القطعة فكان قارى فى هذا الشأن أكثر تحرراً، فتارة نجد له قطعاً على بيتين اثنين فقط، وتارة أخرى تأتى له قطع على خمسة أبيات أوعشرة أبيات أوعشرين بيتاً، بل وصل عدد أبيات إحدى قطعه وهى أطولها إلى واحد وأربعين بيتاً وهى قطعة يرثى فيها أحد معاصريه.

يقول فى مطلعها:

- لقد أبدع خالق العالم فى خلق بنى البشر بلا مثيل، وبين الكائنات لم يجعل لهم نظير[2].

وقد يرى البعض أنها قصيدة وليست قطعة، وربما وضعها جامع الكليات مع "القطع" على سبيل الخطأ، ويمكن الرد على ذلك بأن قارى جعل قصائده كلها مصرعة المطلع، بينما جاءت القطع غير مصرعة المطلع، ومن هنا تكون هذه هى وسيلة للتفريق بين قصائده وقطعه.

أما بالنسبة لموضوعات قطعه، فيمكن تسميتها بقطع المناسبات، لأن معظمها دار حول تحديد تواريخ لمناسبات، كأن يذكر تاريخ مولد أو وفاة أو زواج أو حادثة أو مغادرة أحد حكام عصره البلاد أو وصول أحد الشخصيات المهمة إلى البلاد وهكذا، ولهذا لا تعد قطع قارى فقط نوع من الموروث الشعرى والثقافى، بل أيضاً تعد مرجعاً تاريخياً لمعرفة أهم ملامح عصره من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وكذلك توضح علاقة الشاعر بمعاصريه وأفراد مجتمعه.

1 - عبد الحسين زرين كوب – شعر بي دروغ شعر بي نقاب - ص 105.

- جلال الدين همايي – فنون بلاغت وصناعات ادبي – جلد أول – ص 148 ، 149.

2 - كليات قاري ص 337.

(ز) الرباعى والدوبيت:

والرباعى من حيث الشكل عبارة عن بيتين من الشعر يشتملان على أربعة مصاريع تجرى على وزن واحد وقافية واحدة، غير أن المصراع الثالث قد يتفق مع المصاريع الثلاثة الأخرى فى القافية أو لا يتفق معها، فلا يشترط فى الرباعية إلا تقفية المصاريع الأول والثانى والرابع، ويعرف الرباعى ذو المصاريع الأربعة المقفاة بالرباعى الكامل وذو المصاريع الثلاثة بالرباعي، الخصي[1].

ويعرف الرباعى عند الفرس باسم "دوبيتي" لأنه من حيث البناء لا يزيد عن بيتين وذو مصارع أربعة موحدة[2].

ويذكر البعض أن الفرق بين الرباعى والدوبيت أنه كلما كانت المصاريع الأربعة على وزن من الأوزان الأربعة والعشرين المتفرعة من بحر الهزج تسمى "رباعي" وإذا لم تكن على هذه الأوزان تسمى "دوبيتي"[3].

وإذا نظرنا إلى فنى الرباعي والدوبيت عند شاعرنا قارى عبد الله نجد أنهما من أقل الفنون التى نظم فيها من حيث الكم فلقارى "115" مائة وخمس عشرة رباعية و"12" اثنا عشر دوبيتاً جاء معظمها من حيث الشكل من النوع ذى المصاريع الثلاثة المقفاة، وأن عدداً قليلاً منها من النوع الكامل ذى المصاريع الأربعة المقفاة، أما من حيث المضمون فإن رباعيات قارى قد دارت حول موضوعات عديدة منها، المديح والتهنئة بعيد الاستقلال والنصح والإرشاد والحكمة، ومنها ما دار حول أفكار فلسفية وتصوفية، أما الدوبيت فكانت جميعها بلا استثناء فى وصف الربيع.

ومن أمثلة الرباعى فى شعر قارى قوله

---

1 - د. إسعاد عبد الهادي قنديل – فنون الشعر الفارسي – ص 167.

- جلال الدين همايي – فنون بلاغت وصناعات أدبي – مجلد أول – ص 151، 152.

2 - شمس قيسي الرازي – المعجم في معايير أشعار العجم – ص 108.

3 - د.إبراهيم أمين الشواربي – تاريخ الأدب في إيران – الترجمة العربية ص 48.

- عبد الحسين زرينكوب – شعربي دروغ شعربي نقاب – ص 106.

د. محمد السعيد جمال الدين - أعلام الشعر الفارسي في عصور الازدهار - ص 30– الطبعة الثانية 1999 م.

- من تجمد الماء الجارى فى كل الأطراف، تظن أن طرف النهر كأنه حانوت بائع للزجاج

- وطرحت الشمس على وجهها نقاب من السحاب، مخافة أن يخطف الثلج بصرها.[1]

ثانياً - النسخة التى اعتمدت عليها:

والنسخة التى اعتمدت عليها يرجع تاريخ طبعها إلى عام 1334 هجرية شمسية الموافق 1955 ميلادية وهى طبعة وزارة المعارف بكابل، وهذه النسخة تقع فى حوالى "380" ثلاث مائة وثمانين صفحة كما، ذكرنا سابقاً يضاف، إليها "110"مائة وعشر صفحات أخرى اشتملت على لواحق رأى الناشر أن يلحقها بها، وقد قام بجمع الكليات وتحقيقها السيد محمد زهير بمساعدة كل من عبد الغفار قارى وهو نجل شاعرنا والسيد عبد الرسول لبيب، وقد صدر الناشر السيد محمد زهير النسخة بمقدمة له ولعدد من شعراء وأدباء عصره تحتوى على ثلاث وعشرين صفحة لا تدخل فى عداد الصفحات التى ذكرناها.

وقد قال السيد محمد زهير فى مقدمته: "لقد رأيت أن من عين الوفاء القيام بمهمة عظمى هى ترتيب وجمع ديوان الأستاذ العظيم ملك الشعراء قارى عبد الله خان، بمعاونة السيد عبد الغفار قارى وقد قمت بجمع هذه الكليات من خلال الرجوع إلى مجلدين كانا قد كتبا بخط المرحوم قاري، وقد وجدتهما في وزارة المعارف، وكذلك ديوان آخر كان قد تم طبعه فى مجلد واحد عام 1302 هجرية شمسية فى لاهور، وقد كان هذا المجلد مشكلاً ومرتباً ومتضمناً لآثار منثورة وخطابات ومراسلات وبعض آخر من كتاباته، وقد جمعت كل تلك المؤلفات المطبوعة وغير المطبوعة فى هذه الكليات، حتى أقدمها خدمة لعشاق العلم والأدب، وقد رتبتها على النحو التالي، فبعد الفهرست وتقريظ الأستاذ بيتاب ملك الشعراء الحالي، والعلامة صلاح الدين السلجوقى والكاتب الوطنى الكبير السيد فيض

1- كليات قاري - ص391.

محمد خان زكريا مروراً بسوانح الأستاذ كَوياى اعتمادي، وبدأت بالغزليات ثم القصائد ثم الترجيعات بند والتركيبات بند، ثم المخمسات والمسدسات ثم القطاعات والمثنوى والرباعي، ونهاية بآثار الشاعر المنثورة وبعض المراسلات وبهذا قد وصلنا إلى الخاتمة".

پـايندة محمد زهير [1]

1 - مقدمة كليات قاري ص 1، 2.

الفصل الثاني

التصوف فى شعر قاري

وبعد التحليل الذى قدمناه لكليات الشاعر وما تضمنته من قوالب وفنون الشعر، ننتقل بالحديث إلى الموضوعات والأغراض التى تناولها قارى فى أشعاره. والمتفحص لكليات قارى يجد أنه قد نظم الشعر فى جميع الأغراض فيما عدا الهجاء، فلم يرد فى كلياته أى أشعار فى الهجاء فيما عدا أربعة أبيات وردت فى نهاية قصيدة له فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وقد وردت هذه الأبيات الأربعة فى قدح أعداء الرسول من الكفار والمشركين، وسوف نستعرض فيما يلى أهم هذه الأغراض.

التصوف:

هناك عدد كبير من التعريفات عن التصوف ترد فى مختلف المصنفات الصوفية، وهى توضح وتبين مفهوم التصوف ومضمونه عند أصحابه نذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر:

فقد قال **الإمام الجنيد البغدادى** المتوفى 297 هجرية قمرية "التصوف هو أن يميتك الحق عنك ويحييك به"[1].

وقال أيضاً:

"ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات"[2].

وذكر **أبو محمد الجريرى** المتوفى سنة 311 هجرية قمرية:

---

1 - د.عبد الحليم محمود – قضية التصوف المنقذ من الضلال- ص 42- الطبعة السادسة- القاهرة 2008م.

2 - الشيخ عبد المجيد الشرنوبي- شرح حكم الإمام ابن عطاء الله السكندري- ص12- دار ابن كثير – بيروت 1431 هـ ق – 2010م.

إن التصوف هو الدخول فى كل خلق سنى والخروج من كل خلق دني[1].

وسئل **أبو سعيد الخراز** المتوفى سنة 268 هجرية قمرية عن التصوف فقال "من صفيَّ ربه قلبه فامتلأ قلبه نوراً، ومن دخل فى عين اللذة بذكر الله".

وقال **أبو بكر الكتانى** المتوفى سنة 322 هجرية قمرية

"التصوف صفاء ومشاهده"[2].

وقال **جعفر الخلدى** المتوفى سنة 348 هجرية قمرية

التصوف طرح النفس فى العبودية والخروج من البشرية، والنظر إلى الحق بالكلية[3].

ويقول **أبو بكر الشبلى** فى تعريف التصوف "بدؤه معرفة الله ونهايته توحيده[4].

ويقول **أبو القاسم النصر أبادى** المتوفى سنة 367 هجرية قمرية الموافق 977 ميلادية " التصوف نور من الحق يدل على الحق، وخاطر منه يشير إليه، وهو فناؤك عن الكونين ليبقى مكونهما"[5].

وقال معروف الكرخي:- التصوف الأخذ بالحقائق، واليأس مما فى أيدى الخلائق[6].

وذكر **الإمام الشعرانى** المتوفى عام 973 هجرية قمرية الموافق 1565 ميلادية.

" التصوف عبارة عن علم انقدح فى قلوب الأولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة، فكل من عمل بهما انقدح له من ذلك علوم وآداب وأسرار وحقائق تعجز الألسن عنها"[7].

والصوفية على اختلافهم يتصورون طريقاً للسلوك إلى الله تبدأ بمجاهدة النفس أخلاقياً،

---

1 - أبي القاسم عبد الكريم القشيري – الرسالة القشيرية – تحقيق - د.عبد الحليم محمود – الجزء الثاني – ص 441 – طبعة دار المعارف –القاهرة 1994م.

2 - د. عبد الحليم محمود – المنقذ من الضلال – ص 43.

3 - د. رفيق العجم – موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامى ص 177 – الطبعة الأولى – بيروت 1999.

4 - د.عبد الحليم محمود – أبو بكر الشبلي – ص 41 – الطبعة الثانية – القاهرة – 1993.

5 - جوزيبي سكاتولين، أحمد حسن أنور – التجليات الروحية في الإسلام – ص 16 – القاهرة 2008م.

6 - الرسالة القشيرية – الجزء الثاني – ص 441.

7 - عبد الوهاب الشعراني – الطبقات الكبرى – ص 4 – دار الفكر العربي – القاهرة "بدون تاريخ طبع".

ويتدرج السالك له فى مراحل متعددة تعرف عندهم بالمقامات والأحوال، وينتهى من مقاماته وأحواله إلى المعرفة بالله، وهى نهاية الطريق **ويعنى الصوفية بالمقام**: مقام العبد بين يد الله عز وجل فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضات والانقطاع، إلى الله عز وجل ويردد الصوفية فى شأن المقامات قوله تعالى **"وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ"**(1).

ومن أمثلة المقامات عندهم، التوبة والزهد والورع والفقر والصبر والرضا والتوكل(2).

أما الأحوال: فهى ما يحل بالقلوب أو تحل به القلوب من صفاء الأذكار، ومن أمثلة الأحوال عندهم، المراقبة والقرب والمحبة والخوف والرجاء والشوق والأنس والطمأنينة والمشاهدة واليقين وغير ذلك(3).

ويذكر الهجويرى أن المقام من جملة الأعمال، والحال من جملة الأفضال، والمقام من المكاسب والحال من المواهب، فصاحب المقام قائم بمجاهدته، وصاحب الحال فانٍ عن نفسه ويكون قيامه بحال يخلقه الله تعالى فيه(4).

صفات التصوف:

وأهم صفات التصوف هي: الإخلاص وطهارة القلب، والخشية من الله والخشوع لله والتواضع للمخلوقات وحسن الخلق والزهد فى الحياة الدنيا(5).

أقسام التصوف:

ينقسم التصوف إلى قسمين: قسم يتعلق بالتربية وتهذيب الروح ونبل الخلق والتحلى بالفضائل والكمالات الأدبية، وهو ما يعرف بعلم المعاملة.

وقسم يتعلق بالرياضة الروحية والعبادة والمحبة وما ينطوى تحت العبادة والمحبة من

1 - قرآن كريم - سورة الصافات الآية 164، 165، 166.

- أبو نصر السراج الطوسي - اللمع - ص 65 - تحقيق د.عبد الحليم محمود - القاهرة 1960م.

2 - أبو نصر السراج الطوسي - اللمع - ص 68 : 80"بتصرف".

3 - أبو الوفا الغنيمي التفتازاني - مدخل إلى التصوف الإسلامي ص 38، 39 - القاهرة 1979م.

4 -علي بن عثمان الهجويري - كشف المحجوب - ص 425 - ترجمة. د. اسعاد عبد الهادي قنديل -القاهرة 1980م.

5 - د. عبد المنعم خفاجي - الأدب في التراث الصوفي - ص 18 - القاهرة 1980م.

نور وإشراق وإلهام وفيض[1].

منزلة التصوف:

يحتل التصوف بين فروع المعرفة الإسلامية المكان الأعلى، فهو خلاصة الحكمة فى الآداب الإسلامية، وخلاصة النور فى الفضائل المحمدية وهو المساهم الأكبر فى تجلية المعاني القرآنية والأحاديث النبوية، والتصوف بذاته ثمرة كبرى فى المعارف الإسلامية. ولا يمكن إغفال ما أفاد الإسلام من الثقافة الصوفية، فالتصوف هو الذى ملأ الجوانب الخالية من قلوب المسلمين، والصوفية علموا الناس المحبة وأشاعوا فى الدنيا الصفاء وأضفوا على الحياة الطهر والنقاء[2].

وللمتصوفة أفضال عظيمة، إذ إنهم أنشأوا بخبراتهم الذاتية والممارسات الحياتية لغة خاصة بهم، وهى لغة حية مليئة بمعان عميقة ذات صبغة ذاتية ملموسة، بعيدة عن البلاغة الشكلية السائدة لدى الكثير من الأدباء العرب، وبفضل المتصوفة ولدت لغة جديدة فى لسان العرب ألا وهى الخبرة الروحية الذاتية[3].

وشعراء الصوفية هم الذين ارتفعوا بالشعر والنثر إلى درجة فنية عليا واستخدموه سلاحاً نبيلاً للدعوة إلى الله وتجميل الحياة وتطهيرها ومقاومة البغى والعدوان المادي، وتراث التصوف الأدبى ثروة لم تنتبه إليها الأقلام بعد، على روعتها وشمولها لأهداف القلم الأدبية كافة[4].

والشعر الصوفى كثير وغزير وشعراء الصوفية كثيرون فى كل عصر، ومنهم شعراء قالوا فأفاضوا، وأتوا فى شعرهم بغرر المعاني، وروائع الخيال وبدائع الصور، ونلاحظ أن الشعر الصوفى كان من جانب آخر تطوراً للشعر الدينى الإسلامى وتطور للغزل العذرى المتصوف الهائم فى مسارح الجمال الروحي، وكان قسم منه تطوراً لشعر الخمريات فى الأدب العربي، وقسم آخر هو الخاص بوصف الذات الإلهية كان تطوراً لفن الوصف فى

1 - الأدب في التراث الصوفي – ص20.

2 - د. عبد المنعم خفاجي – الأدب في التراث الصوفي – ص 40.

3 - جوزيبى سكاتولين-أحمد حسن أنور-التجليات الروحية فى الاسلام.

4 - د. عبد المنعم خفاجي – الأدب في التراث الصوفي – ص40.

أدبنا القديم، وقد ظهر الشعر الصوفي في أوائل القرن الثاني الهجرى على أيدى الحسن البصرى وتلامذته من بعده، على أن نشأة الأدب الصوفي الفارسى كانت في القرن الخامس الهجري، ونبغ العديد من شعراء الفرس في هذا اللون[1].

فلقد أسهم الفرس إسهامات كبيرة ومتنوعة في بناء صرح الحضارة الإسلامية، ومن الميادين التى تجلت فيها إسهامات الفرس بوضوح، ميدان التصوف الإسلامي، فإن دارس التصوف الإسلامى لا يمكن أن يغفل الجانب الفارسى بحال من الأحوال[2].

والتصوف كلمة لها رنين خاص تستجيب له أسماع الأفغان وتصغى قلوبهم،والذى يتأمل التاريخ الأفغانى الطويل منذ العصور القديمة حتى العصور الحديثة، يجد أن أفغانستان كانت مصدراً ومنبتاً ومهداً خصباً للعقيدة والأدب والفن والثقافة، وقد قدم أهلها في الإسلام أروع النماذج في العلوم العربية والأدب بصفة عامة وفي الأدب الصوفى بصفة خاصة[3].

وقد أخرجت عدداً كبيراً من أدباء الصوفية في العصور المختلفة، أمثال:

- إبراهيم بن أدهم البلخى المتوفى عام 161 هجرية قمرية الموافق 778 ميلادية
- وداود الطائى المتوفى عام 165 هجرية قمرية الموافق 781 ميلادية.
- والفضيل بن عياض المتوفى عام 187 هجرية قمرية الموافق 803 ميلادية
- وشقيق بن إبراهيم البلخى المتوفى عام 195 هجرية قمرية الموافق 810 ميلادية
- ومعروف الكرخى المتوفى عام 200هجرية قمرية الموافق 816 ميلادية[4].
- وحاتم الأصم البلخى المتوفى عام 237 هجرية قمرية الموافق 853 ميلادية.

---

1 - نفس المرجع ص 167، 169.

2 - د.يوسف عبد الفتاح فرج – مصادرعربية وإسلامية للتصوف عند الفرس – بحث منشور بمجلة الدراسات الشرقية ص111 – العدد الثالث والعشرون – يوليو 1999 – القاهرة.

3 - د.إبراهيم الدسوقي شتا – التصوف عند الفرس – ص3 –دار المعارف – القاهرة 1978م.

- محمد آمان الصافي – أفغانستان والأدب العربي عبر العصور – ص 312 – الطبعة الأولى – القاهرة – 1988 م.

4 - جوزيبى سكاتولين-أحمد حسن أنور-التجليات الروحية في الاسلام.

- وأحمد بن خضروية المتوفى عام 240 هجرية قمرية الموافق 855 ميلادية.
- وأبو يزيد البسطامى المتوفى عام 261 هـ ق الموافق 876 م.
- ومحمد بن فضل البلخي المتوفى عام 319 هـ ق الموافق 935 م.
- وظهير الدين الفاريابى المتوفى عام 598 هـ ق الموافق 1214 م وغيرهم[1].
- والمتفحص لشعر قارى عبد الله خان يراه شاعراً صوفى المشرب نهل من ينابيع الحب والوجد الإلهي، وللوقوف على تصوف قارى ومعرفة متى بدأ يتجه إلى التصوف، لا بد من الرجوع إلى ما كتبه بعض أصدقائه ومعاصريه في ذلك.

يقول الأستاذ صلاح الدين السلجوقي:

"أننا نرى في أشعار قارى إشارات واضحة لاهتمامه بالعلوم الدينية والأخلاقية كما نلحظ منه اهتماماً خاص بالجانب الصوفى وخاصة فى آخر سنوات عمره، وظهر لديه إقبال زائد على كتابات الشيخ محى الدين بن عربي"[2].

وذكره **فيض محمد خان زكريا قائلاً :** "كان قارى من أولياء الله تعالى وهو بكل المعاني متصوف صاحب حال ومقام"[3].

وتحدث السيد كَوياى اعتمادى فى ذلك قائلاً :

"لقد رأى قارى فى آخر سنوات عمره أن السلامة في الزهد والانزواء وآثر الخلوة على التجمعات والمجالس، وامضى وقته معتكفاً متأملا مما أكسبه الهدوء الروحي، وجعله يتصف برقة القلب والإحساس، فكان يذرف الدمع من عينيه عند سماع شيء من القرآن أو من أقوال الحكماء أو من الشعر والنثر الجميل المؤثر، فقد كان قارى متصوفاً نقى الروح والسريرة[4].

وتحدث كَوياى اعتمادى فى موضع آخر عن صفات قارى قائلاً :

1 - د.محمد أمان الصافي – أفغانستان والأدب العربي عبر العصور ص 315، 320.

2 - مقدمة كليات قاري – ص 5.

3 - مقدمة كليات قاري – ص 8.

4 - مقدمة كليات قاري – ص 16.

"إن من أهم سماته التواضع والخشوع والتدين والتقوى والحياء والخجل والخشية من الله"[1].

وكل هذه الصفات هى صفات المتصوفة التى سبق الإشارة إليها.

ومن هذه الأقوال نستطيع أن نأخذ برهاناً ودليلاً على تصوف قاري. ويتضح لنا أيضاً أن قارى قد اتجه إلى التصوف فى آخر سنوات عمره، وربما يرجع ذلك إلى ما مر به الشاعر فى حياته من خطوب الدهر وآلامه، فقد اعتصر الألم روحه وامتزج بها، فكان شعره صورة صادقة تعبر عما بداخله وما فى قرارة نفسه من لوعة وألم، وقد وجد فى التصوف متنفساً ومخرجاً مما يحيط به من آلام وأحزان .

وقد أثبتت الدراسات النفسية أن الزهد وكبح جماح النفس والانصراف عما فى الحياة الدنيا من حسن فتان وزخرف آخاذ كل ذلك متصل اتصالاً وثيقاً بظروف الحياة الإنسانية[2].

وأن التصوف الدينى يعد لوناً من ألوان تغير اتجاه الحياة، وأن الفكرة القائلة بأن الدين غالباً ما يكون بمثابة الملاذ الأسمى للذين ما تزال فيهم بقية من حياة[3].

ويشكل العشق الإلهى ركناً أساسياً فى مجموعة أشعار قاري، وهذا أمر بديهى وطبيعي، لأنه قد سلك طريق التصوف والعرفان ولا تخلو أشعاره من مصطلحات ومفردات هذه الطائفة كما استخدم فى شعره مدلولات هذا العشق، مثله فى ذلك مثل كبار شعراء المتصوفة كالحب الإلهى وتمنى الوصال بالمحبوب الأبدى الذى لم يقر له قرار حتى يصل لمنبع الجمال والجلال.

وتمتلئ غزلياته بمفردات الرموز الصوفية، كالخمر والزلال والعشق، والمحبة والكأس والساقي، ومن المؤكد أن عشقه ومحبته لم تكن فى طريق اللهو والعبث المادي، بل إنها مبرأة من اللذة الشهوانية والرغبات الشيطانية، وقد اتخذ كلامه روحاً من كلام العطار، وسنائى كاستخدامه لمفردات الداء والشفاء والعطاء والتسكين والهدوء والروح، وتارة نجده يتمثل فى شعره مفردات الألم والأمل والغصة واليأس والحزن كما فى شعر حافظ،

1 - مقدمة كليات قاري – ص 14.

2 - جوزيبى سكاتولين-أحمد حسن أنور-التجليات الروحية فى الاسلام.

3 - نفس المرجع – ص 206.

وأحياناً نلمح فى شعره مفردات الدلال واللوم والعتاب ونغمات الموسيقى الراقصة كما هو الحال عند مولوي، وأخيراً يتبع طريق المعرفة عند الجامى وبيدل[1].

ومن هنا نجد أن "قاري" قد سلك مسلك العارفين واستعمل مصطلحاتهم وعباراتهم.

ولهذه الطائفة مصطلحات وعبارات خاصة بهم يتعذر على الإنسان بدون الإطلاع عليها فهم كلامهم وإدراك مرادهم، فحديثهم على ألسنة الطير لا يدرك أسرارهم إلا من كان شبيهاً بسليمان[2].

ومن المعروف عن الصوفية أنهم قوم لا يتكلمون بلسان عموم الخلق ولا يخوضون فيما يخوض فيه الناس من مسائل علم الظاهر، وإنما يتكلمون بلسان الرمز والإشارة، إما ضناً بما يقولون على من ليسوا أهلاً له، وإما لأن لغة العموم لا تفى بالتعبير عن معانيهم وما يلمسونه فى أذواقهم ومواجيدهم، أما ما يرمزون إليه فحقائق العلم الباطن الذى يتلقونه وراثة عن النبى صلى الله عليه وسلم وهذه الحقائق لا يستقل بفهمها عقل ولا بالتعبير عنها لغة[3].

فالرمز الصوفى معنى باطن مخزون تحت كلام ظاهر لا يظفر به إلا أهله، وهذا لا يتحقق إلا إذا كانت دلالة الكلام الظاهر على هذا الباطن خفية على غير أهلها[4].

وقد يكون سبب اتخاذهم الرموز هو إظهار الحيرة، والصوفى الحق يرتاح إلى الحيرة كما يرتاح الجاهلون إلى اليقين[5].

وقد يكون سبب هذه الرمزية فى كلام الصوفية هو تقريب الفهم إلى المخاطبين أو تسهيل على أهل تلك الصنعة الوقوف على معانيهم لأنفسهم أو الإخفاء والستر على من باينهم فى طريقتهم، لتكون معانى ألفاظهم مستبهمة على الأجانب، غيرة منهم على

---

1 - سر محقق غلام فرمنده - دوملك الشعراي همروز كار - ص 121.

2 - رضا قلي هدايت - رياض العارفين - ص 37 - تهران 1316 هـ ش.

3 - أبو العلا عفيفي - مقدمة فصوص الحكم للشيخ محيى الدين بن عربي ص 15

د. عبد الحكيم حسان - التصوف في الشعر العربي - ص 87، 88 - مصر 1954م.

4 - د. سيد عبد التواب عبد الهادي - الرمزية الصوفية في القرآن الكريم - ص3 - دار المعارف - القاهرة - 1979م.

5 - زكي مبارك - التصوف الإسلامي - ص 175 - القاهرة 1938.م

أسرارهم أن تشيع فى غير أهلها[1].

إلا أن الرمز لم يجر على قاعدة واحدة سار عليها جميع الصوفية وإنما اختلف باختلاف الموضوعات التى تناولوها[2].

وقد استخدم قارى "الرمز" "والإيحاء" ووظف الطبيعة وما فيها من مظاهر الجمال والجلال في تعميق المعنى، وتهيئة واستدراج الزهن لنقله من المادى إلى المعنوي، ومن السكون إلى الحركة والحياة.

وفيما يلي ترجمة لبعض أشعار قارى وغزلياته في التصوف.

وتتضح رموز الصوفية ومصطلحاتهم بشكل جلى فى القصيدة التالية.

يقول قاري:

- كنت ذات ليلة فى حوار مع العقل[3] الذى يفيض على الروح[4]، كان يتحدث معى من كل حدب وصوب.
- أصبحت كلى آذان صاغية إلى حديثة الدقيق،
كان فى قلبه أسرار[5] أراد أن يفشيها.
- أفكار بزغت من عين ولادة للفكرة[6]،

---

1 - د. محمد مصطفى حلمي – ابن الفارض والحب الإلهي – ص 146 – الطبعة الثانية – القاهرة 1985م.

2 - د. محمد يونس - حكاية الملك والساحر – ص 60 – القاهرة 1993م.

3 - العقل: في اصطلاح المتصوفة هو آله التميز بين الخير والشر، وهو ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان، وهو سراج العبودية الذي يميز بين الحق والباطل، ويقول البعض إن أول ما خلق الله العقل، والعقل على مسميين عقل معاش ومحله الرأس وعقل معاد ومحله القلب.

- د. سيد جعفر سجادي – فرهنگ لغات واصطلاحات وتعبيرات عرفاني ص336 چاب دوم – تهران 1354 هـ ش.

4 - جان افزاي: بمعنى يزيد الروح – وهو بقاء السالك، البقاء الأبدي الذي ليس للفناء إليه سبيل.

- د. نسرين محتشم خزاعي – كليات فخر الدين عراقي – ص567 – چاب دوم 1382 هـ.ش.

5 - السر: هو سر العلم بإزاء حقيقة العالم به، وسر الحال بإزاء معرفة مراد الله فيه، وسر الحقيقة ما تقع به الإشارة. - د. عبد المنعم خفاجي – الأدب في التراث الصوفي – ص 260.

6 - الفكرة: سير القلب في ميادين الأغيار – بمعنى أن الفكرة المأمورين بها هي سير القلب وجولانه في مشاهدة المخلوقات الشبيهة بالميادين في الاتساع ويقال أيضاً إن الفكرة سراج القلب فإذا ذهبت فلا إضاءة له. - شرح حكم بن عطاء الله السكندري – ص 245، 246.

كل فكرة كأنها بحر متلاطمة أمواجه.

- فكان فكره الدقيق أشد من سرعة الضوء،
وسعت طبعه مثل عرض الفلك الشاسع.

- وليس بين الجواهر أغلى من جوهر العقل،
فالماء والضياء يعطي لفكره معنى أكثر ويزيد في جوهره تلألؤ.

- وكل ما كان مشكلاً في النظر قد حله بالإيماء،
وكم كان سلساً جميلاً حل المشاكل بالإيماء.

- وقد قلت له: ما معنى الإنسان في نظرك؟
قال: نور[1] في بعض الجسد من المعرفة.

- قلت له: من فيض من أصبح الأفق مضيئاً؟
قال: طلعت من مشرقنا شمس زينت العالم.

- قلت له: لماذا يبدو منزل الحقيقة[2] بعيداً عنا؟
قال: هو سهل عندما يوجد البصر والبصيرة.

- قلت له: لا يوجد أحد يتبع أفكاراً عالية رفيعة
قال: من الصعب الصعود إلى أعلى.

- قلت له: لماذا وقعنا في هذا المستنقع؟
- قال: حتى يتكشف الأعلى من العالم.
- قلت له: بأي لعبة بيعت القلوب[3]؟

---

1 - النور: عند المتصوفة هو نور قلوب العارفين بتوحيد الحق وإنارة أسرار المحبين - سيد جعفر سجادي - فرهنگ - لغات واصطلاحات وتعبيرات عرفاني - ص474.

2 - الحقيقة: هي سلب آثار أوصافك عنك بأوصافه.
د. عبد المنعم خفاجي - الأدب في التراث الصوفي ص 261.

3 - القلب: في اصطلاح المتصوفة، هو النفس الناطق وهو مخزن الأسرار، والقلب الآدمي أربعة مراتب،
الأولى: هي الصدر وهو مستقر عهد الإلهام.
والثانية: القلب وهو محل نور الإيمان
والثالثة: الفؤاد وهو محل مشاهدة الحق
والرابعة: الشغف وهو محط رحيل العشق.
- سيد جعفر سجادي - فرهنگ لغات واصطلاحات وتعبيرات عرفاني - ص 212.

قال: لا تسمه قلب ذلك الذى هو عرضة للبيع والشراء.

- قلت له: كيف أضاء الإسلام العالم؟

قال: من الأخلاق الحسنة والمبادئ السامية.

- قلت له: إن الطريق[1]. فى هذه الصحراء متشعبٌ؟

قال: اذهب إلى طريق الدين تصل إلى المكان.

- قلت له: إن قفل القلب[2] لا يفتح بأى مفتاح؟

قال: يمكن أن يومئ إليه احد[3].

- قلت له: يكون خاطره "ضميره" راضياً بعمله، كل من لا يتأثر بالمنفعة أو الخسارة.

- قلت له: علام يستند الناس فى هذه الدنيا هكذا، و ليس فى هذا المحفل من هو مثل الكأس والخمر[4]؟

قال : يا عديم الخبرة من السكر[5] وليس لديك الا الظن والغرور،

- لا يوجد سكر خاص للخمر[6] والجنة[7].

---

1 - الطريق: عبارة عن مراسم الله وأحكام التكليف، وطريق الله هو الوصول إلى الحق - فرهنگ لغات واصطلاحات وتعبيرات عرفان ص 316.

2 - قفل القلب: ما يقع من الصدأ لكثرة الذنوب، واتباع الهوى ومحبة الدنيا، وطول الغفلة، وشدة الحرص، وحب الراحة وغير ذلك من الغفلات والزلات.

أبو نصر السراج الطوسي - اللمع - ص 147.

3 - الإيماء: تعريض الخطاب بدون إشارة وعبارة.

- د. رفيق العجم - موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ص128

4- المراد من الكأس هو البدن ومن الخمر تصفية البدن لأن العارف الكامل يشرب من كأس الخمر الإلهية ويتحول إلى سكران بما يرد على قلبه من كشف وتجليات - سيد جعفر سجادى - ص 148 ، 149 .

5 - السكر: السكر عند المتصوفة هو عبارة عن ترك القيود الظاهرة والباطنة والتوجه للحق جل وعلا، وهو كناية عن الوقوع في العشق وسكر المتصوفة من خمر الوجود المطلق.

- كليات فخر الدين عراقي ص 563 - فرهنگ لغات واصطلاحات وتعبيرات عرفاني - ص 267.

6 - الخمر: تطلق على غلبة العشق الذى يستحوذ على قلب السالك فيصبح فى حالة من البسط وهى خاصة بأهل الكمال فى نهاية السلوك - كليات فخر الدين عراقي ص 562. ، - سجادى - ص 458 ،459 .

7 - الجنة: هي الحجاب الأكبر لأن أهل الجنة سكنوا إلى الجنة وكل من سكن إلى الجنة سكن إلى سواه فهو محجوب - موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي - ص 257.

قلت له: في النهاية لماذا يحطمون رؤوس بعضهم البعض.

قال: إنها قلوباً أكثر صلابة من حجر الجرانيت.

قلت له: لماذا صار الشفق مدحى الكبد،

- فلا أحد يحمل هم اليوم أو الغد؟

قال: يحترق قلبه دائماً من أجلي ومن أجلك،

- فيظهر هذا على عينيه الداميتين في الليل والسحر.

قلت له: لماذا يصدر عن الدهر هذه الهمهمة ؟

قال: إن رونق الدهر من الهمهمة والغوغاء.

- قلت له: لماذا كل من في العالم حيارى تائهين؟

قال: كل حي لا بد له أن يبذل قصارى جهده.

- قلت له: أى الأعمال أحب إلى العالم "الله"؟

قال: من يستطيع أن يخلع بيده الشوك من قدمه.

- قلت له: قل ما هي أسرار رقي العالم؟

قال: أن تسخر القول والعمل والفكر للعالم.

- قلت له: ما هي عاقبة الضعف والكسل؟

قال: الموت أفضل من الحياة الذليلة.

- قلت له: والآن ماذا يجب أن نعمل حتى نصل إلى الأفضل؟

قال: العمل الذى لا تكون فيه مهموماً بأمر الغد[1].

---

1 - كليات قاري - ص 281، 282.

ويقول قاري:

- ليس في مذهبنا فرق بين الكعبة[1] وبيت الأصنام[2]، أيها الزاهد[3] بالله عليك لماذا تفرق بين البيوت؟
- وفي النهاية أصبحنا من عشقك[4] فضحة للعالمين، وهم كل من القريب والغريب يطعننا.
- كيف لا يصبح الورد[5] مثل خطوط الكأس أمام عينيك، في حين أن حدقات عينيك تلتبس علينا بكأس الخمر.
- إلى متى نتوهم أنكَ بعيد عنا من غفلتنا، في حين أننا لم نر أى رفيقين مفترقين؟
- كل من يتحمل النار في مفرقة كالشمعة[6]، يستطيع أن يفرق بين جمال الكعبة وبيت الأصنام.
- إذا لم يؤثر الفراق[7] في الحبيب، فلماذا تبكي الشمعة عند فراق الفراشة[8].
- لكل شخص عندي رتبته، فخط شفتيك يختلف عن خط الكأس[9].
- والزاهد من قلة خبرته لديه سبحة[10] ودمعه، ولا يفصل المحنكين الماء عن الحب.

---

1 - الكعبة: هي توجه القلب تجاه الله وهي مقام الوصل - د. سيد جعفر سجادي فرهنگ لغات واصطلاحات وتعبيرات عرفاني ص391.

2 - بيت الأصنام: كناية عن علم اللاهوت - فرهنگ لغات واصطلاحات وتعبيرات عرفاني - ص91.

3 - الزاهد: من لا يفرح بموجود من الدنيا ولا يأسف على مفقود منها - عبد الكريم القشيري - الرسالة القشيرية جـ1 - ص 240.

4 - العشق: فرط المحبة - كليات فخر الدين عراقي - ص555.

5 - الورد: نتيجة العلم الذي يظهر في القلب.

6 - الشمع: نور الله - كليات فخر الدين العراقي - ص 564 - 567.

7 - الفراق: الغيبة عن مقام الوحدة - كليات فخر الدين عراقي، ص573.

8 - كليات قاري، ص39.

9 - خط: يرمز إلى عالم الأرواح وهو اقرب مراتب الوجود .

10 - السبحة: الهباء فإنه ظلمه، خلق الله فيها الخلق، ثم رش عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأ ضل ووری، وقيل هي الهباء المسماه بالهيولي، لكونها غير واضحة ولا موجودة إلا بالصورة - د.عبد المنعم الحفني - معجم مصطلحات الصوفية، ص 128 الطبعة الثانية بيروت 1987م.

- فالزاهد وتقواه[1] الخالصة وأنا وهذا الثوب المبلل[2]، فطريقة المنع "الزهد" لا تتوافق مع سلوك العيارين.
- وإذا ذهبت إلى محفل الحسان وأنت تجهله فعليك بنسيان ذاتك، ولكن أعلم إن لبيت الحسان أصول وقواعد.
- لا فرق بين الفؤاد والروح[3]، سوى الاسم، فمتى كانت روحي منفصلة عن الحبيب.
- فقد سلبت قلب قارى المضطرب "الضعيف" من يده، تلك الأهداب الشقية والعيون النرجسية الثملة[4].

ويصف قارى عظمة الخالق وإسباغ نعمه على عشاقه قائلاً:

- يا من تتفتح الخميلة بابتسامة من فمك، وتلهج الألسنة بالثناء عليك كما تنبت الخضرة بالرياض.
- من عين لطفك يجرى دائماً، ماء الحياة[5] فى نهر شرايين البدن.
- صار كل إنسان ينطق بحمدك بلغة مختلفة، ومع ذلك فإن حمدك لا تسعه الألسنة.
- لا تستطيع الأفكار إدراك عظمتك، يا من كنه جلالك مبرأ من الظنون والآثام.
- ما أعظم قدرتك وجليل صنعك الذى يغزل، نسيج أوراق الوجود بعروق الروح.
- وجه عشاقك[6] أحمر رغم الذبول والصفرة، فهنا فى أوج الربيع[7] يظهر الخريف[8].
- من فيض مشعل خمائلك تضاء الأخيلة، وتحترق الأرواح شوقاً لوصالك.

---

1 - التقوى: هي البعد عن عقوبات الله بواسطة التزام الطاعة الكاملة د.سيد جعفر سجادي – فرهنگ لغات واصطلاحات وتعبيرات عرفاني ص 133.

2 - الثوب المبلل: كناية عن كثرة الذنوب.

3 - الروح: كناية عن التجليات الإلهية – فرهنگ لغات واصطلاحات وتعبيرات عرفاني ص 151.

4 - العيون النرجسية الثملة: كناية عن الستر الإلهي لأحوال وتقصير السالك وعلو مرتبته بما يعلمه هو ولا يعلمه الناس – كليات فخر الدين عراقي، ص560، 569.

5 - ماء الحياة: فرح القلب وبمعنى العلاقة والارتباط الأزلي، ويطلق أيضا على الأنوار والتجليات الإلهية فرهنك لغات واصطلاحات وتعبيرات عرفاني – ص2.

6 - العاشق: الباحث عن الحق تعالى – كليات فخر الدين عراقي ص555.

7 - الربيع: مقام العلم.

8 - الخريف: مقام الجود – كليات فخر الدين عراقي – ص 567.

- تقبل آهات أكباد عشاقك المتعبة، وتصيب تلك السهام أهدافها جيداً.
- كم أحاول محو هوس الشهرة والأثر من النفس، فماذا يكون الأثر سوى الاسم أيها القاري[1].
- وعن جمال المعشوق يقول قاري:
- إذا استمر وجهك بهذه النضارة والجمال فلسوف يضيء سراج الشمس[2].
- وفى النهاية سوف يذهب الجمال عن الجميلات الحسان، عندما يظهر جمالك.
- عندما تجلت[3] معشوقتى بقوامها السروى على حافة النهر، تطايرت أعين الحباب شوقاً إليها.
- وأصبح الكأس فارغاً أمام عينيها، وصار الماء خمراً خجلاً من ياقوت شفتيها[4].
- ومن كثرة ما بكيت[5] لفراق قوامها، تجاوز الدمع مفرق رأسي.
- نقطة من الخال[6] أعلى حاجبك، لقد اختارت هذا المكان الرفيع بيتاً لها.
- متى قلنا شيئا خلف ظهرك، فلا تتلو أيها الشعر إلى هذا الحد كالثعبان وإلى متى فى أطراف عيونك الفاتنة، تصير بيوت الناس خراباً[7] هكذا.
- فلكم تمنيت قبلة من شفتيها، وفى النهاية ردت على بطرف وجهها.
- انتظرى حتى يذهب القلب بصحبتك، حبيبتى لماذا تتعجلين بالذهاب[8].

---

1 - كليات قاري ص 24.

2 - الشمس: الوضوح والتجلي عند الرؤية – د. رفيق العجم – موسوعة مصلحات التصوف الإسلامى – ص 507.

3 - التجلي: هو ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب – عبد المنعم خفاجي – الأدب في التراث الصوفي – ص261.

4 - الياقوت الأحمر: هي النفس الكلية لامتزاج نورانيتها بظلمة التعلق بالجسم - "ويرمز به في الفارسية إلى شفاه المحبوب" – علي بن محمد الجرجاني – التعريفات ص 113 – القاهرة 1306هـ.

5 - البكاء: هو قطاره نار الشوق، وقطره سحاب الزفير – موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامى – ص154.

6 - الخال: عالم الغيب – كليات فخر الدين عراقي ص570.

آبروى : الحاجب ويرمز إلى الالهامات الغيبية التى ترد على قلب السالك – سجادى – ص2 .

7 - الخراب: انقطاع السالك عن الأعمال والعادات الدنيوية والعقلية، والتوجه إلى التوبة والتسليم وقيل هو مقام الوحدة - د. سيد جعفر سجادي – فرهنگ لغات واصطلاحات وتعبيرات عرفاني – ص 188، 189.

8 - الذهاب: غيبة القلب عن حس كل محسوس – د. عبد المنعم خفاجي – الأدب في التراث الصوفي ص260.

- فاعتبرى وفكرى فى يوم الحساب، فإلى متى يظل قارى ليس فى حساباتك[1]

ويقول:

- ضرب الموج بيده على رأسه حسرة من جمال شفتيك الياقوتيتين، عندما أصبح نبعك الزلال "فمك" يتموج كالجواهر من الضحك.
- لقد بدا للناظر سراباً سواء كان بحراً أو كان موجاً، عندما أصبح نبعك الزلال يتموج من الضحك مثل الجواهر.
- من قال إن السباب من شفتيك مر؟ فشفتاك الحلوة أيها الجميل المتلاعب موج من السكر.
- إن سفك الدم بسيفك نابع من جوهر الدلال، وقد ألقى الموج بدرعه أمام قوس حاجبيك.
- إن عمرى قد يضيع مثلي، بحثاً عنك أيها الجوهر الفريد فى الأمواج.
- إن أصحاب الجواهر لا يسعون لإيذاء أحد، ومتى كان طوفان البلاء يقذف بالجواهر من الماء؟
- إننى قد أوقع نفسى فى الخطر فى النهاية، وقد يقتل قارى بضربه سيف على رأسه بسبب تسلط لسانه[2].

وعن جمال كلام الحبيب يقول قاري:

إن الشفاة الحلوة التى كانت قلبى متيما بكلامها، لم أعد أطيق سماع حرف أو اثنين من فمها.

لا طاقة للجسد اللطيف على تحمل الملابس، فانسجوا له من عروق الورد ثوباً.

لقد توارت الشمس خلف السحاب خجلاً، عندما اضطرب وجهها من الجديلتين المفتولتين.

---

1 - الحساب: توقيف الله عباده قبل الإنصراف من المحشر على أعمالهم خيراً كانت أو شر.

- د. رفيق العجم - موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامى – ص 285.

- كليات قاري – ص49.

2 - كليات قاري ص 87.

- دائماً ينبت الياسمين من الخضرة[1] وأنا فى حيرة، كيف نبتت خضرة عارضة من ياسمين وجهه.
- أهلكنى صاحب الدلال و فتننى ذو القوام الطويل الممشوق، فليس فى الحديقة مثيل لقوامه السروي.
- لقد سفك دماء العالم بضحكة من ياقوت شفتيه، مع أنه لم يخرج حرف من فمه.
- وبنظرة من عينيه القاتلة صار ذلك الجميل المدلل وجهتي، ولو أن ماء الحياة هو بوابة ذقنه.
- إنك تتكلم عن ياقوت الشفاه يا قاري، ولكن ما يجذب قلبنا هو حلو كلامه[2].

ويتحدث عن قلب العارف الذى هو محلا للتجليات الإلهية يقول:

- ألم يسأل أحد حبيتي، لماذا سلبت عقلي وديني؟[3].
- سلبت قلبى الحزين من يدي، إن حبيبتي ليست منصفة.
- آه فليس لدى حبيْبتي قمرية الوجه، خبراً عن قلبي المحترق.
- فمن الذى سوف يطلع حبيبتي، تلك المدللة الشقية عن حاجتى إليها.
- لماذا تضمر لى العداء فى النهاية، بحيث يصبح انشغالي بها كميناً لي.
- -إن قلبى يهو الجميلات الحسان، رغم أن بلادى ذات هواء عليل.
- أيها القلب إلى أين تذهب خلفه، أخجل من حبيبتى الخجولة[4].
- لست أدرى إلى أين يأخذني، يجذبنى شوقى إليها من طرف ردائي.
- أى بلاء[5] عظيم أنتِ يا حب الحبيبة، فقد سلبت عقلى الذكى الواعى.
- لقد نقش اسمه على قلب القارى، وما من نقش آخر على فص خاتمي[6].

---

1 - الحضرة، هي عين المعرفة – د.نسرين محتشم خزاعي – كليات فخر الدين عراقي – ص 567.

2 - كليات قاري، ص139.

3 - الدين: أن يضع الإنسان نفسه لربه – شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي عوارف المعارف – ص 149 تحقيق عبد الحليم محمود – القاهرة – 1993.

4 - الخجل: هو فترة النفس لفرط الحياء – موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي – ص319.

5 - البلاء: ظهور امتحان الحق لعبده في حقيقة حاله بالابتلاء – موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي – ص 154.

6 - فص الخاتم: قلب العارف أو الإنسان الكامل، ويشبه القلب بالفص لكونه محلا للتجليات الإلهية، فالتجليات الواقعة فيه بمنزلة النقوش الواقعة في فص الخاتم – موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي - ص715.

- كليات قاري، ص30.

وعن الصبر والإحسان يقول قاري:

- لم يتغير مذاقنا المر من كلامك الحلو، لأن الحظ السيئ يجعل الأيام اشد من الملح.
- إذا كان دلالك قد سخر مملكة القلب أيها المستبد، فلماذا تتدخل رموشك بحثاً فيما لا يعنيها.
- أن العشاق يستقبلون دلالك بطرق أخرى، سأصبح تراباً أتطاير فى الهواء عندما تتجول فى الميدان.
- لا يستطيع قلم بهزاد[1] أن يصور كما أصور أنا، إن خيالى يرسم تصوير يدى على طرف ردائك.
- لقد سلبتنى الصبر[2] والطاقة وجعلتنى خالى البال، والآن معك أحب العشق وتحت أمرك وإحسانك[3].
- من يفكر أن يروى عطشى وشوقي، أيمكن فى لحظة ما أن ترطب شفتى الجافتين بماء شفتيك الحلو[4].

---

1 - بهزاد: هو كمال الدين بهزاد، ولد في هرات وأصبح بفنه أشهر مصوري الشرق، وكان صاحب مدرسة فنية في هرات، وبعد احتلال هرات على أثر الهجوم الصفوي غادر هرات وسافر إلى تبريز، وتوفى عام 1534م ودفن في تبريز. - أفغانستان بين الأمس واليوم، ص263.

2 - الصبر: هو كف الشكوى على مرارة البلوي، وعقد اللسان عن الحكاية عن كف الأذى، وتوطين النفس على المروة. - د. جوزيبي سكاتولين وأحمد حسن أنور - التجليات الروحية في الإسلام - ص 389.

3 - الإحسان: كمال العبودية - فرهنگ لغات واصطلاحات وتعبيرات عرفاني - ص18.

4 - كليات قاري ص 60.

وعن التسليم التام للهوى والفناء فى الحبيب يقول قاري:

- متى قلت إن ما حدث لى كان من تدبير عينيك[1]، لقد صرت أسير ذؤابتك[2] قدراً.
- لقد خربت مملكة قلبى بإشارة منك، وأصبحت فداء لحاجبك الذى مزقنى كالسيف القاطع
- لقد أخذ حسنك وجمالك يعلم الشمس معنى الجمال، عندما تلألأ عارضك الآسر للقلب.
- حفظ الله حسنك الصافي عن النظر والحاسدين، فإن عارضك كأنه الورق الأخضر فى اللبن الحليب.
- واليوم مرة أخرى يضطرب خيال جدائلك، فماذا كتب الخط عن حسنك وجمالك.
- من كثرة ما شعرت شفتاك بالجوع أيها القلب، نفضت عن كاهلى هذه الحياة زهداً.
- يا جدائل الحبيب أطال الله فى عمرك، فبماذا قصر القلب فى حقك حتى يصير أسير مصيدتك.
- أيتها الدموع اذهبى إلى القلب وانظرى أى بلاء أصابه، فلقد ذهب إلى ديار الأحبة وتأخر كثيراً.
- إن رمز المحبوبة الأسطورية الجميلة[3]، يعنى أن خيالك قد سخر قلبى وجعله أسيراً له.
- لقد وضع رأسه عند أقدام متيمى الجدائل المجعدة، وجعلنا أسرى سلوك جدائله التى تشبه الجنزير.
- إن هذا الأسلوب الذى يجذب القلب لا يكون بلا ألم، إن لكلامك تأثيراً على قارى[4].

---

1 - العين:اسم لقلب جامع يقتضي مقامات الباطن، وقيل هي صفة البصيرة الإلهية - كليات فخر الدين عراقي ص556 – د. رفيق العجم – موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي - ص684.

2 - زلف : الذؤابة – وهي كناية عن غيبت الهوية – كليات فخر الدين عراقي – ص 559.
وقيل هي كناية عن ظلمه الكفر– وزلف برشان – اضطراب الجدائل، إشارة إلى التغير والتبديل في أحوال الموجودات – فرهنگ - لغات واصطلاحات وتعبيرات عرفاني – ص 245.

3 - بري: كائن خرافي على شكل امرأة جميلة تشبه الملاك وفي الأدب الفارسي يشبهون المرأة الجميلة به – حسن عميد – فرهنگ عميد –.ص 330.

4 - كليات قاري – ص66.

وعن مقام الرضا يقول أيضاً:

- لم تطأ قدمي أرض هذه الزاوية إلا بسبب تباريح عشقك، وداخل خلوة القلب لم يكن للتفكير في غيرك مكان.
- مع أن دلاله لم يسلك طريقا سوى الجفاء، إلا أن قلبي المظلوم لم يسلك سوى طريق الرضا[1].
- لقد وصل صراخي وعويلي إلى الأفلاك من سوء طالعي، وأنا في حيرة من هذا الكحل الذي لم يصله صدى صوتي.
- لقد أصبحت أسير دلاله وهو ينأى عني، ويمعن في الدلال فينكر معرفته بي.
- لقد أصبحت بسببه مثل المرآة غريباً عن الوطن، وحتى الآن لم يرق لي خاطر ذلك الفتان.
- فأنى للربيع أن يغتم من أجل الخريف، فلم يكن لشكوانا مكان في قلبه.
- لا تسأل عن دموع وأنين مظلومي العشق والهوى، فلم يأخذ أحد حظه من المتعة في هذا العالم.
- ولماذا تبحث عن أثر الحظ السعيد في هذا العالم، فلم يأخذ الباحث عن العنقاء في هذه الخرابة سوى البوم.
- من كثرة ما ضلت أنفسنا طريقها يا قاري، لم نر قاطع طريق لا يتبع مرشداً[2].

وعن نور الوحدة الإلهية الذي يتجلى للسالك يقول:

- أمام طلعتك البهية لا ضياء ولا بهاء للصباح[3]، يا من وجهك أسطع نوراً من شمس الصباح.
- عد كي تبصر إظلام يومي وهم مسائي، يا من مطلع جبينك ينوب عن الصباح.
- بكت عيني دماً ليلة الغم حتى الصباح، وتذكرت وجهك فمزقت لوعة الفراق نياط قلبي في الصباح.

---

1 - الرضا: أن لا تسأل الله تعالى عن الجنة ولا تستعيذ به من النار، وقال الجنيد الرضا رفع الأختيار، وقيل هو سرور القلب بمر القضاء - الرسالة القشيرية، ص344.

2 - كليات قاري ص 83.

3 - الصباح: المراد من الصباح نور الوحدة الإلهية - سيد جعفر سجادي - فرهنگ لغات واصطلاحات وتعبيرات عرفاني - ص 297.

- لم أر وجهك في أحلام الفجر الصادق، ربما يتجلى[1] مع شمس الصباح.
- لماذا لم يرى أحد طله عطف من جبين الحبيب، فغير الحنان والمحبة ليس هناك معنى لدرب الصباح.
- إذا أردت أن يستنير العالم من ضميرك، كن مثل الشمس لا تتجول بالليل ولا تزاحم النائمين.
- إن مستنيرى القلوب يسخرون الخلق لهم، ومن الظل[2] حتى الثريا يسيرون في ركاب الصباح.
- لا تطلب من أهل الصفاء سوى الحب والحنان، فقد كان مضمون الشمس في كتاب الصباح.
- وانثر مثل السماء دمع السحر نجوماً، حتى تجد الضمير الصافي من فيض الصباح.
- وإذا كان الصباح يفتخر بشمسه، فنحن نملك نوراً من ناصيتك جواباً للصباح.
- لا تسكب الدمع من عينك على شفق الكون يا قارى، وقل بلا ألم ماذا تملك من جواب للصباح[3].

وعن فناء العمر في هوى المحبوب يقول قاري:

- إن عيني التي كانت تختلس النظر صوب خدك، كانت تختبئ في القلب حذراً من عسس دلالك.
- من أجل غبار أقدامه، كان الإنسان عيني في جيب أهدابه جواهر من البكاء.
- لا يوجد محرم للقلب سوى سهام دلالك، فقد رأينا كم كانت تعبر أرض المآتم هذه مئات المرات.
- فعلى كل من مرت عليه رياح الصبا في هذا البستان، أن يكون مثل شقائق النعمان يكتوى كبده بسببك.
- كان الشوق مهووساً بوجهك الجميل، في حين كان القلب مشغولاً بهوى آخر في

1 - التجلي: ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب - د.عبد المنعم خفاجي - الأدب في التراث الصوفي - ص 261.
2 - الظل: هو الوجود الإضافي الظاهر بتعينات الأعيان الممكنة وأحكامها التي هي عبارة عن معدومات ظهرت باسم النور الذي هو الوجود الخارجي المنسوب إليها. - علي بن محمد الجوزجاني - التعريفات - ص 62.
3 - كليات قاري - ص 87.

شعرك الذى يشبه شعر الختن.

- انقضى العمر بكثير من دماء الكبد، وكان هذا الطريق الخطير مليئاً بالجبال والصخور.
- لقد جف نبع الشمس في جيب الصباح، لأن دموعي في هذه الليلة كانت تسيل من عين رطبة.
- من الذى يبحث عن الهدف في هذه المعركة سوى السهم؟، إن الذى يخيط القلب كان يعلم مسبقاً بتمزيقه.
- ومثل سهم طائش يضيع اليوم، لقد ذهب الذى كان على علم بأنين القلب واحتراق الكبد [1].

وعن التذلل أمام الحبيب يقول قاري:

- سوف يصبح قوامك الممشوق صياداً للروح، وسيجعل الدهر كأنه المحشر.
- وفي النهاية سوف يفر القلب مني، مقتفياً أثر الحبيب.
- واآسفاه إن القلب الذى هو فلذة كبدي، سوف يصبح ذليلاً أمامك.
- لا تأتوا إليه بالورود وإلا، فسوف يحترق ذو الوجه الصبوح.
- إن مجروح القلب سوف يضحك كثيراً، لأنه سيصبح قرين خنجر الحبيب.
- لو هكذا كان جمال وجهه، فإن البكاء سوف يسد الحلق.
- إن علامة الحرمان في هذا القلب الدامي، سوف تجعل بساتين الشقائق تحسده.
- بسبب طرته السوداء أيها القاري، سيصبح نهاري ليلاً حالك السواد[2].

ويتحدث قاري عن أن السالك يستأنس بالحق عمن سواه فيقول:

- سوف يصبح القلب مهموماً من جراء عشقك، وستصبح روحي الحزينة هزيلة ضعيفة.
- ولسوف يصبح عارضك ربيعاً نضيراً، وسوف تبدو الزهور أمام جمالك مجرد أشواك.

---

1 - كليات قاري – ص 83.

2 - كليات قاري – ص 98.

- إذا ما تجليت بهذا الثبات والتمكين، فسوف يفقد قلبي القرار.
- لا تذهب أيها القلب إلى داره وحيداً منفرداً، بل اصطحب معك الروح أيضاً.
- فلا يهمني وحدتي وابتعادي، إن عشقه سوف يكون رفيقي وأنيسي.
- لقد ذهب ولم يستمع إلى حديثي، وسوف يخجل القلب مني.
- من جمال شعره ووجهه، سوف يصبح شعر رأسك أيها القارى وكأنه طرفى الليل والنهار[1].

وعن سكر السالك بخمر الطريق يقول قاري:

- هكذا تسلك عيناك الناعستان طريق الظلم، ويعمر الظلم قلبي الخرب.
- لو هكذا صارت نظراتك فاتنة ساحرة، فإنها ستعمر آلاف الخمارات.
- لو أنك حررت طائر قلبي من الشباك، فسوف يتوج رأسه بخصلات شعرك.
- تصل إلى أسماعي أصوات أنين، فلعله قلبي يصيح صوب ديارك.
- لو هكذا استطالت تلك الجدائل المجعدة، فسوف تأسرنا في قيد الهم والغم.
- إن وجهه قد جدد اكتوائي بنار الجنون، فمن ذا الذي سوف يتذكرني بأوراق الورود يا قارى ؟[2].

ويشكو قارى ويتألم من دلال وهجر الحبيب فيقول:

- ذلك الجميل المدلل الذي عاتب المتألمين، كان يريد أن يلوي الضفيرة فأشاح بوجهه.
- وأخيراً ماذا حدث أيها القلب النازف، عندما غمس ذلك المدلل المتلاعب يده في الحناء.
- كان يريد أن يتحدث عن بهاء شحمة الأذن، وكأن الشمس قد وضعت مرآة بيد السحر.
- وفي النهاية حملت الرياح حفنة ترابي ونثرتها كالكحل، من كثرة ما سقتني عيناه

---

1 - كليات قاري – ص 98.

2 - كليار قاري – ص 105.

الماء فى كاس رأسي[1].

- ومن شدة بكائى وألمى أحرق الدمع كبدي، وتصاعد دخانى من القلب برائحة كالشواء.
- إن جدائلك عنيدة متمردة جداً فى المعاملة، ولا يمكن لهذا الحبل أن يعطى قلبه فى القيد والربط.
- لا يروى الكأس المملوء ظمأ شفتى، فقد ارتوت عيناى من وجهك المتصبب عرقاً.
- أيها الخضر يا من تروى عطشى الطريق خذ بيدنا، فإن الأمل قد خدعنا بموج من سراب.
- يا مقدم الحبيب إننا أيضاً نبتغى الدواء "التوتيا"، فقد منح غبارك الكحل لأعين من فى ركابك.
- لست مهموماً مضطرب الخاطر من هذا المحفل يا قاري، فإن شمعتى قد قدمت ماء الورد من احتراق وردتي[2].

وعن الأشواق المضطربة ودلال الحبيب يقول:

- ومرة أخرى نبدأ بالشكوى من ذلك الشعر المتناثر، فنجعل خاطرنا المضطرب أكثر اضطرابا.
- لو هكذا تتساقط الأشواك من الوجه فى طريق النظر، فلسوف نخرج شوقه من القلب شوكة شوكة.
- إن رسول البلبل إلى الورد لم يكن سوى النسيم، ولسوف نحمل رسول رياح الصبار رسالة إليه.
- ففى الغزل سوف نصب الملح من فتنة شفتيه، وفى الحديث سوف نصنع السكر من أحاديثه العذبة.
- لو لم تنزلق أقدامنا فى طريق العشق الوعر، فستكون العاقبة أن نهيل التراب على رأسنا فى حيه.

---

1 - كاس الرأس – وهو مصلح يطلق على حصول الشيء بمشقة وألم.

2 - كليات قاري ص114.

- لو ظل سيف دلال الحبيب يمزق فينا هكذا، فسوف نصرف النظر عن التفكير فيه.
- إلى متى يفضحني الدمع أمام الناس؟، فلسوف نتدبر حيلة ذلك فيما بعد.
- إن زهد وتقشف الزهاد لا يلائم مزاجنا، فسوف نبهج النفس ونرطب طباعنا بالشعر الفصيح.
- لو أنني أتذكر سرو الوطن الباسق، فسوف أغيب عن ذاتي شوقاً لصحبته.
- لو وقع في أيدينا صفحة من طبع الربيع، فسوف نصير مثل البلبل نحفظ دفتر الورد[1].

ويتحدث قارى عن الوصال مع الحبيب قائلاً:

- إذا شرب أحد من خمر شفتيك، فلن يوقظه من تيه سكره إلا زلزلة يوم القيامة.
- سمعت أن قرط أذنيك الذهبي صار ثقيلاً، فمتى يصل إلى سمعك أنين أسراك.
- بكى القلب لوعة حين أبصر ذلك الصدر من فتحة القميص، نعم فإن الطير يصيح وقت انبلاج الصباح.
- حين أقبل مرسلاً جدائله المجعدة على كتفيه، صرت أسيراً للجنون من أول خطوة.
- يا ويلتي لو أن جيش أهدابه الفتان الذي أفنى دولة القلب، يغير على العقل والإدراك أيضاً.
- لم يقو الصدر على كتمان أسرار عشقك، فعندما تكون النار مستعرة فإن القدر ينفجر من الغليان.
- لم ير القلب فائدة ترجى من الشيوخ الذين باعوا أنفسهم، فسوف تكون قبلته بعد ذلك حلقات بائعي الخمر المحتالين.
- يذوب اللؤلؤ في أصدافه خجلاً، عندما يأتي الكلام من شفتيه الصامتتين.
- لا وجه للقارى أمام دولة وصال[2]. الحبيب، فسوف أغيب عن وعيي منتظراً بشارة الملاك.

---

1 - كليات قاري ص 128.

2 - وصال: مقام الوحدة مع الله سراً وجهراً – د.نسرين محتشم خزاعي – كليات فخر الدين عراقي – ص 573.

- كليات قاري ص 105.

وعن انفطار قلب العشق أمام جفاء المحبوب يقول:

- إن خيال قوامك الممشوق استوطن خاطري، وأنبت في إقليم القلب هذه الجذور والفروع.
- يطلبون الانكسار عند أعتاب الغرور، وقد ارتفع هذا الصوت من تحطم زجاج القلب.
- وقد وجدت طريقك إلى القلب ثانية أيها النواح والأنين، لأن سهام أهدابه قد فتحت في القلب طريقاً.
- إن أهل العرفان لا يتقيدون بشيء أو مكان، لأن السيل إذا ما داهم منزلاً أفناه.
- إن التسول عند أبواب القلوب يهبك الحياة، قد أطلعتني روح الحقيقة على هذا السر.
- آه فإن الفلك من أجل تحطيم قلوبنا، قد جعل قلوب الحسان جامدة مثل الحجر الصلد.
- أيها الفلك لا تضرب حجراً في زجاجنا مرة أخرى، فلقد تحطمت القنينة وبكت بسببك الأقداح قدحاً قدحا.
- فأني للقلب المنكسر أن يتحمل الألم والغم ؟، فقد باع كل ما يملك مقابل شراء جدائلك.
- ودائماً يكون نصيبه الغصة يا قاري، كل من ضحك بلا سبب مثل الورد في هذا البستان[1].

وعن تمكن الهوى من قلوب السالكين يقول:

- إن قدك قد عجل بقيامتي، فأي يوم هذا الذي تمنى القلب فيه هذا البلاء.
- ربما رأى اللسان سيفك البتار، لأن الجرح الغائر بفمي نُكئ مرة أخرى.
- لقد اتخذت رياح الصبا موضعها من حلقات جدائلك، ولن يحركها من مكانها عبق عطر بستانك.
- إن العجز والاحتياج مرآة لغرور الدلال، وإن قلوب العاشقين تنتظر ظهورك المتبختر.
- لقد غاص السرو الباسق في باطن الأرض خجلاً، عندما ذاع ذكر قامتك في البستان.
- والآن تزدهر مزرعة آمالي بسببك، حيث ظهر للجذور حبة من الخال على وجهك.

---

1 - كليات قاري ص114.

- ربما يضرب قارى رأسه بحجر، فماذا يفعل عندما يتمكن الهوى من قلبه بشدة؟[1].

وعن مقام الإخلاص يقول قاري:

- لجديلة الحبيب يكن العنبر الإخلاص، ولمولاه يظهر الخادم الإخلاص[2].
- لا تكثر سوء الظن بي، فلم يظهر مني تقصير في الإخلاص.
- لقد أضاء وجهك وجه الجديلة، فكيف يظهر الكافر للقبلة إخلاص.
- أيها الحبيب لقد صرت شيخاً من هموم عشقك، فلماذا مع الشيخ تظهر قلة الإخلاص.
- إنني كالمشط مشغول بذكر المنشار، لأن لدى لجديلة الحبيب إخلاص.
- لو هكذا تقطع الأصنام طريق الإيمان، فلا تطلب مني لإله آخر إخلاص.
- تظهر معشوقاتي سوء الظن بي، فمتى للناصح أن يظهر ثانية إخلاص.
- مع أن الحسناوات قد أسأن لي، فقد كان لهن مني مزيد الإخلاص
- مع أن قارى قد بذل في هواك النفس والروح، إلا أنك حتى الآن لا تضمر له إخلاصاً[3].

وعن العشق وما يسببه من آلام للعاشق يقول :

- متى وصل هذا الخبر إلى معشوقي، أن قد بلغت روحي الحلقوم من عشقه.
- ولقد بلغت جدائله العنبرية أقدامه، فانظروا لقد وصل الليل إلى منتهاه.
- يصعد اليوم أنين شديد من القلب، ربما وصل لجرحه ماء النصل.
- لقد وصلت أمواج دمعي إلى حاشيتي، مثلما يصل طوفان السيل إلى الأطراف.
- لو التقى عارضه مع طوفان دلاله، فماذا يعيده ثانية وقد بلغ الأهداب.
- وماذا يفعل العاشق لو لم يقدم القلب، فقد صدر الفرمان من رأس جدائلك.

1 - كليات قاري، ص114.

2 - الإخلاص: منزلة الأقوياء من العابدين، والإخلاص إخراج الخلق من معامله الله تعالى، والنفس أول الخلق، وقيل هو ما تخلص من الآفات، وقال الجنيد: الإخلاص هو ارتفاع رؤيتك، وفناؤك عن الفعل.

وقال ذو النون: الإخلاص ما خلص من العدو أن يفسده.

- أبو نصر السراج الطوسي – اللمع – تحقيق د. عبد الحليم محمود وعبد الباقي سرور – ص 289.

3 - كليات قاري – ص 139، 140.

- وماذا يقول القلب عن حوادث دمعي، فانظروا هذا طوفان العين قد وصل[1].
- وانظروا فقد صار الصدر مرتعاً للحزن، وقد أصبح كالمجنون في الصحراء.
- بأهدابه المحزونة تحترق دموعي، مثل النار من أشواك شجرة أم غيلان[2].
- إنك مهموم القلب والكي دواؤك، ففكر في النار فقد حل الشتاء.
- فلأبك على نفسي هذه الليلة، فإنني مثل الشمع قد انتهى أمري
- وليطمئن من القلب ضميرك يا قاري، فقد وصل كلامه إلى الجدائل المضطربة[3].

وفي معاتبة من العاشق للمعشوق يقول قاري:

- لو أن أصحاب الوجوه الجميلة كالأوثان و الأصنام[4] يخشون الله، فلماذا يعمدون إلى الفتك بي.
- إن المدللات لسن قبيحات، فالمعشوقات بارعات الجمال.
- لماذا هذا الحقد تجاه العشاق، فإنهم مخلصون لكن أيتها الجميلات.
- لا يُحزنهم عوزهم ورقة حالهم، فإن العشاق لا يشغلهم سواكم.
- لقد رأيت القمر[5] والشمس ليلاً ونهاراً، فلم أجد لهما بهاء وجمال وجهك.
- لا تصغ لحديث عزالي عني، فإنما تحركهم أهواؤهم أيها الجميل المدلل.
- لم يسأل أحد عن الجميلات يا قاري، فلماذا يفعلون بالمحبوب هكذا ؟.

وعن التواضع الذي يجب أن يتحلى به الصوفي يقول قاري:

1 - كليات قاري ص 181.

2 - أم غيلان: هي شجرة ذات أشواك حادة ومنحنية وتكون أشواكها في البداية خضراء اللون وبعد فترة تصير سوداء حادة، ولها ثمار تشبه اللوبيا، ولها صمغ يشبه الصمغ العربي.

- حسن عميد – فرهنگ عميد – ص 1107.

3 - كليات قاري – ص 181.

4 - بتان: الأصنام – ويطلق لفظ صنم عند المتصوفة على المطلوب أو المقصود والمعشوق، وقيل إشارة إلى التوحيد، والنساء إشارة إلى الطاعة والسلوك ورياضة الصوفية - سيد جعفر سجادي - فرهنگ لغات واصطلاحات وتعبيرات عرفاني ص 90 ، 91.

5 - القمر: هو مقام برزخي بين مسمى الهلال والبدر – د. رفيق العجم – موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي – ص 770

– كليات قاري – ص 105.

- متى ندمت جدائلك على الطغيان، إن العهد الذى أبرمته مع نفسك بالتطاول والطغيان ما زال قائماً.
- لقد أصيب قلبى بسهم من أهدابك، ومنح الله الإنصاف لعيونك الظالمة.
- حينما أقبل حبيبى من فمه أتوقف، لأن الوقف عند الميم "الفم" فى صحيفة وجهه لازم[1].
- وسأطلب منه حقى فى الآخرة يوم الحشر، فإن هذا الجميل يفعل ما يحلو له لأنه حاكم فى هذه الدنيا.
- يليق عقد الجوهر بجيد حبيبي، أن بياض جيده من صنع الله الذى أبدعه بهذا البهاء.
- تميل المياه دائماً إلى المنحدرات والوهاد، كذلك يتناسب التواضع[2] مع الطباع اللطيفة[3].

وعن الجفاء[4] الذى يتسبب فى ستر قلب السالك عن المشاهدات يقول:

- طالما أنك لا تفى بالقسم، فلا تقسم أيها المدلل عديم الوفاء.
- لا معرفة لى بعينك الآخاذة، أقسم لك أيها القريب[5] البعيد[6].
- لا خلاص لى من شعرك المجعد، أقسم بأسراك المبتلون بعشقك.
- فى كل لحظة يقسم القضاء، بأطراف أهدابك الحادة كالسيف.
- أهوى أن أمرغ جبهتى عند قدميك، أقسم بالجبين المخضب بالحناء.
- لا تصل أيدينا إلى جعدة جديلتك، أقسم بشعر ناصيتك العالي.
- لا معرفة للحبيب بالوفاء مطلقاً، فلقد عقد العهد مع الجفاء ذلك الذى لا وفاء له.

1 - إشارة إلى "الميم" علامة الوقف اللازم في القرآن الكريم.

2 - التواضع: تصغير النفس مع معرفتها، وتعليم النفس بحرمة التوحيد ووصفه الجنيد بأنه خفض الجناح وكسر الحجاب، وقيل هو تذلل القلوب لعلام الغيوب، وقيل التواضع قبول الحق من الحق للحق، وقيل هو الانتحار بالقلة، والاعتناق للذلة، وتحمل أثقال أهل الملة.

- عبد المنعم الحفني – معجم مصطلحات الصوفية – ص 51.

3 - كليات قاري – ص 66.

4 - (الجفاء: ستر قلب السالك عن المعارف والمشاهدات - كليات فخر الدين عراقي ص 557.

5 - القرب: القيام بالطاعة والإنصاف في دوام الأوقات بالعبادة.

6 - البعد: التدنس بالمخالفة والتجافي عن الطاعة. الرسالة القشيرية – الجزء الأول – ص192.

- من فرط ما يقسم هؤلاء الناس، أصبح القسم غذاءً لهم.
- ومن خوان نعم الدنيا يا قاري، أقسمت بشهية[1].

ويقول ايضاً :

- رغم أن من عادتك الجور[2] والجفاء، لكن هذا لا يجوز مع العشاق أيها الجميل.
- لقد ضاع القلب منا وهامت الروح بحثاً عنه "وفقدا معاً"، فى اقتفاء أثر جدائلك المجعدة، ولا ضير فى ذلك.
- أصُبت فى قلبى بسهم مقدر من عينيك، وما من سهم يضارع فى نفاذه رموش عينيك
- أيها القلب سلكت طريق العشق فى النهاية، فأخرج من رأسك هذا الهوى فليس فى هذا المكان من يعشق.
- لا تسألوا عن منزل العشاق، لقد ضاع أثر القافلة التى غابت عن الأسماع.
- إذا لم يكن دم شهداء الوفاء[3] بلون الحناء، فلماذا أصبح مهاناً بهذا الشكل من جفائك.
- لقد اطبقت على صدى هموم حبك وعشقك، حتى أنى أشعر بضيق فى المكان وعدم وجود هواء بالمنزل.
- لا يمكنك النجاة من سوء الطالع، ومن الحظ الأسود أن ليس لدينا ريش العنقاء[4]
- كان محفلاً للكلام الجميل ولكن، جاء القارى متأخراً ولا مكان له فى هذا المحفل[5].

وعن توجه السالك بقلبه إلى المولى عز وجل يقول:

لقد جعل القلب وجهك قبلة[6] لطاعته، وجعل قوس حاجبك محراباً لعبادته.

---

1 - كليات قاري - ص 113.

2 - الجور: منع السالك من السير في العروج - كليات فخر الدين عراقي ص 557.

3 - الوفاء: العناية الأزلية - نفس المرجع ص 556.

4 - العنقاء: طائر خيالي يشبه العقاب يتفاءل به الإيرانيون ويعتقدون إنه إذا من ظل هذا الطائر شخصي فهو يعيش في سعادة دائمة، د. محمد التونجي فرهنگ طلا - ص 607.

5 - كليات قاري - ص 60.

6 - القبلة: هي المحبوب والمطلوب والمرجع والمآل الحقيقي والتوجه لذات الواحد الحقيقي - د. سيد جعفر سجادي - فرهنگ لغات واصطلاحات وتعبيرات عرفاني ص 373.

- إن الأوثان ذات الوجه الملائكى تنظر تجاهك، قل فنحن لا نرى مرآة مثل وجهك[1].
- يرتفع على رؤوسنا دائماً سيف ذو حدين، ولا يشعر قوس حاجبك بالغم مقدار شعره.
- يميل شجر السرو السامق دائماً إلى صحبة القُمري، فكيف لا يميل القلب إلى قامتك الجذابة.
- لقد جاء السرو راقصاً والورد مبتسماً من الشوق، فلعل رياح الصبا[2]تأتى إلى المروج والرياض.
- سريعاً يخرب بيت السلسلة[3]، ولو يكون الأمر كذالك فسوف تنكسر سلسلة جدائلك.
- ينكشف حال الغد من رؤية وجهك، فقد جعلوا من نظارة ركبتك منظار للعين.
- لو أستطيع حمل هذا المشط الشمشادي، فإلى أين تذهب حلقات جدائلك[4].

ويتحدث قارى عما يتكبده السالك من الآلام والمهالك فى سبيل بلوغ هدفه قائلاً:

- طالماً أنك تشد وثاقى بلا سبب أيها الدهر، فاربطنى مرة بشعر ناصية حبيبى المجعد.
- من أى خصلة من خصلات شعره يتخلص القلب ؟، إن ذؤابة شعره العنبرية لها ألف عقدة.
- من الصعب إدراك مدى طيبة خاطره ولطفه وجماله، فإن ذؤابة الحبيب لا يمكن أن تتجعد بلا سبب.
- إن حب معشوقى كنز[5] فى خرابه[6] قلبي، قد التفت الجدائل على كنزى وطوقته مثل الثعبان.

---

1 - المرآة: هي قلب العارف ويقال – القلب السليم – محمد زاده العثماني النقشبندي – بغينة الواحد في مكتوب حضرة مولانا خالد – ص15 – دمشق – 1334.

2 - الصبا: نفحات رحمانية تأتي من جهة المشرق – فرهنگ لغات واصطلاحات وتعبيرات عرفاني ص 296.

3 - السلسلة: اعتصام الخلائق بالحضرة الإلهية – كليات فخر الدين عراقي ص571 – كليات قاري ص 24.

4- كليات قارى - ص 24 .

5 - كنز: المراد بالكنز هو الكنز المخفي وهو الهدية الأحدية المكنونة في الغيب – د. عبد المنعم الحفني – معجم المصطلحات الصوفية - ص 226.

6 - خرابة: يقصد بها حانة الخمر، أو الأمكنة التي يلزمها المتصوفة – د. إبراهيم أمين الشواربي – ديوان حافظ الشيرازي - ص 97.

- فبالله عليك حل ذؤابتك[1] العنبرية وفكفكها، وعلق على جديلتيك تميمة من المسك
- التتري[2].
- إن شرارة شوقى إليه قد ألهبت قلبي، واصطدمت آهاتى بتلك الشرارة والتفت صعوداً لأعلى مثل الدخان.
- لم يجد طريقاً إلى قلبك القاسي بأى وجه، رغم أن التأوهات في هذه الأرض الجبلية يتردد صداها.

إن عشق الجدائل معقود على رأس العشاق، ولم يكن الهدف من ربط العمامة الالتفاف[3].

إذا أردت أن تظفر بها وأن تجذبها إلي حضنك، عليك أيها القارى أن تلتف حول ظهر الحبيبة مثل شعرها[4].

وعن صفاء قلب السالك واضطراب خاطره يقول قاري:

- لو لم يكن وجه الحبيب يسكنني، لما كانت مرآة القلب صافية هكذا.
- لن يهدأ لزليخة بال اليوم، طالما لم تر يوسف سجينا[5].
- لقد توارى وجه الحبيب خلف "مظلة شعره" الأسود، حتى لا يظهر ماء الحياة فى بئر غمازة ذقنه.
- ولقد صرت مسلوب الإرادة أيها القلب وأنت سائر إثر وجهه، ولم يقع فى طريقك بئر غمازة ذقنه.
- إن روحى التى بعتها ثمنا للظفر بشفتيك، لن يكون ثمنها بخسا إذا ما أخذت قبلة من شفتيك.
- لا يسأل أحد عن الفقراء المهمومين، وليس فى مدينة الحسان "الأصنام" مكان للكافرين.

1 - حل الذؤابة : إشارة لظهور أنوار تجليات الوحدة التي تظهر للسالك أثناء السلوك والرياضات - فرهنگ لغات واصطلاحات وتعبيرات عرفاني - ص 245.

2 - المسك التتاري: هو المسك الطبيعي الذي تفرزه الظباء في بلاد التتار - (المترجم).

3 - لعله يقصد أن الهدف من لبس العمامة للشيخ ليس فقط كثرة الالتفاف حول الرأس وإنما هو احترام شعائر الدين. "المترجم".

4 - كليات قاري - ص 87.

5 - إشارة إلى الآية الكريمة " قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ " قرآن كريم سورة يوسف آية 32.

- لو أن خاطرنا انكسر فلا بأس بذلك، ما لم تضطرب أطراف جدائل الحبيب.
- أنا في هواه خالي البال، وليست جدائل الحبيب أكثر اضطراباً مني.
- من ذا الذي يملك مثل هوس المجنون يا قاري، إذا لم تكن هناك أحجار بيد أطفال هذه المدينة[1].

وعن القلب الذي هو مخزن أسرار الحق يقول:

- من كثرة ما هوى القلب تلو القلب[2]، لم يعد في حبك موطئاً آخر لقلب.
- لو جعل الله ليلتي هذه نهاراً[3]، أقول لك إنها ليلة أحزان القلب.
- بالدين والقلب أفدي جدائلك، ويفوح المسك من هذا القلب العاشق.
- ولم يؤثر في قلبك القاسي قط، آه وأسفي ويا لكثرة أنين القلب وأساه!.
- لقد وجد القلب لنفسه مقصداً ومأوى، حين لم يخطُ خطوة خارج حيه.
- كيف يفتح بنفسه جناح القلب وحاشيته، فليس لمالك قلبي اهتمام بالقلب.
- ما من بعد عن الحسان يا قاري، ولو اتخذت مائة طريق لقدم القلب[4].

وعن إخلاص العمل لله يقول:

- كان الياسمين مخلصاً[5] لوجهه الذي يشبه ورق الورد، وصار الختن مخلصاً لطرته المسكية.

---

1 - كليات قاري – ص 113، 114.

2 -القلب: في اصطلاح المتصوفة بمعني مخزن أسرار الحق - فرهنگ لغات واصطلاحات وتعبيرات عرفاني ص 211.

3 - الليل: عند المتصوفة هو: عالم الغيب ويقال أيضاً عالم الجبروت وهو عالم ممتد بين الوجود والعدم ويذكر البعض أنه بين عالم العبودية والربوبية.

النهار: هو تتابع الأنوار.

كليات فخر الدين عراقي ص 564.

4 - كليات قاري ص 146.

5 - المخلص: من تراه يخفي الأعمال بسترها برداء الحال وإن سئل عنها لم يخبر عنها مقال، والمخلص يزداد نشاطه إذا خلا بالحق، وبعد عن نواظر الخلق، والمخلص إن قام قام بالله، وإن قعد قعد مع الله، وإن تحرك لا يقصد إلا الله، وإن سكن اطمأن بالله، وإن سأل سأل من الله، وإن عمل عمل لله، فجميع شئونه من الله وإلى الله وفي الله وبالله.

- د. رفيق العجم – موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي – ص 32.

- إن فى رأسى هوىً لقده المياس ، فلماذا صرت مخلصاً لسروك السامق أيها البستان .
- إننى مريدٌ متبع لسلسلة جدائلك المسكية أيها الشعر ، فقل لمرشد السلسلة أن يكون مخلصاً لي .
- والله ما وجدتنى صنما قاسى القلب ، حتى تصبح مخلصاً لصنم صنع من حجر .
- كثيرون هم مريدو سلسلة جدائل الحبيب ، لكن أنيّ يوجد مخلص مثلى فى تلك الحلقة .
- لماذا لم تصح عقيدة القاري ، وهو المخلص لسلسلة الجدائل المفتولة[1] .

وعن مقام القرب[2] يقول قاري :

- يا من جمالك يوسف وعارضك نيل ، أنبت وجهك الذى يمتلئ حيوية روضة الخليل .
- حيك كعبة[3] للسالكين ، وكالأجراس صارت قلوب المتألمين دليل .
- فى مقام القرب لعشاقك ، لم يكن كاتم الأسرار جبريل .
- عندما غاب يوسف عن ناظرى يعقوب "قال" ليس لى حيلة إلا الصبر الجميل .
- إن لنواح هذه النفس المضطربة صدي ، يصل إلى أذنى صوت الرحيل .
- إن طيب المدام فى شفاة المحبوب الياقوتية يا قاري ، والزهد والأمل فى جدول السلسبيل[4] .

وعن ألم ولوعة الفراق يقول قاري :

- رغم أن صاحب الطباع الحادة لا يعرف قلبي ، إلا أن شفتى لم تنبس بكلمة شكوى من ظلمه .
- طالما أن الجريح لا يمكنه الكلام ، فلماذا يغلق الفم مهابة سيفه .
- رغم اشتياقى للسجود عند انحناءة حاجبه ، إلا أن رأسى لا تنحنى أبداً صوب قبلة أخرى .

1 - كليات قاري - ص 140.

2- القرب : القيام بالطاعة والإنصاف في دوام الأوقات بالعبادة - الرسالة القشيرية - الجزء الاول - ص 192

3- الكعبة : هي توجه القلب إلي الله وهي مقام الوصل - سيد جعفر سجادي - فرهنگ لغات واصطلاحات وتعبيرات عرفانى - ص 391

4 - كليات قاري - ص 146.

- حين يتجلى الحبيب لناظري، يطغى حضوره على ورود البستان بألوانها وأريجها.
- ولما غاب عني ذلك الفتان عرفت، إن ماء العشاق الهادر لن يعود إلى الجداول ثانيةً.
- ولطخت الدموع الدامية طرفي، فليس من البكاء فائدة سوى التطهر.
- ورغم أنه ليس لمروءتنا سقف، إلا أن الشكوى لا تأتي من قلب لا أمل به.
- أنَّى لي أن أجلس على مائدة من لا حياء لهم، طالما ليس بوسعي خلع رداء الحياء.
- لا حظ للرؤوس الخاوية من العقل، لأن سر فوران الخمر ليس في اليقطين.
- دائماً ما يتحمل أهل النظر عظائم الأمور، بينما لا يعبأ العين المحترق "العليل" بعشق الشعر.
- سوى ثقب القلوب المدماة يا قاري، لا يأتي رتقاً من وخز "أشواك" الأهداب[1].
- **ويقول أيضاً:**
- لا تتحدثوا عن خصلات شعر حبيبي المسكية، ولا تسودوا أيامي بهذه الذريعة.
- لا تجددوا بالحسد اكتواء قلبي، ولا تتحدثوا عندي عن صاحب الوجه الوردي.
- إن قبضة غباري لم تكن زهيدة إلى هذا الحد، فلا تمروا على قبري بهذا الغرور.
- إن البخور لا يستقر على النار هادئاً، فلا تشتكوا من قلبي المضطرب الولهان.
- لقد تعودت على مرارة سم الفراق، فلا تأتوا إليَّ بغم لا مرارة فيه.
- إنني أحترق بنار قلبي مثل "الشنار"، فلا تغرنكم. نضارة ربيعي.
- لقد صار حضني بيتاً للحسان من طيفكم، فلا تبعدوا الحسان عني مرة أخرى.
- استمع إلى هذا الكلام الجديد من الراهب يا قاري، ولا تخبروا الزمان عن جفاء حبيبي[2].

وعن تكشف أسرار العاشق أمام معشوقة **يقول قاري:**

- إن من يعيش حياة متجددة مثل الصباح، هو من ينظر إلى وجهه مرة أو مرتين مسروراً محبّاً لهذا الوجه.

---

1 - كليات قاري – ص 113.

2 - كليات قاري – ص 125.

- وسوى أن يشق جيب الصبر، فماذا عساه أن يفعل من ابتلى بحبك وعشقك.
- إن الشمس تبدو للعيان مجرد سراجاً في النهار، إذا تجلى لهم بريق حلقة أذنه.
- إذا ما انفرجت شفة الحبيب عن أنفاسه الواهبة للروح، فإن نسيمها يجعل براعم الورد تتفتح.
- وهكذا صار الكحل شبيها بالتراب من إدمان الخمر، فمن قال له أن يستأجر خمارة العين؟
- وبنظرة واحدة تبدت خبايا أسراري، فما الذى يمكن أن تظهره نظرة أخرى من الأسرار ؟.
- كم تتدللين وتسعدين بعرى الجيد والأذن، نخشى أن جوهر أذنيك يقوم برصد الكواكب.
- أن نظراته الثملة تتحاشى دمنا، مثلما يترك مدمن الخمر الإقبال على الشراب.
- ولأن كل ما فى الكون من الحسن والقبيح هو إلى زوال، فهنيئاً لمن يتقبل العالم بحلوه ومره.
- سوى ذلك الخط الذى انبعث من تلك الشفاة النارية، من رأى أن نار الخمر تصور شراراً هكذا؟
- وعندما يتوهج عارضه من نار الخمر، فإن وهج دلاله يقطع الأكباد ارباً ارباً.
- لماذا تقدم النصح فى غير موضعه يا قاري، فكيف للمرء أن يبتعد عن الخمر والمعشوق[1].
- وعن اتباع العاشق لمعشوقه والحرص على اقتفاء أثره **يقول:**
- معاذ الله أن أقول إنك قد خرجت من قلبى المتعب، وما غادرت القلب وإن غبت عن عيني.
- وقد سافرت دون أن تودعنى أنا العاشق، وفى النهاية ترتكنى أيها المعشوق مثل العمر بلا خبر.
- كان عندى أمل فى تقبيل يدك ولكن مع الأسف لم يتحقق، وفارقتنى بأسرع ما تفارق الحناء كفك.

---

1 - كليات قاري – ص 122.

- لن أدع طيفك يعبر خيالي ثانية يا عديم الوفاء، فارحل عن خلوة القلب أيضاً كما رحلت عن النظر.

- وما دمت قد تخليت عن رفقة العاشق المحب، فلماذا تأخذ القلب معك إذا ما رحلت.

- ولماذا تلاعبت بابن الأكرمين يا حبيبي، ولماذا أخذت القلب الهائم معك وأنت مسافر[1].

- إنك تعلم بأن القلب قد ذهب يقتفى أثرك من منزل لآخر، فأنت ظالم إذا لم تخبرنا عن الذى ضل الطريق.

- أما قلت لك أيها القلب التائه بأن تمدد قدميك على قدر فراشك ؟، فلماذا خالفتنى وذهبت فى إثره هائماً تهذي؟

- فماذا كان يضيرك لو صبرت على هجره يوماً أو اثنين ؟، فلماذا يا قلب لم تفعل؟ وأحرقت الكبد لفراقه.

لم تر ذلك القوام الجميل فانظر إليه الآن، لقد ذهبت مغروراً بهذا الطول أيها السرو الباسق.

- لم يأخذ هذا القمرى الجالس فى الخيمة منزلاً خارج القلب، فلماذا أصبحت مضطرباً هكذا بلا اختيار يا قارى[2].

1 - المسافر: الذي سافر بفكره في المعقولات والاعتبارات - عبد المنعم خفاجي - الأدب في التراث الصوفي - ص 259.

2 - كليات قاري - ص 187.

الفصل الثالث

المدائح النبوية في شعر قارى

المدائح النبوية في شعر قاري:

المدائح النبوية هي فرع من فروع الشعر الصوفي، وهي لون من التعبير عن العواطف الدينية، وباب من الأدب الرفيع، لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص[1].

وقد كان إنتاج الشعراء في هذا الفن غزيراً على مختلف العصور، فقد أجادوا فيه إجادة بارعة، والمدائح النبوية تطوير جليل لشعر المدح العربي[2].

وأكثر المدائح النبوية قيل بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وما يقال بعد الوفاة يسمى رثاء، ولكنه في الرسول يسمى مدحاً، ولأن الرثاء يقصد به إعلان التحزن والتفجع، على حين لا يراد بالمدائح النبوية إلا التقرب إلى الله بنشر محاسن الدين والثناء على شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم .[3]

وأول ما عرف من الشعر الذى قيل فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم هو الشعر المنسوب إلى أبى طالب عم الرسول صلى الله عليه وسلم وكافلة بعد وفاة جده عبد المطلب، وحين قامت قريش بمعاداة الرسول الكريم ، قام أبو طالب بمؤازرة ابن أخيه ووقف إلى جواره فى مواجه قريش وأنشد الشعر فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم، ومن أبرز ما كتب أبو طالب فى مدح الرسول قصيدته اللامية التى مطلعها :

---

1 - زكي مبارك- المدائح النبوية في الأدب العربي- ص 14- الطبعة الأولى- القاهرة 2003م.

2 - د. محمد عبد المنعم خفاجي - الأدب في التراث الصوفي - ص 243.

3 -زكي مبارك - المدائح النبوية في الأدب العربي - ص 14.

لما رأيت القوم لا ود بينهم ... وقد قطعوا كل العرى والوسائل [1]

وتشتمل هذه القصيدة على خمسة وتسعين بيتاً، وتعد من أجود ما نظم أبو طالب في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وفي وسطها البيت المشهور في مدح الرسول، و يعده بعض الرواة مطلعها يقول:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل[2]

ومنها في مدح الرسول أيضا،وهي ختام القصيدة:

لعمرى لقد كلفت وجدا بأحمد ... وإخوته دأب المحب المواصل
فلا زال في الدنيا جمال لأهلها ... و زيناً لمن ولاه رب المشاكل
فمن مثله في الناس أى مؤمل ... إذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عادل غير طائش ... يوالي إلها ليس عنه بغافل
حدبت بنفسي دونه وحميته ... ودافعت عنه بالذرا والكلاكل
فأيده رب العباد بنصره ... أظهره ديننا حقه غير باطل [3]

و بعد مدائح أبي طالب تأتي قصيدة الأعشى بن قيس التي يقول في مطلعها:

ألم تغمض عيناك ليلة أرمدا ... وعادك ما عاد السليم المسهدا
وما ذاك من عشق النساء وإنما ... تناسيت قبل اليوم خلة مهددا

ومنها قوله لناقته:

فيا ليت لا أرثى لها من كلالة ... ولا من حفى حتى تزور محمدا
نبى يرى ما لا ترون وذكره ... أغار لعمرى في البلاد وأنجدا
له صدقات ما تغب ونائل ... وليس عطاء اليوم مانعه غدا [4]

ولكن هذا لا يعد من المدائح النبوية، لأن الأعشى لم يقل هذا الشعر وهو صادق

1 -د. محمود على مكى _ المدائح النبوية ص 10 _ الشركة المصرية للنشر _ لونجمان 1991 م.
2 -ابن هشام _ السيرة النبوية _ ج 1 ص 213 _ بيروت 1969م
3 - نفس المرجع _ ج1 _ ص 220
4 -د. أحمد الحوفى _ الإسلام في شعر شوقى ص 72، 73

النية فى مدح الرسول، وإنما كانت محاولة أراد بها التقرب من نبى الإسلام، أو كسائر محاولات الشعراء الذين يكتسبون بالمديح، وليس أثراً لعاطفة دينيه قوية حتى تلحق بالمدائح النبوية، وآية ذلك أنه انصرف حين صرفته قريش ولو كان صادقاً ما تحول(1).

ثم كانت قصيدة كعب بن زهير(ت 26 هـ) "بانت سعاد" التى أنشدها بين يدى الرسول صلى الله عليه وسلم يعلن فيها توبته بعد أن أهدر الرسول دمه من كثرة هجائه له وللإسلام والمسلمين، السبب فى نظم القصيدة هو أن كعبا كان ممن هجا النبى صلى الله عليه وسلم، فلما فتح النبى مكة خرج أناس هاربين من جملتهم كعب وأخوه بجير (2) فخرجا حتى أتيا مكاناً يدعى أبرق العزاف، يريدان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال كعب الحق الرجل وأنا مقيم هنا فانظر ماذا يقول لك، فقدم بجير على الرسول صلى الله عليه وسلم فسمع منه وأسلم، فكتب بجير إلى أخيه كعب يخبره أن رسول الله قتل رجلاً بمكة ممن كانوا يؤذونه ويهجونه، فإن كانت فى نفسك حاجة فسطر إليه فإنه لا يقتل أحدا جاءه تائباً فلما، بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الأرض، وأشفق على نفسه، فخرج حتى قدم المدينة، ونزل على رجل من جهينة، فغدا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال : يا رسول الله إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائبا مسلما، فهل أنت قابل منه، فقال رسول الله نعم، ثم أنشد كعب قصيدته بين يدى رسول الله وهو يسمع وفى رواية انه لما وصل إلى قوله:

إن الرسول لنور يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول

ألقى عليه الرسول صلى الله عليه وسلم بردته (3)

وكان مطلع القصيدة:

1- وملخص ما ذكره الرواة في ذلك "أن الأعشى حين عقد العزم على التوجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليعلن إسلامه اعترضته قريش وبعد محاورات بينه وبينهم اثنوه عما عزم عليه بعدما أخبروه أن الإسلام يحرم معاقرة الخمر، وهو الذي لم يكن يطيق الإقلاع عنها، وقبل عطية من أبي سفيان بن حرب عبارة عن مائة من الإبل فرجع، وبينما هو في طريقه إلى دياره سقط من فوق راحلته فدق عنقه. - زكي مبارك – المدائح النبوية في الأدب العربي – ص16، 17، 18 "بتصرف".

2 - حاشيه الباحوري على شرح بانت سعاد لابن هشام الأنصاري _ ص 3 _ القاهرة 1317 هـ.

3 -نفس المرجع ص 4 .

بانت سعاد فقلبى اليوم متبو   متيم إثرها لم يفد مكبول

وفى مدحه للرسول صلى الله عليه وسلم **يقول :**

أنبئت أن رسول الله أوعدني   والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذى أعطاك نافلة   القرآن فيها مواعيظ وتفصيل[1]

وقد اهتم المتقدمون بها اهتماماً عظيماً، وعدوها من أفضل ما قيل فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك لكونها أنشدت بين يدى الرسول الكريم[2].

وبعد الأعشى وكعب جاء شاعر الرسول حسان بن ثابت (ت 57 هـ) الذى أوقف جُل شعره على مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وتمتاز أشعاره بالصدق والإخلاص، إلا أنه كان يمدح الرسول ويقارع خصومه على الطريقة الجاهلية، وقد مدح حسان الرسول صلى الله عليه وسلم فى أشعاره وأشاد بغزوات المسلمين وافتخر بمقاتليهم وسجل حروبهم ورثا شهدائهم، وفى نفس الوقت كان يهجو قريشا وأعلامها، وكان يعيرهم بضلالهم ويسخر من فرارهم فى المعارك ويذكرهم بقتلاهم، وأقوى قصيدة فى مدائح حسان هى العينية[3] **يقول فى مطلعها :**

إن الذوائب من فهر وإخوتهم   قد بينوا سنة للناس تتبع
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم   أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا

إلى أن **يقول :**

أكرم بقوم رسول الله شيعتهم   إذا تفرقت الأهواء والشيع
فإنهم أفضل الأحياء كلهم   إن جد بالناس جد القول أو شمعوا[4]

---

1 - ابن هشام _ السيرة النبوية _ ص 510 .
- د . محمود على مكى _ المدائح النبوي ص 50.
2 - زكى مبارك _المدائح النبوية في الأدب العربي - ص25.
3 - ابن هشام - السيرة النبوية - ج3 ص 423 .
4 - أحمد حسن الزيات - تاريخ الأدب العربي - ص153 -الطبعة الخامسة والعشرين - دار نهضة مصر -(بدون تارخ)
ابو عمر يوسف عبد الله ابن عبد البر - الاستيعاب في معرفه الأصحاب - ج1 ص 125 -حيدر آباد مطبعة دائرة المعارف النظامية - 1936 م

وبعد مدائح حسان ومراثيه تجيء الفقرات المنسوبة للإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه.

ومن كلام سيدنا على فى ذكر أصول الرسول صلى الله عليه وسلم قوله "مستقرة خير مستقر، ومنبته أشرف منبت فى معادن الكرامة، ومماهد السلامة، قد صرفت نحوه أفئدة الأبرار، وثنيت إليه أزمة الأبصار، دفن به الضغائن، وأطفأ به الثوائر، ألف به إخواناً، وفرق به أقراناً، وأعز به الذلة، وأذل به العزة، كلامه بيان وصمته لسان"[1].

وفى موضع آخر يمدح النبى صلى الله عليه وسلم بالزهد فيقول " قد حقر الدنيا وصغرها، وأهونها وهونها، وعلم أن الله زواها عنه اختياراً، وبسطها لغيره احتقاراً، فأعرض عنها بقبله، وأمات ذكرها عن نفسه، وأحب أن تغيب زينتها عن عينه "[2].

المدائح النبوية بعد عصر النبوة

يدخل المديح النبوى بعد حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ضمن مديح آل البيت، وقد ولد العطف على أهل البيت منذ اليوم الذى خذل فيه سيدنا على بن أبى طالب وكان يرى نفسه صاحب الحق فى الخلافة الإسلامية وبلغ هذا العطف أشده يوم قتل على وأتاح قتله الفرصة لقيام الدولة الأموية (40 132- هـ) [3] ولا شك أن جذور هذا العطف تأصلت فى أفئدة المسلمين بعد قتل الحسين بن على سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العاشر من محرم سنة إحدى وستين للهجرة فى كربلاء، وأصبحت مراثى الحسين تحتل مساحة كبيرة من الشعر، وكان من الطبيعى أن يتصل بهذا الموضوع الحديث عن فضائل آل بيت الرسول إلى جانب الاحتجاج لحق على رضى الله عنه ونسله من بعده

1 - أبو الحسن محمد بن الحسن المعروف بالشريف الرضي – نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب – شرح الشيخ محمد عبده – تقديم د. مصطفى لبيب عبد الغني – الجزء الأول – ص 187 – طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة 2004م.

2 - نفس المرجع – جـ1 – ص232.

3 -عبد المنصف مجدى بكر محمد بكر - المدائح النبوية فى الأدب التركى– ص 16 – رسالة دكتوراه – جامعة عين شمس 1985م

للخلافة، وقد اقتضى هذا الشعر إشارات عديدة إلى ملامح من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا سيما في صلاته بربيبه وابن عمه وبابنته فاطمة زوج على وبسبطيه منهما الحسن والحسين .[1]

مدائح الكميت بن زيد :

ولعل أول شعراء الشيعة الهاشمية الذين نجد لديهم عودة إلى المديح النبوى الكميت ابن زيد الأسدى الذى (عاش بين سنتى 60 و 125هـ) ومديحه لآل البيت تنظمه ست قصائد مطولة عرفت بالهاشميات وتتميز بصدق العاطفة وبراعة الاحتجاج لحق آل على في الخلافة [2].

وقد مدح الكميت آل البيت **فقال :**

إلى النفرِ البيض الذين بحبهم ... إلى الله فيما نالني أتقرب

بني هاشم رهط النبى فإنني ... بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب

خفضت لهم مني جناحي مودة ... إلى كنف عطفاه أهل ومرحب .[3]

الشريف الرضى :

وللشريف الرضى (ت 406 هـ) قصائد كثيرة في مدح آل البيت، وهى في جملتها من آثار التصوف، فيمدح النبى صلى الله علية وسلم وآل بيته **قائلاً :**

وما المدح إلا في النبى وآله ... يرام وبعض القول ما يتجنب

وأولى بمدحى من أعز بفخره ... ولا يشكر النعماء إلا المهذب

أرى الشعر فيهم باقيا وكأنما ... تحلق بالأشعار عنقاء مغرب.[4]

ولقد وجد الشريف الرضى فى مأساة الحسين رضى الله عنه منفرجا لهمومه وتعبيراً عن آلام الشيعة، ووجد فى رثائه متنفساً لأحزانه ووفاء لمن يرثيه .

---

1 -د . محمود على مكى _ المدائح النبوية – ص 61.

2 -د . محمود على مكى _ المدائح النبوية - ص 61.

3 -احمد الهاشمى - جواهر الأدب ص409 – دار السلفية - القاهرة– (بدون تاريخ طبع)

4 -زكي مبارك – المدائح النبوية في الأدب العربي – ص155.

فقال :

يا ابن بنت الرسول ضيعت العهد رجـــال والحـــافـــظـــون قـلـيـل
مـا أطـاعـوا الـنـبى فـيك وقـد ما لـت بـأرمـاحـهـم إلـيـك الـذحـول
يا جـواد أدمـى الجـواد من الطعن وولى ونـــحـــره مبلول[1].

ويلاحظ أن عصر ازدهار المدائح النبوية هو عصر الحروب الصليبية وغزو التتار للشرق الإسلامى ثم فترة انتهاء الحكم الإسلامى فى الأندلس، ومن أشهر شعراء المديح النبوى الإمام عمر بن الفارض المتوفى سنة 636 هـ ق وفى مدحه للرسول صلى الله عليه وسلم يقول :.

أرى كل مدح فى النبى مقصرا وإن بـالـغ المثـنـى عـلـيـه وأكـثـرا
إذا الله أثـنـى بـالـذى هـو أهله عليه فما مقدار ما تمدح الـورى [2]

ومدحه الشيخ الكبر **محيى الدين بن العربى** المتوفى سنه 638 هـ ق قائلا

يــا حـبـذا المـسـجـد مـن مسجد وحـبـذ الـروضـة مـن مشـهـد
وحـــبـــذا طـيـبـة مـــن بـلـدة فـيـهـا ضـريـح المـصـطـفى أحـمـد
صـــلـى عـلـيـه الله مـــن سـيـد لـــولاه لم نـفـلـح ولم نهتد.[3].

ويطول بنا الأمر لو عددنا شعراء المديح النبوى على طول القرن السابع وما بعده، غير أن هناك من هؤلاء الشعراء من يستحق منا وقفة خاصة، لعمق تأثيره على هذا الفن فى العصور التالية وهو:

الإمام شرف الدين البوصيري(608– 697) هجرية قمرية وللبوصيرى قصائد عديدة فى المديح النبوى، ومن أشهر ما نظم فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم همزيته التى يقول فى مطلعها.

---

1 -عبد المنصف مجدى بكر محمد بكر - المدائح النبوية في الأدب التركي -ص 18- رسالة دكتوراه – جامعة عين شمس 1985م

2 -يوسف بن إسماعيل النبهاني – المجموعة النبهانية في المدائح النبوية – الجزء الثاني – ص136 – مطبعة العارف بيروت – 1320 هـ ق .

3 -نفس المرجع – ص 24 .

كيف ترقى رقيك الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء[1]

وكذلك بردته الشهيرة التى يقول فيها:

أمِن تذكر جيران بذى سلم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم[2].

ومدح **شمس الدين محمد بن جابر الأندلسى** المتوفي سنة 780 هـ ق الرسول صلى الله عليه وسلم **قائلاً** :

إليك رسول الله جبنا الفلا وخدا ولولاك لم نهو العقيق ولا الرندا

ولولا اشتياقى أن أراك بمقلتي لما كنت أشتاق الغوير ولا نجدا

ولولا رجاء القلب من الحمى لما اخترت عن أهلي وعن وطني بعدا[3]

ثم توالت المدائح النبوية على ألسنة الشعراء على مر العصور وحتى وقتنا الحالي.

أما فى الشعر الفارسي: فلقد حرص شعراء الفارسية على بدء منظوماتهم بحمد الله سبحانه وتعالى، ثم نعت الرسول صلى الله عليه وسلم، والنعت النبوى عند الفرس هو فن أدبى عبر فيه الشعراء عن مشاعرهم تجاه النبى صلى الله عليه وسلم، وكان وسيلتهم لوصف الرسول ومدحه، ومجالاً أعم وأوسع للتعبير عن أفكارهم بصدد نبوته ومعراجه، ويتميز النعت باحتوائه على أوصاف النبى الواردة فى القرآن الكريم، كما تعرضوا إلى أفكار تتمثل فى فضل سيدنا محمد على كافة الأنبياء والحديث عن معجزاته ورسالته[4].

ولشاعرنا **قارى عبد الله** عملان مهمان فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم يعدان من أروع أشعاره، أولهما قصيدة فى وصف الرسول صلى الله عليه وسلم نظمها فى عام 1327 هـ ق الموافق 1911م وهى تعد أطول قصائده على الإطلاق، وهى من القصائد

1 - محمد عبد المنعم خفاجي - الأدب في التراث الصوفي - ص 244.

2 - زكي مبارك - المدائح النبوية في الأدب العربي - ص201.

3 -يوسف بن اسماعيل النبهاني- المجموعة النبهانية في المدائح النبوية- الجزء الثاني - ص41 .

4 - د. زكية عبد الحميد الشربيني - مدح حضرة الرسول الأكرم في ديوان صباحي بيد گلي - بحث منشور في مجلة كلية اللغات والترجمة - جامعة القاهرة - ص 4 - العدد الأربعون سنة 1427 هـ - 2006 م.

ذات المطلعين، وقد نعته - صلى الله عليه وسلم - من خلالها بأروع الصفات مستخدماً وصفه تعالىٰ له بصاحب الخلق العظم، كما تحدث عن الأوصاف الحسية للرسول صلى الله عليه وسلم فوصف جماله وطوله وشعره وغيرها من سمات جسده عليه الصلاة والسلام.

ولم يكن في وصف قارى للملامح الحسية المجسمة للرسول صلى الله عليه وسلم خروج على المألوف في المدائح النبويةّ، بل إن بيان صفات ووصف الملامح الشخصية الخلقية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لهو أحب الموضوعات إلى قلوب شعراء المديح النبوي، فقد درج شعراء المدائح النبوية منذ نشأتها على ذكر صفات الرسول صلى الله عليه وسلم وأوصافه.

وقد ورد في ديوان حسان بن ثابت أن الرسول صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة هو وأبو بكر، ومولى أبى بكر عامر بن فهير، ودليلهم الليث عبد الله بن الأريقط مروا على خيمتي أم معبد الخزاعية، فسألوها تمراً ولحماً ليشتروا منها فلم، يصيبوا عندها شيئاً من ذلك، وكانت سنة جدب وقحط، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة في كسر الخيمة فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم.

قال: هل لها من لبن؟ قالت: هي أجهد من ذلك.

قال: أتأذنين لي أن أحلبها ؟ قالت : نعم بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلباً فاحلبها.

فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومسح بيده ضرعها وسمى الله تعالى، ودعا إناء فحلب فيه حتى علاه البهاء[1].

ثم سقاها حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا، وشرب آخرهم، ثم حلب فيه ثانياً حتى امتلأ الإناء ثم غادره عندها، وارتحلوا عنها، فما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً عجافاً هزالاً، فلما رأى أبو معبد اللبن عجب، وقال: من أين لك هذا اللبن يا أم معبد، والشاة عازب ولا حلوب في البيت؟

قالت: لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك، من حاله كذا وكذا، قال: صفيه لي يا أم معبد.

---

1 -البهاء: بريق الرغوة.

قالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه، حسن الخلق، لم تعبه ثجله[1]، ولم تزر صعلة[2]، وسيماً قسيماً، في عينيه دعج وفي أشفاره وطف[3]، وفي عنقه سطع[4]، وفي صوته صحل[5]، وفي لحيته كثاثة، أزج، أقرن[6]، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سما وعلاه البهاء، فهو أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحسنهم وأملحهم من قريب، حلو المنطق فصل، لا نزر ولا هزر، كأن منطقة خرزات نظم يتحدرن، لا بائن من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظراً وأحسنهم قدراً، له رفقاء يحفون به، إن قال أنصتوا لقوله وإن أمر تبادروا إلى أمره[7].

وقد صارت هذه القصة أساس لأكثر ما جاء في المدائح النبوية من الأوصاف الحسية للرسول صلى الله عليه وسلم يضاف إلى ذلك أن أصحاب رسول الله قد درجوا على وصف ملامحه الجسدية، ولذلك مواطن في كتب الحديث، كما أن حسان بن ثابت نفسه قد وصفه بالحسن والجمال **فقال:**

وأحسن منك لم تر قط عيني ... وأجمل منك لم تلد النساء[8].

ويروى عن على بن أبى طالب – كرم الله وجهه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كانت له هيبة، لدرجة أن كل من كان يراه من بعيد كان يخشاه، وحينما يقترب منه يطمئن ويسر، ويتألق وجهه بالبشر، ويشرق بالضياء، كان لقامته بعدان بحيث إذا سار معه شخص طويل القامة، فإنه يبدو أقل منه طولاً، وكان مستدير الرأس أجعد الشعر يصل شعره إلى شحمة أذنيه، وحينما يسدله يصل إلى كتفيه، وكان واسع الجبهة واسع بين الحاجبين، وبين حاجبيه شريان كان يظهر حينما كان يغضب، كان دقيق الأنف، رقيق الشفتين، أفلج الأسنان، مستدير الوجه حلو الكلام، عذب الصوت، أسود

1 -الثجلة: عظم البطن واسترخاؤه.

2 -الصعلة: صغر الرأس.

3 -الوطف: طول أشفار العين.

4 -السطع: الطول.

5 -الصحل: رقة الصوت.

6 -الزجج: دقة شعر الحاجبين، والقرن: وصل ما بينهما.

7 - زكي مبارك – المدائح النبوية في الأدب العربي - ص39، 41.

8 - زكي مبارك – المدائح النبوية في الأدب العربي - ص 43، 44.

الشعر، أبيض العارض جميل الرقبة، معتدل القوام، مستقيم الظهر و البطن، فسيح الصدر عريضه، كان طويل الزند، عريض الكتفين، دقيق الأنامل، كانت أصابعه طويلة منفرج ما بينها(1).

وإذا انظرنا إلى هذه الأوصاف سنجد أن الكثير منها قد تجسد فى قصيدة قارى .

وقد تحدث الإمام أبى حامد الغزالى عن أوصافه صلى الله عليه وسلم فقال :

" كان من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن بالطول البائن ولا بالقصر المتردى بل كان ينسب إلى الربعة ".(2)

وعن قوامه صلى الله عليه وسلم يقول قارى :

- وضع بستانى القلم قوامك الممشوق، فى حديقة الورود.
- حقاً فإن قدك ممشوق جذاب كالقلم، والخصر نحيل مثل اللام فى وسط القلم.
- عندما علا الكلام من قدك،كتب السرو: نعم إن قدك هو سرو بستان القلم.
- النظر إلى قوامك الطويل يبدو قصيرا، فأين أغصانك الطويلة وأين شأن القلم.
- أقول إنه لا شيء يضاهى هامتك العالية، وما كنت أخفيه عنه قد بينه القلم.
- عندما يصف القلم سرو قامتك العالية، تصير حديقة كلامك سماء القلم.
- كتب القلم صك الرق لقوامك الرشيق، فما أصدقه من عمل! وليحيا شأن القلم.
- هيهات أن يوجد ما أنسبه لقامتك الجذابة، فإن سرو قوامك لا مثيل له فى سلالة القلم.(3)

وعن وصف شعره صلى الله عليه وسلم قال الإمام الغزالى "وأما شعره فقد كان رجل الشعر حسنه ليس بالسبط ولا الجعد القطط، وكان إذا مشطه بالمشط يأتى كأنه حبك الرمل، وقيل كان شعره يضرب منكبيه، وأكثر الروايات أنه كان إلى شحمة أذنيه، وربما جعله غدائر أربعاً تخرج كل أذن من بين غديرتين، وربما جعل شعره على أذنيه فتبدو سوالفه تتلألأ .(4)

---

1 - منهاج الدين عثمان بن سراج الدين – طبقات ناصري– ترجمته عن الفارسية وقدمت له – د. عفاف السيد زيدان – الجزء الأول – ص 153 - الطبعة الأولى - القاهرة 2013 م .

2 -الإمام أبي حامد محمد الغزالي– إحياء علوم الدين – الجزء الثاني – ص 348 – دار نهر النيل للطبع – القاهرة– (بدون تاريخ طبع)

3 -كليات قاري ص258.

4 -الإمام أبي حامد محمد الغزالي– إحياء علوم الدين – الجزء الثاني – ص 349.

ويصف قارى شعره صلى الله عليه وسلم قائلا :

- ومن عشق خصلات شعره السوداء المجعدة، صارت سلالة القلم كأنها الغبار الأسود.
- فقل لطرته المجعد أن لا تجعل القلم معوجاً، لأننى لن أدرج شكواه فى دفتر حكايات القلم.
- ولكم يصير القلم دقيقاً عند وصف شعرك الذى بلغ الخصر، فدون أن ينبس بحرف نبت الشعر من لسان القلم.
- ودون أن يشترى منا أمتعة الحقيقة، أغلق القلم دكانه على أطراف جدائلك المجعدة.
- يطول الحديث عن جدائلك الطوال، ويتناسب ذلك الآن مع شأن القلم.
- فعندما يمر طيف طرتك المجعدة فى الخيال، لا يأتى كلام آخر عن خطك على لسان القلم.[1]

ويسترسل الغزالى فى وصفه فيقول إنه صلى الله عليه كان أحسن الناس وجهاً وأنورهم لم يصفه واصف إلا شبهه بالقمر ليلة البدر، وكان واسع الجبهة، وكان يرى رضاه وغضبه في وجهه لصفاء بشرته، وهو كما وصفه صاحبه أبو بكر الصديق رضى الله عنه حيث قال :

أمين مصطفى للخير يدعو كضوء البدر زايله الظلام.[2]

ويقول قارى فى وصف حسنه صلى الله عليه وسلم :

- وصارت منابت الشعر الأسود لعارضك نموذجاً لاشتياقي، فأنا أسود الخطوط بقلمى وأبكي مثل القلم.
- وعندما أراد كاتب الحسن أن يبدع خط عارضك الجميل، جعل نقطة فمك هى اختبار نجاح القلم.
- صارت إرادة حسن العارض هى قدري، وأصبحت مريداً لعارضك مثل القلم.
- ودائماً تتعلق العين بعارضك، وقد كتبت مرة أخرى بلسان القلم.
- والآن أصبح قلم يد حسنك يسطر جمال عارضك الأخضر، فماذا يحدث لو تذكرتنى من لسان القلم؟[3]

---

1 -كليات قاري ص258.

2 -الإمام أبي حامد محمد الغزالي- إحياء علوم الدين - الجزء الثاني - ص 349.

3 -كليات قاري ص258.

وإنه كان صلى الله عليه وسلم أزج الحاجبين سابغ ما بينهما، كأن ما بينهما الفضة الخالصة وكان مستوى الأنف .[1]

يقول قارى :

- يتراءى أنفك وحاجبك للعين مثل نون والقلم[2]، وقد كتبت هذا الحديث الجميل على لسان القلم.
- ولذلك فإن جمالك هو رب السيف والقلم، وحاجبك مثل السيف وخطك علامة القلم.[3]

ويذكر الإمام الغزالى أن عينيه صلى الله عليه وسلم كانت نجلاوين أدعجهما وفيهما تمزج من حمرة[4] .

يقول قاري :

- ومرة أخرى يكتب حديث عينيك الثملة، فقد أصبحنا فى غاية السكر من بيان القلم.[5]

وانه صلى الله عليه وسلم كان أهدب الأشفار حتى تكاد تلتبس من كثرتها .[6]

وفى ذلك يقول قارى :

- كتب الدلال والتبختر من لسان أهدابك، حينما ترجم غمزاتها ترجمان القلم.[7]

1 -الإمام أبي حامد محمد الغزالي- إحياء علوم الدين – الجزء الثاني – ص 349.

2 - المراد بقول نون والقلم: نون (ن) حوت عظيم على تيار الماء العظيم المحيط وهو حامل الأرضين السبع، وقيل (ن) هي الدواة. وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أول ما خلق الله القلم قال: اكتب قال وما اكتب قال: اكتب القدر، فجرى بما يكون من ذلك اليوم إلى يوم قيام الساعة، ثم خلق النون ورفع بخار الماء ففتقت منه السماء، وبسطت الأرض على ظهر النون فاضطرب النون فمادت الأرض، فأثبتت بالجبال فإنها لتفخر على الأرض. - أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي – تفسير القرآن العظيم – الجزء الثامن ص 184 – طبعة سنة 1422 هـ - 2002م.

3 -كليات قاري ص258.

4 -الإمام أبي حامد محمد الغزالي- إحياء علوم الدين – الجزء الثاني – ص 349.

5 -كليات قاري ص258.

6 -الإمام أبي حامد محمد الغزالي- إحياء علوم الدين – الجزء الثاني – ص 349.

7 -كليات قاري ص258.

وكان صلى الله علية وسلم من أحسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم .[1] وفى وصف شفتى الرسول – صلى الله عليه وسلم – يقول قارى :

- وبالحديث من ياقوت شفتيك تصير الكتابة حلوة مستطابة، وكالعسل الممزوج بالسكر صار شأن القلم.

- لقد سمعنا أن ياقوتيتك أصبحتا جميلتين، ولقد جاء هذا الخبر من طرف قافلة القلم[2]

وكان مفلج الأسنان، وكان إذا افتر ضاحكاً افتر عن مثل سنا البرق إذا تلألأ". [3]

ويصف قارى أسنانه - صلى الله عليه وسلم - التى تشبه الدر والجوهر قائلاً :

- وفى وصف دُر أسنانك يكون الكلام عذباً، وبدلاً من الحروف تنساب الجواهر من فم القلم.[4]

ولقد درج شعراء المدائح النبوية على نظم أشعار تترجم حزنهم الشديد لفراق النبى صلى الله عليه وسلم بعد موته، ومن ذلك ما أنشده شيخ الإسلام الحافظ بن حجر العسقلانى المتوفى سنة 852 هـ ق قائلا :

يا سعد لو كنت امرأ مسعودا ما كان صبرى فى النوى مفقودا
وسهرت أرتقب النجوم كأنني فى الأفق أطلب للحبيب عهودا
وأعد أيام الجفاء معددا حتى مللت الحزن والتعديدا.[5]

وعن فراق النبى – صلى الله عليه وسلم – **يقول قاري:**

- من شدة ألم فراقك بكى وأظهر ألمه، ومثل بركان من الدماء سالت المياه السوداء من عين القلم.

---

1 -)الإمام أبي حامد محمد الغزالى- إحياء علوم الدين – الجزء الثاني – ص 349

2 -كليات قاري ص258.

3 -الإمام أبي حامد محمد الغزالى- إحياء علوم الدين – الجزء الثاني – ص 349

4 -كليات قاري 257 .

5 -يوسف بن إسماعيل النبهاني- المجموعة النبهانية في المدائح النبوية- الجزء الثاني - ص56 .

- لكنه ابتلى بألم فراقكَ، حتى صارت سوداء عظام القلم.
- ولبعده عن عشقك أصبح مثلى لا حيلة له، نعم فقد وصل السكين إلى عظام القلم.
- وفى شكوى ألم فراقك أصبحنا نصفر سوياً، وارتفع أيضاً صوت أنين القلم من مزارع الناى
- ولقد منحنى الفلك الاختيار بسبب جفائك، مثلما يكون عنان القلم بيد الكاتب. [1]

كما تحدث قارى فيها أيضاً عن المكانة الجليلة للرسول - صلى الله عليه وسلم - وعن أفضاله على البشرية وما منحهم من الحرية والأمان والرحمة وغفران للذنوب، وتحدث أيضاً عن رسالته التى جاءت للناس عامة، وعن معجزه انشقاق القمر، كما مدح الخلفاء الأربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً رضى الله عنهم، وتحدث عن آل بيته وصحابته الكرام وما قاموا به من جهاد لنشر دعوة الإسلام واختتم القصيدة بقدح الكفار والإشارة إلى سوء أعماله.

يقول قاري

- فى وصف سيد العالم مجتبى الكونين، الذى جاء اسمه عنوان لبيان القلم.
- أمام الرسل فخر الأنبياء الكرام، الذى جاء اسمه الطيب حافظاً لروح القلم.
- إنه محمد العربى سيد الزمان والمكان، الذى جاءت ذاته أول الخلق مثل القلم[2].
- الذى كان وجوده سبباً لخلق الكون والبشر، مثلما يكون الخط من علامات القلم.
- لقد أثنى الله على خلقه العظيم[3]، فعجز عن مدحه القلم.
- لقد صار اسمه الطيب عنواناً للرسالة، فى كل ما سطر من كتابة ومطالعة القلم.

---

1 -كليات قاري – ص 257.

2 - إشارة إلى الحديث الشريف "كنت نبياً وآدم بين الماء والطين".

قال الألباني أخرجه أحمد بن حنبل في المسند 28/4 والبخاري في التاريخ وصححه الألباني.

وفي السند قال حدثنا عبد الرحمن بن مصرى، قال حدثنا منصور بن سعد عن شقيق عن ميسرة الفجر، قال "قالت يا رسول الله متى كتبت نبياً؟ قال وآدم بين الروح والجسد". أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة وأحمد والبخاري في التاريخ وصححه الحاكم.

- الموفق الخوارزمي – المناقب – تحقيق الشيخ مالك المحمودي – الجزء 1 ص 214 – طبع 1414 هـ.

3 - إشارة إلى قوله تعالى " وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ"

قرآن كريم – سورة القلم آية "4".

- لقد تلاقى جبين القلم بصفحة نعتك، وجدير بنا أن نسجد على أعتاب القلم.
- لقد انفرجت أنامله بمعجزة شق القمر[1]، فما الحاجة لأن يأخذ بكفه بنان القلم؟[2].
- إن من يتبعه سيكون وجيهاً خالداً، ولو كان كتابه أسود مثل حبر القلم.
- إنه الآن يقر فى حضرتك، أن غاية سعادته تكون فى وصفك بقراءة مدائح القلم.
- لقد منحت الحرية لأمتك لأن فى قبضة حكمتك زمام القلم.
- كلما سعى فى طريق وصفك، لم يوفك حقك مهما أسرع جواد القلم.
- لا يضرب الشقاء أمتك من سوء العمل[3]، فلن تغتم من السواد أسرة القلم.
- لقد جلب إلى حضرتك أمتعة الرجاء، فتقبل أيها الملك هدية القلم.
- ومن السير فى بستان مدحك يرتفع شأن القلم، فقد كان مدحك روضة جنان القلم
- ماذا أقول فى مدحك فقد ضاقت القافية، ولو استحضرت جميع لغات عالم القلم.
- صار للقلم فى مدحك لسانان، لكن لا يمكن التعبير عن مدحك بأى من ألسنة القلم.
- يكتب القلم وصفاً واحداً من آلاف المدائح، نعم فإن وصفك أعظم من مقدرة القلم.
- لقد أخضعت العالم تحت خاتم طاعتك، كما يأتى الخط خاضعاً لحكم القلم.
- إن قلماً واحداً جعل وجوه كفار العالم مسودة، كما تسود الصفحة من علامة القلم.
- أين خلفاؤك الأربعة حتى يقطعوا رؤوس الكفار، ذوى الوجوه السوداء كما تُقطع رأس القلم ؟
- ملك الصدق أمام الدين هو الصديق، الذى رفعت بركة مدحه من شأن القلم.
- أنَّى يمكن للقلم أن يظهر عظمه مناقبه، فإن مقامه أجل كثيراً من بيان القلم.
- أمير العالم المشهور هو الفاروق، الذى أطاعه العالم مثل القلم.

1 - إشارة إلى معجزة انشقاق القمر لرغبة النبي صلي الله عليه وسلم لما طلب كفار قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم آية وهم متعنتون، حتى يؤمنوا أراهم انشقاق القمر، ومع كل هذا قالوا سحرنا وقد ذكر القرآن الكريم معجزة انشقاق القمر حيث قال تعالى: "اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ (1) وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ (2) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (4) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (5) - قرآن كريم سورة القمر آية 1، 2، 3، 4، 5.
2 - إشارة إلى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان أمياً.
كليات قاري – ص259 .
3 - كناية عن أن باب التوبة مفتوح.

- عندما يكون الحديث عن عدله يرتجف، من هو سيئ العمل من أسرة القلم.
- ملك الأقاليم صاحب الحلم والحياء الخليفة الثالث، الذى جدد فيض ولائه روح القلم.
- حاذ القلم بفضله بركة جمع القرآن، فكيف يتسنى شكر هذه النعمة للقلم.
- الخليفة الرابع الذى أخذ باب خيبر[1]، لقد أصبح عنوان حبه خط أمان للقلم.
- كان حبه وحب آل بيته منهاجاً وطوقاً للنجاة، فقد كتبت خط الحرية هذا من لسان القلم[2].
- إن الصحابة كلهم نجوم للهداية والإرشاد، نهجوا جميعاً منهجاً للدين مثل القلم.
- سواء كان أبو عبيدة وخالد أو طلحة والزبير، فقد جاهدوا جميعاً لنشر الدين كجهاد

---

1 - إشارة إلى فتح خيبر فقد روى عن سلمه بن عمرو بن الأكوع، قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر رضي الله عنه إلى بعض حصون خيبر فقاتل ثم رجع ولم يكن قد فتح، ثم بعث عمر رضي الله عنه فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه وليس بفرار، فدعا رسول الله – صلى الله عليه وسلم - علي بن أبي طالب – رضي الله عنه - وهو يومئذ أرمد، فتفل في عينيه ثم قال: خذ الراية وامض بها حتى يفتح الله عليك، فخرج بها يصول ونحن خلفه نتبع أثره، حتى ركز رايته في رضم من حجارة تحت الحصن فاطلع يهودي من رأس الحصن فقال من أنت؟ قال أنا علي بن أبي طالب، فقال اليهودي غلبتهم وما أنزل على موسى، فما رجع حتى فتح الله على يديه. ويذكر أنه عندما دنا على من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم فضربه رجل منهم فطرح ترسه من يده فتناول علي رضي الله عنه باب الحصن فترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده.
- عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي – البداية والنهاية – المجلد الثاني – ص 620، 624 – الطبعة الأولى – القاهرة – 1411 هـ - 1991م. -

2 - وعن مكانة أهل البيت يقول المولى عز وجل "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا" قرآن الكريم – سورة الأحزاب آية 33.

وحمل لنا رواة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ما يوضح حثه صلى الله عليه وسلم على وجوب إكرام أهل بيته، فعن يزيد بن حبان عن زيداً بن أرقم - رضي الله عنه - قال "قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: أما بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، فقلنا له ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حُرِم الصدقة بعده، قال ومن هم؟ قال هم آل علي، وآل عقيل وآل جعفر، وآل عباس، قال كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال "نعم" رواه مسلم.
- الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي – رياض الصالحين – ص 163، 164 – "بدون تاريخ طبع".

القلم.

- استضاءت صفحات الدين من طريقتهم، كما تتضح سطور الكتابة من أثر القلم.
- كانوا جميعاً قادة وأمراء لبلاد الإسلام، وكانوا يحكمون بمنهج الدين وهم حكماء القلم.
- لا نعلم أين صار هؤلاء الأمراء العظام، كانوا جميعاً ملوك السيف وأرباب القلم.
- الذين طهروا صفحة العالم من علامات الكفر، كما أبطلوا أعمال أخساء القلم.
- قل إنهم حاربوا لحماية الدين، وكانوا يقطعون دابر لصوص القلم.
- لقد حفروا فى لوح الدهر أسماءً خالدة، ولم تكن أسماؤهم تلحق الضرر بالقلم.
- إنهم كانوا يمحون مسلك الكفار من على وجه الأرض، من لا تستقيم أقلامهم على الصواب وهم خونة القلم.
- فبأى وجه يصير فى أيديهم الحكم والسلطنة، فلا يليق بأيديهم الدنسة شأن ومكانة القلم؟
- لا يذكرون أسماء صحابتك مرة، كما أنهم ليسوا أهلاً للسيف والقلم.
- يحيكون المؤامرات للإيقاع بأمتك، وهم فى ذلك متحدون كاستقامة القلم.
- لماذا يقضون أعمارهم فى جهل مركب، ولا يليق الجهل المركب بشأن القلم.
- إنهم لا يستمعون إلى نصائح القلم الطيبة، ولا يقارن بالدر المنثور كلام القلم.

أما العمل الثانى الذى نظمه قارى فى مدح الرسول" صلى الله عليه وسلم": فهو ترجيع بند، وقد نظمه عام 1350 هجرية قمرية الموافق 1930 ميلادية بمناسبة اقتراب المولد النبوى الشريف، وهو فى نعت سيد العالم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وهذا الترجيع يحتوى على سبعة بنود أو أقسام.

وفيه يمدح الشاعر الرسول صلى الله عليه وسلم، ويتحدث عن مكانته وفضله بين الرسل الكرام، وعن مولده الشريف وعن عظمة سيد الأنبياء وجلاله، وعن معجزاته متناولاً معجزة القرآن الذى حفظه الله من التحريف إلى يوم القيامة، كما تحدث عن معجزة انشقاق القمر، وعن الإسراء والمعراج، وأشار فى نظمه أيضاً إلى المؤاخاة بين المهاجرين

والأنصار، كما مدح الخلفاء الأربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً رضى الله عنهم أجمعين.

يقول قاري:

- يا خاتم الرسل يا شفيع يوم الحشر، صار العالم من فيض بهائك ضياء.
- أنت ضيف عزيز على الخوان، وجميع المخلوقات طفيلية بالنسبة لك.
- يا من اصطفيت فى اليتم، ولاسمك ينسب جميع الآباء.
- من اسمك المبارك العالي، أخذ تاريخ العالم الزينة والبهاء.
- إن لقبك الأمي، ولكنك أصبحت بنور العلم هادياً للعالم.
- عندما بزغ شعاع دينك، بسطت شريعتك الضياء على العالم.
- وكالشمس المضيئة محت رسالتك، ظلام الجهالة من الآفاق.
- لقد جاء دينك كالشمس، والأديان الأخرى كالنجوم.
- وأمام ضياء الشمس، يخفت ضياء بقية النجوم.
- صار يوم مولدك خالداً مشهوداً، وأصبح الدهر وسادة لمهدك.
- أصبح العالم مضيئاً بقدومك، وصار ميلادك عيدا للمؤمنين.
- يا فارس مملكة الأرض، إن قدرك أعلى من الأفلاك.
- فى غرتك بهاء وجمال، ولولاك ما كان للتاج الثمين قيمة.
- يا من صار جبريل الأمين، سفيراً من الله تعالى إليك[1].
- وأمام جلال وعظمة جاهك، تتضاءل قيمة العالمين.
- وبسبب جوهرك وأصلك الآدمي، قد تفخر كتلة التراب على أفلاك السماء.
- فقد محوت عن صفحة الدهر الطاهر، الجهل والسفه والضلال والشرك.
- ومن الشوق إلى روضتك الشريفة، صار قلبى ممزقاً كالشباك.
- عندما يبقى ثناؤك فى الدنيا، يكون طبع العاقل مضطرب الحال معقود اللسان.
- وفى النهاية يقول بلسان الاعتذار، عجزت عن فهم عين الإدراك.
- يا مظهر الرحمة الإلهية، يا ملاذ العصاة المهمومين.
- أصبح العالم مضيئا بقدومك، وصار ميلادك عيدا للمؤمنين.
- يا من عتباتك ملاذ للآمال، أتباعك بيض الوجوه خالدين.
- لقد اختفت عبادة الأصنام من الدهر، فى عهدك السعيد.

---

1 - إشارة إلى قوله تعالى "وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ" سورة النجم آية (3، 4).

- عندما أضاء كوكبك المنير، ضلال الآفاق فى الليالى المظلمة.
- غمر الضياء القلوب السوداء، مثلما يضاء الصباح من نور الشمس.
- لقد أيدك الله فى دعوة الحق، لدين الإسلام الحنيف.
- ومن يمن وجودك المقدس، انتهى زمان الشرك وزال.
- إن دينك إسعاد لتابعيك، وإرشاد واضح على طريق التوحيد.
- ومن يتبع دينك الطاهر يكون سعيداً، موفقاً وفكره مستنير.
- من كثرة ما جاء تاريخك مضيئاً، غشى العالم مثل نور الشمس.
- يا من لدينك رواج فى الآفاق، ولشريعتك طابع خالد.
- أصبح العالم مضيئا بقدومك، وصار ميلادك عيدا للمؤمنين.
- يا نخبة نسل آدم، أنت خاتم حلقة الأنبياء.
- إن أحكام شريعتك غراء، وقانون رسالتك محكم.
- يا من أشرت ببنانك إلى السماء، فانشق القمر نصفين فى إعجاز.
- حتى صار نجمك فاتحا للعالم، وأظهرت فساد دولة الكفر.
- ومن شفاعتك ستجد، جراح وآلام العصيان الدواء والبلسم.
- قرآنك هو المعجزة الباقية، إلى يوم القيامة.
- لن يستطيع أحد تحريفه، فهو كتاب محكم حصين[1].
- يا سيد الأنبياء والمرسلين، يا سيد ولد آدم عليه السلام.
- يا من كان موكب ظهورك، هو الطليعة لعيسى ابن مريم.
- أصبح العالم مضيئاً بقدومك، وصار ميلادك عيدا للمؤمنين.
- أيها المرشد يا زعيم الأمة، إن بابك ملاذ للأمة.
- رسالتك هداية للخلق، وسنتك دليل للأمة.
- فى نبع شفتيك ترياق، استمدوا منه شفاء الأمة.
- وسوى شريعتك الهادية، لم يكن شيئاً يداوى الأمة.
- ومن إتباعك ارتفعت، على وجه الأرض ألوية الأمة.

1 - إشارة إلى قوله تعالى "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"
قرآن كريم – سورة الحجر – أية "9".
كليات قاري ص 288

- وبفضل بعثتك، فاضت خيرات الأمة.
- إن الآمال المعقودة على شفاعتك زائدة، لسهو الأمة وآثامها.
- لم لو تقم بإنصاف المظلوم، لن يهدأ صوت الأمة.
- لقد قدم قرآنك، كل دروس الإرشاد من أجل الأمة.
- يا من مكانة عزتك وجلالك أعلى وأعظم، من مدح وثناء الأمة.
- أصبح العالم مضيئاً بقدومك، وصار ميلادك عيدا للمؤمنين.
- يا سيد الأنبياء أيها المرسل، وسط زمرة الأنبياء أنت الأفضل.
- مع أن بعثتك كانت الأخيرة، ففي مراتب الأنبياء أنت الأول.
- ومن أجل تدارك النواقص، جعل الله دينك هو الأكمل.
- وأصبحت جميع المكارم، في عهد بعثتك أتم وأكمل[1].
- وإلى جوار شريعتك تبدو، قوانين الأمم مختلة.
- أن طوق النجاة لأمتك، هو قرآن الله المنزل.
- لقد أعطى ليدك من الهداية، في ظلمة ليل الظلام مشعل.
- وقد صبغ دينك كحل التوحيد، على عين الأحول والشرك أحول.
- إن صفاتك من كثرتها، لا تدخل في زمرة المجمل والمفصل.
- يا من وقف الملوك المتوجين، على بابك حراس مكللين.
- أصبح العالم مضيئاً بقدومك، وصار ميلادك عيدا للمؤمنين.[2]
- يا من تصدرت المجلس قاب قوسين[3]، وازدان بك ديوان الرسالة.
- لقد جئت إلى عالم الوجود، وكان أقل ألقابك سيد الكونين.
- على درب إتباع هديك، سفر قصير بين العلم والعين.
- تعاليمك وفقت بين أصحابك، ونزعت من بينهم النفاق القبيح[4].
- وبفضل صحبتك حاز، الصديق لقب ثاني اثنين[5].

---

1 - إشارة إلى الحديث الشريف، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" رواه البخاري في الأدب المفرد رقم (273)، وابن سعد في الطبقات (192/1) وأخرجه مالك 904/ 2 رقم 1609.

2 -كليات قاري ص289

3 -إشارة إلى قوله تعالى :"ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى " قرآن كريم سورة النجم – آية 8، 9.

4 -إشارة إلى مؤاخاة الرسول صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة إلى المدينة.

5 -إشارة إلى الآية الكريمة التي أنزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال تعالى: " ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا " قرآن كريم سورة التوبة آية "40".

- ما أحسن عدله على مسند الخلافة، الفاروق الذى زينها بالعدالة [1].
- ومن حسن الطالع ظهر للرفيق الثالث، من برج الشرف بذى النورين[2].
- وعن القدر العظيم لابن عمك، ضاق كثيراً فضاء الكونين[3].
- فى حضرتك تكون الصلوات، فى ذمة الأم ديناً[4].
- ومع طواف الحرم يكون طواف حيك، فو الله إنه لاقتران سعدين.
- يا من مقامك أعلى من الأفلاك، معراجك أعظم من حادثة النعلين[5].
- أصبح العالم مضيئاً بقدومك، وصار ميلادك عيدا للمؤمنين.

---

1 -إشارة إلى الصحابي الجليل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

2 -إشارة إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه.

3 -إشارة إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

4 - وفي وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يقول المولى عز وجل :"إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ".

قرآن كريم سورة الأحزاب – آية 56.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:"من صلى علي صلاة، صلى الله عليه بها عشراً" رواه مسلم.

- رياض الصالحين ص 481 – باب فضل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم رقم 1/ 1397.

5 - إشارة إلى قوله تعالى:" لَمَّا أَتاها نودِيَ يا موسى * إِنِّي أَنا رَبُّكَ فَاخلَع نَعلَيكَ إِنَّكَ بِالوادِ المُقَدَّسِ طُوًى " سورة طه آية 11، 12.

كليات قاري - ص 289 .

الباب الرابع

تابع موضوعات شعر قاري

الفصل الأول

الرثاء و الشكوى فى شعر قارى

أولاً الرثاء فى شعر قارى :

والرثاء هو بكاء على الميت وإظهار الحزن والألم لفراقه والإشادة بمناقبه الحميدة، وشمائله الجميلة، ومن عادة الشعراء الأفغان أن يبكوا فى الميت الفقيد أهم صفاته الحميدة ودون مبالغة أو مغالاة، وهى الشجاعة والكرم والوفاء[1].

وقد برع قارى فى شعر الرثاء، نتيجة للحزن الذى خيم عليه طول حياته بعد رحيل والده وأخواته وابنته، ونلمح فى رثائه الصدق والإخلاص، ففى رثائه نلمس تدفق المشاعر والأحاسيس تحت تأثير صدمة الموت والإحساس بالفقد، كما أنه شعر وجدّ لتأمل الحياة والموت معاً، والعاطفة الصادقة هى أهم ما يميز رثاء قاري، ولعل عنصر الصدق يتجلى واضحاً فى المراثي، لأن الميت لن يجزل عطاء أو يمنح نوالاً.

وقد سئل أعرابى لماذا تعدون الرثاء أصدق أشعاركم قال :"لأننا نقوله وقلوبنا تحترق"[2].

وأغلب المراثى فى شعر قارى هى رثائيات خالصة غير ممزوجة بأغراض أخرى، وهى التى تكون فيها الصلة بين قارى وبين المرثى أقوى ويكون المرثى أقرب وألصق بنفسه، لذلك تكون العاطفة فيها عاطفة حزن قوية مطبقة تجعله محصوراً فى مصابه وحزنه وتتبع خصال مرثيه، وينعكس ذلك على لغة شعره، فالأحبة يموتون وتموت الطبيعة من حوله أيضاً، فنرى أسطورة الموت وآثاره المدمرة على كل ما حوله.

1 - محمد أمان الصافي – أفغانستان والأدب العربي عبر العصور – ص575، 576.

2 - الجاحظ عثمان بن بحر – البيان والتبيين – الجزء الثاني – ص 320 – الطبعة الرابعة القاهرة – 1395 هـ قمرية.

ولا تسير عاطفة الحزن فى رثاء قارى على وتيرة واحدة وإنما تختلف باختلاف نفسيته، ومدى صلته بالمرثى ومدى تحمله لصدمة الموت آنذاك، وقد يميل قارى فى نهاية مرثيته وبعد تفريغ شحنة الحزن والألم بالبكاء إلى الهدوء والاستسلام للمصائب، فيجد أن الموت سنة سارية على جميع البشر وحلقة دائرة تلتهم الجميع.

وقد نراه فى بعض مراثيه يرمز إلى استمرار الحياة وبقائها رغم فناء الأشخاص، وذلك يكون بذكر المرأة أو ذكر الطفل، وذكر المرأة دائماً ما يعنى عنصر الحياة المتجددة ورمز الخصوبة والأمومة، وقد يكون ذكر الطفل أيضاً كناية عن المستقبل، وغالباً ما يختم قارى رثاءه بالدعاء للميت والترحم عليه.

ومن الملاحظ أيضاً فى رثاء قارى أنه متأثر بالطبيعة كثير التشبيه بما فيها، فهو يجعل الماء الجارى ينوح، والأشجار أشجار مأتم، والشقائق الحمراء تقطر دماً، والبنفسج يرتدى ثوب الحداد، والفلك يدمي، والدنيا دار مأتم وعزاء، فتنعكس مظاهر الحزن والأسى على الطبيعة من حوله وتتجسد فى مكوناتها.

وقد تنوعت مرثيات قارى ولم تقتصر على فئة بعينها، فنراه يرثى معظم طبقات المجتمع، فيرثى حكام وأمراء عصره وأفراد أسرته وأقرباءه وأصدقاءه ومعاصريه وغيرهم من أفراد مجتمعه، وقد رأينا أن نكتفى بذكر نماذج من رثائه لأفراد أسرته وأصدقائه ومعاصريه من عامة الشعب أما رثاء حكام عصره فقد سبق إيراد البعض منه فى الحياة السياسية عند ذكر هؤلاء الملوك.

ومن نماذج رثاء قارى لأفراد أسرته ما ذكر فى رثاء غلام بهاء الدين وجلال الدين أبناء إخوته الذين توفوا فى شهر رمضان سنة 1357 هـ.ق الموافق 1937 ميلادى بمرض السل فى الثالث عشر والرابع عشر من الشهر المذكور.

يقول قاري:

- ليس فى الآفاق أثرا للطرب، كانت قبراً هذه الدار ذات البابين.
- كل شجر نبت فى هذا البستان، يبدو لى وكأنه نخيل مأتم وعزاء.
- ينوح الماء الجارى فى الخميلة، وليس للأمواج صوت أو خَرير.

- وصل التابوت محمولاً على أكتاف الأحباب، فتقاطر الدمع من الأعين لهذا السبب.
- فما أكثر أشجار الصفصاف التى احترقت فى ذاتها، وفى كل لحظة تضرب بيدها على رأسها
- لم يرحل الورد وحده عن الخميلة، بل لحقه السرو أيضاً.
- إذا لم يكن غايته الذهاب من الحديقة، فلماذا يقف شجر العرعر ثابتاً.
- وإذا لم يكن الدهر مأتم وعزاء، فلماذا شق السحر ثوبه.
- بدا الفلك دامياً من الشفق، ومن الحزن والألم جرح القمر وجهه[1].
- وما الحياة إلا لحظة نزع الروح، فآه من غفلة بنى البشر.
- ينوح على عمره القصير، وتجعله الآهات المحرقة يحدث شرراً.
- إذا عدت احتفالات الدنيا وحسبت، فلن تجدها إلا مأتما بالنسبة لأهل العلم والنظر.
- إن العالم فى طوفان من الحوادث، فكيف ينقذ الشخص روحه من أمواج الخطر.
- انظر إلى القلب المتعب الذى يقطر دماً، وانظر إلى الفؤاد الممزق الذى ينفطر.
- لقد مزق الخنجز القلب، فإلى متى نظهر الجلد والصمود؟!
- إلى متى نظل هدفاً لسهام الدهر، فلم يبق من فلذات الأكباد فلذة أخرى.
- فلقد غرقت فى طوفان الدموع، وفاض نهر دجلة من فيض دموعى التى انهمرت من عينىَ.
- وإلى متى سيظل القلب مثل التنور من النار، فقد تصاعد اللهب من القلب والدخان من الرأس؟!
- إلى أى حد تُسمع أصوات نواح المأتم، فيا ليت أذنى كانت صماء منذ الأزل؟
- وإلى أى حد يرى الموت الشباب، فلقد أسود نهارى رغم نور البصر؟
- ولكم وصل العويل إلى الأفلاك، فيا ليت حنجرتى يمزقها خنجر.
- ما أكثر ما أصيب هذا القلب من أحجار المصائب، ذلك القلب الذى هو أرق من الزجاج!

---

1 - كليات قاري، ص 225، 226.

- وإلى متى ينصهر العقل في التفكير، ويتخلص من وسوسة النفع والضرر.[1].
- فما أجمل غفلة المجنون، الذى ليس له علم عن مصائب ونوائب الدهر!
- لا يسكن روعنا شق الجيوب، فحزننا لا يسكن إلا بتمزيق الكبد.
- وصار صدرنا مثل الذورق وسط الطوفان، ألقى الحزن والغم مرساته لحظة بلحظة.
- والغم مثل نقش الحجر لا يفارق القلب، مع أن قلبى ليس بحجر.
- ولقد أصبح من الحزن محترقاً على الأحباب، فياليته لم يكن بشر.
- ففى العيدين وقع لى ثلاث مصائب، وكل مصيبة هى ألم آخر للموت
- وكل مصيبة ثقيلة مثل الجبل، بل هى أشد ثقلاً من الجبل.
- فلكل منها حرقة مختلفة، فهذا قطعة من القلب وهذا فلذة كبد.
- وآسفاه واحسرتاه على صدمات الموت المتتالية، فقد كسرت ظهرى آه أيها الظهر.[2].
- لقد خطف الموت فى تسعة أشهر ثلاثة ملوك مني، كل واحد أفضل وأحسن من الآخر.
- كل واحد قد دُون عنه كتاباً من الأخلاق الحسنة، وقد حفظت فيه أبواب الفضائل.
- فكل واحد صاحب ذوق خاص، وشهرة وسلوك حسن.
- وكل منهما كان نخلة نضرة مثمرة، وكل منها كان غصناً يانعاً مثمراً
- فى حياء وأدب ووضع متين، كان كل واحد منهما نوعا في الأحاديث والأسمار.
- وقد رحل أحد الثلاثة فى شهر ذى الحجة، ورحل الاثنان فى شهر رمضان.
- فمضى عيد الأضحى كله فى غم وحزن، وكذلك شهر الصوم مضى فى غم عند الإفطار و السحور[3].
- فصار عمرى طويلاً لهذا السبب، وأتحمل غم الدهر بلا حدود ولا حساب.
- وأحياناً من موت ابنتى الشابة تبقى الحياة مرة أمام عيني.
- وأحياناً من الحسرة على ابن أختي، تحول نيران الهموم قلبى مجمراً.

1 - كليات قاري - ص 226.

2 - كليات قاري - ص226.

3 - كليات قاري، ص226.

- ولقد كانا تذكارى من أخي، ولدان وكان كلاهما مطيعاً لأمري.
- فهما في قلبي كالأبناء الأعزاء، وأنا كنت في نظرهما أبا محترما وقورا.
- فكانت عيني تلمع من رؤيتهما، ويستمتع عقلي من حديثهما.
- قاري قد استحسن هذا الوضع، وأخذ مكاناً لقلبه بين أهل الرأي.
- فمن فمهما وشفتيهما المملوءتين بالضحكات، كانا يمسحان الهم والكدر من قلبي.
- وكان للشيخ في حضوري آداب فاضلة، مثلما يكون العبد في حضرة سيده.
- قاري ماذا حدث ؟وأين الشيخ ؟، فإننا لا نرى لكليهما أثراً [1].
- كان نصيبي من حرقة القلب في عشرة أيام، أن كليهما ذهب من هذه الدار ذات البابين.
- ترك حزني عليهم حرقة في القلب، والحزن عليهم جعلني أهيل التراب على رأسي.
- آه ماذا أفعل ويدى عاجزة وأنا خاوى الوفاض، وهذه الجواهر قد فقدت من يدي.
- وآه فقد أصبح الجسد هزيلاً من حزن الأحباب، واحترقت حتى صرت رماداً.
- لم يعد للأسرة راع، فأه من حفنة الأطفال الذين لا راعى لهم ولا أب.
- فالمنزل بلا صاحب والأولاد يتامي، والأخت والأم والزوجة بلا معين.
- كفى أيها القلم نواحا، فلماذا تمزق قلبي بمشرط.
- وأنت أيضاً أيها الورق لا تتشح بالسواد، وأخلع عنك رداء المأتم هذا.
- فلتطو بساط الغم، فإلى متى نقيم العزاء من البداية[2].
- فمثل هذا العزاء الذى يقيمونه، يجعل أهل المأتم مضطربين محزونين.
- فكثير من هذه التعازى الرسمية، لا نرى لها ثمراً غير المشقة والتعب.
- دعوني ألقى بنفسي، وأهيل التراب وحيداً على رأسي.
- وأذهب إلى قبرهما، فأرطبه بدموع عيني.
- فذكر الراحلين بالدعاء جميل، في كل وقت وفي أى وقت وفي الصباح والمساء.
- لقد رحلوا ظمآنين فارحمهم يا إلهي، وارو ظمئهم بزلال الكوثر.
- في عام ألف وثلاثمائة وسبع وخمسين، رحلوا عن هذه الدنيا ذات البابين.

1 - كليات قاري، ص227.

2 - كليات قاري، ص227.

وفى هذا التركيب بند يرثى قارى أحد معاصريه ويدعى محمد رحيم خان قائلاً:

- لقد غمرت المياه أرجاء البستان، يا رب ماذا حدث حتى أصبحت روضة الأزهار حزينة؟!
- من كثرة ما عم الحزن أرجاء البستان، صرت أرى الماء الجارى كأنه تراب الموت.
- ودائماً تظل براعم هذه الروضة فى أغلفتها، فقد ضغطت هموم الزمان على قلبها.
- يقطر الدم من كبد الشقائق قطرة قطرة، ولم تكن إصابة السهام لقلبه بلا ألم.
- من كثرة ما عم الموت هذه الروضة، صارت أشجار النخيل اليانعة تابوتاً للموت.
- وفى النهاية كل من يرحل عن الدنيا يمضى خاوى الوفاض، حتى الورد أيضاً لم يحمل من هذه الحديقة ذهبه.
- وكل ما كان من خضرة وورود وبراعم، لم يغتنم سوى الرحيل عن هذا البستان.
- وبدا من الصباح أن الحياة إلى زوال، فإن هذا قد تنفس مرة وأسلم الروح.
- وقد ارتاح أحياء القلوب تحت التراب، ولم ينج من الموت سوى الزاهد محزون القلب.
- رحل الورد وبكى الشلال حال الحديقة، وبكى الندى آلام الشقائق ذات الكفن الدامي[1].
- لم يترك الخريف أثراً للبستان ولا للزهور، فخريف هذا العام صار آفة لأكثر الزهور.
- طار لون الياسمين وسقطت أوراق البنفسج، ودمر الخريف أركان الحديقة.
- تتراءى للعين صفحة هذا البستان كطست من الدماء، من كثرة ما ضرب الخريف فى شرايين الورود بالمفصد.
- وإذا ما نظرت إلى أرجاء الحديقة لم تر ورقة تنبض بالحياة، من كثرة ما أغار الخريف عليها.
- يا رب لقد تفرق جلاس محفل البستان، مثلما تفرق جمع الحديقة.
- بكى الندى ومزق الورد ثوبه، حتى خرج الخريف من هذه الروضة النامية.

---

1 - كليات قاري، ص305.

- لم يبق اجتماع لمجلس الطرب فى روضة الأزهار، فقد أثرت نظرة الخريف في محفل طرب البستان.
- لن يرى النرجس يوماً سعيداً مرة أخرى؛ لأن الخريف أغار مباغتاً بليل على جموع البستان.
- وقد طرح الشجيرات الصغيرات أرضاً، إذ جاء الخريف هذا العام بشكل مختلف.
- لم تتألم الشقائق وحدها من ظلم الخريف، فما من زهرة إلا ودم قلبها في القدح[1].
- إن البستان الآن فى حزن وما من خبر عن مقدم الربيع، وما من ضحكة على شفاه النهر بعد أن غابت عنه الزهور الكثيرة.
- ربما لم يكن الاختيار بيد شجر، فقد ضاع من يده تميمة حظة الأخضر.
- لم يكن الرمان وحده من صار مدمى الكبد فى هذا البستان، فكل من رأينا قد احترق بشكل ما.
- ولقد حاد النجم عن مساره وتحير الفلك، واتضح بأن ليس لأى شخص قرار.
- وبدا من دوران الفلك وتبدل الأيام، أن ليس للآفاق ثبات وليس للعالم اعتبار.
- وبلا اختيار يرحل عنه كل من كان، فلماذا لا يكون الاختيار بيد البشر فى النهاية؟!
- أيها الفلك إلى متى يظل الألم فى القلب الحزين، بالله عليك إن هذه مضغة من دم وليست شقائق النعمان.
- تحفر قبور الفقراء بلا خوف أو وجل، أيها الزمان ليس فى قلبك مثقال ذرة من رحمة.
- أيها الفلك بالله عليك توقف عن العناد، ولا تسرف في سفك دماء خلق الله هكذا بلا خوف.
- انفصل البستان عن الربيع والماء عن روضة الأزهار، وبكى الندى لأن الزهرة أصبحت عديمة الوفاء.
- أصبح الشلال يسكب الدمع نائحاً بمئات الأنات، واتشح الريحان بالسواد مثل أهل المآتم.

1 - كليات قاري، ص305

- أصبح السنبل مقطوع الجديلة والورود ذابلة حزينة، واآسفاه فقد صارت هذه الحديقة دار عزاء.
- وابتلى الأفق بمصيبة عظيمة، فلقد قامت القيامة من ظلمك أيها الفلك.
- جعلت القوم أسرى للآلام والأحزان، وصارت مدينة الهلاك شديدة القحط والغلاء.
- ومن كثرة ما سفكت دماء الأبرياء على التراب، أصبح وجه الأرض بسببك كأرض كربلاء.
- فمن ناحية تقوم القيامة من الحرب العظمى؛ ومن ناحية أخرى أصبح المرض بلاء للعالم.
- وقد فتحت أفواه القبور من أجل الخلق، فربما صارت هذه الخرابة المظلمة "الدنيا" أفعى مفترسة.
- ولأن هذه الدنيا ليس بها موطن للراحة الآن، فإن كل العالم قد سلك طريق الفناء.
- إن طريق العدم الذى كانت قافلته من البشر، دليله هى شواهد القبور[1].
- حل على الأقرباء مصيبة ووجع أليم، فقبل أن يجنى ثمرة عمره رحل محمد رحيم.
- من كثرة ما أحرق ألمه أرواح المغمومين، صعد دخان القلب المحترق إلى العرش العظيم.
- وفى النهاية بقي ابنه الذى هو نور عينه يتيماً، فقد ذهب من النظر سريعاً مثل دمع اليتيم.
- بعد أن اكتشف أن الدنيا ماكرة لئيمة، رحل من البيت اللئيم إلى وجه الكريم.
- عندما رأى أنه لا دوام لفخر ونعم الدنيا، غادر العالم مسرعاً إلى روضة دار النعيم.
- علم أن عهد الورود وروضة الأزهار لا يدوم، فغادر هذه الحديقة فى أسى مثل نسيم الصباح.
- ومن كثرة ما تكدر مزاجه اللطيف من هذه الروضة، صار مثل البرعم الحزين، ورحل مثل الزهرة السقيمة.
- لم يفسد خلقه الكريم من فساد الدهر، جاء معصوماً وذهب بطبع سليم واختار مكانه فى مجلس طرب الفردوس بحرية، ورحل من هذا الشرك المليء بالمخاوف.

---

1 - كليات قاري، ص306.

- لم يوافق هذا البيت طبعه اللطيف مطلقاً، فبدل المكان الذى لا يلائمه مناخه[1].
- ذهبتَ وبكى القلب المبتلى حزناً عليك، وصار غليان الدمع دماً وبكى سيل البلاء.
- وأحرقت نيران حزنك الصغير والكبير، فناح الغريب وبكى الرفيق والقريب.
- ومن الحزن عليك بكى الطفل عجزاً، وكلما التقى بأحد بكى من هذه الحادثة.
- انظر فما من ضحكة على شفاه ورود التابوت، وكأنما بكى بألم موتك هذا الذى لا وفاء له.
- ومن شدة ألم فراقك، بكت فى عزائك العيون والقلوب وكل منهم على حدة.
- ولم يكن العزاء بلا احتراق فقد احترقت العين أيضاً، فأين بكت عيناى فى غير مأتمك ؟!
- لم يكن بكاء شمع شاهد قبرك هباءً، فقد رأى ألم حرارتك فبكى بحق.
- وارتفع صوت الأنين من الأبواب والجدران، عندما بكت النائحة فى حلقة أهل العزاء.
- فانظر إلى باقة زهور تابوته، ولا تسألنا لماذا بكى هذا القلب الدامي.
- ومن نار حزنه احترقت أكباد الأيام، وبالليالى احترقت قلوب شموع شاهد قبره حزناً عليه.
- أيها القلم بالله عليك لا تشكُ، وكف عن البكاء ولا تزد فى ألمي.
- وفى النهاية أعطت دموعك ثياب صبرى للرياح، فلا تتكلم ثانية عن العين الباكية فلا طاقة لي.
- ولست شمعا لليل المصيبة وأرباب الغم، فلا تقض هذه الليلة أيضاً فى البكاء حتى السحر.
- يكفينا لقد احترقنا بموت أحدنا، فلا تخبر شخصا آخر عن موت أحبائه.
- إن لكلامك فعل الرمح فى قلوبنا، توقف ولا تجعل صدورنا أتراساً مرة أخرى.
- يتمزق قلبى من دمع حسرتك، فاترك البكاء والعويل ولا تؤثر على القلوب.
- وماذا تفعل الزهور المنثورة بالدمع وآلام المصيبة، إننى أحترق فبالله عليك لا تبدأ بالبكاء.
- لم يعد بى طاقة فلا تلق على رأسى بطوفان الغم، وبغير الدعاء لا تقم على شخص

1 - كليات قاري، ص306.

كل هذا العزاء.

- واغفر يا إلهى بلطفك خطايا محمد رحيم، وافتح أمام وجهه أبواب دار الخلود النعيم[1].

ثانياً : الشكوى فى شعر قارى:

إن الشكوى فى شعر قارى ليست مجرد ترجمة لما يعتمل فى نفسه من آلام وأحزان، يرجع بعضها لأسباب خاصة به هو، أو لأسباب تتعلق بالمحيطين به، إنما اتسم شعر الشكوى عند قارى بأنه يتماس مع مشكلات مجتمعه وقضايا وطنه، لا سيما تلك المشكلات التى يعانى منها الفرد يوميا ويتماس معها فى كافة أنشطته الحياتية، فتراه يشكو ما كان عليه حال كابل وأفغانستان بشكل عام فى عصره .

ولقد عالج قارى فى أشعار الشكوى قضايا مهمة أرقت المجتمع، مثل أشعاره فى الشكوى من برودة الطقس وهطول الأمطار والثلوج وامتلاء الشوارع بالأوحال، مما يؤدى لإصابة البلاد بالشلل التام عن الحركة، ويصوِّر قارى الأوحال بأنها تصل إلى خصور الناس وأن كل ما يحيط بهم يغرق فى هذه الأوحال .

كما يشكو قارى الإهمال الذى تعرضت له الشوارع بعدما كانت معبدة بالأحجار، فصارت متكسرة مهملة، مما حدا به إلى توجيه قصيدة يشكو فيها لرئيس البلدية ويذكره بمسئوليته عن الطرق وتعبيدها للسائرين .

كما كتب قارى عن الأوبئة التى كانت تتفشى بين الحين والآخر، ويعرج أيضا إلى الشكوى من حال السجون وعدم مراعاة الشروط الآدمية فى التعامل مع المسجونين، وذلك من خلال قصيدة وجهها لوزير التجارة يشكو فيها مما يتعرض له ابن أخيه الذى كان مسجوناً لسبب لم يوضحه قارى .

ففى الشكوى من برودة الطقس فى فصل الشتاء، وهطول الأمطار والثلوج وانتشار الوحل فى الشوارع يقول:

---

1 - كليات قاري، ص307.

- إلى متى نظل في النار من جفائك؟، أحرقت روحي الحزينة وقلبي المهموم.
- خبت جذوة الشوق في قلوبنا من قسوتك، ولم يبق من تلك الشعلة سوى حفنة رماد.
- تنغرس الأقدام في الأوحال حتى الخصور، وإلى الآن لم يرفع الثلج يده عنا.
- صار كل ما يحيط بنا غارقاً في الأوحال، فأين إذاً السفينة التي تنتشلنا من تلك اللجة.
- أيها الوطن إننا من تراب حبك ووفائك، فلماذا أصبح وحلك كالبلاء فوق رؤوسنا أيها الوطن يا من أنت دليلنا وعوننا وأمنا، لماذا نرى في كل موضع أحداً قد زلت قدماه؟!
- أين الأحجار التي كانت تعبد طرقاتك، فلقد أصبحت قلوبنا مضطربة من أوحالك؟!
- ولقد غمرتنا سيولك وأوحالك، وأخفت معالم الخنادق وقنوات الصرف.
- لم تعد لنا حيلة إزاء ثلوجك وأمطارك، ومحاصرة طينك اللزج لنا.
- لم تعد آذاننا تستطيع سماع صوت تساقط الأمطار، بعد أن صار الجليد فيها كالقطن.
- وفي كل شتاء من كل عام نتجرع ذات الكأس، إلى أن نتقدم سيظل هذا هو حالنا.
- فكم من طفل سقط في الوحل كلما لامست قدماه الأرض !، آه لكم تسقط هذه الجواهر على الأرض واحدة تلو أخرى.
- إلى متى سيظل هذا الحديث والشكوى من البرد، أيها القلم كفى ولا تتعب آذاننا الصماء.
- ولسوف يمضي الشتاء سريعاً، ويأتي النوروز مكللاً بالبهجة والضياء.
- وسيأتينا الربيع نشطاً، فتسعد بمقدمة قلوبنا المهمومة[1].

ويشكو قاري من وباء قد تفشى في بلاده فيقول:

- لا يستمر دوام وهناء العيش لأحد، لأن ساقي هذا المحفل هو دوران الأيام.
- أصبح النهار بلا دفء من الجفاء، وأصاب دورانُ الفلكِ الشمسَ بالدوار.
- أصبح الرياض مكدر الخاطر من ظلام السحاب، كما ذبل الورد من جفاء الأيام.

1 -كليات قاري ص 198.

- وإذا لم يجلس فى مأتم الخميلة، فلماذا مزق الورد ردائه هكذا؟!
- تيبست الشتلات والخضرة فى هذا البستان، كما صار العام كله خريفاً فأين الربيع؟
- ودائماً يرتفع هذا الصوت عند حافة النهر، بأننا راحلون وليس فى هذا البستان أمل فى البقاء.
- ولأن فرصة البقاء فى هذه الحياة المؤلمة قد صارت منعدمة، فطوبى لمن يقدم على ذلك بخطى ثابتة.[1]
- فالدنيا مقام غرور وليست للراحة، فلماذا تفكر فى البقاء فى هذه الخرابة؟!
- وأقطع الشجرة المقدسة من هذا البستان، فلا تكن كشجرة نمت فى غير أرضها.
- تصبح مَلكاً على الأرواح إذا تركت الأهواء، فبالله عليك لا تكن عبداً للحرص والبخل.
- لقد صنع طين بنى آدم من دم الكبد، كما خلق قوامه من تجلطات دم القلب.
- يتناسب قصر عمر الإنسان مع ضحكات الورد، كما تتناسب فرصه القليلة مع بكاء الكأس.
- القلب المحترق هو المعد على مائدة الدهر، فمن يرغب إلى طعام لا يأكل سوى قطعات قلبه.
- فالعالم ليس آتياً والحياة إلى فناء، ونحن سعداء بانتهاء الخريف وقدوم الربيع.
- لن تأمن فى الحياة من تحول الفلك، ولن يهدأ السهم الخارج من القوس إلا عندما يستقر فى التراب.
- يكفينى هذا القلب المحترق وتلك الدموع، بحيث أصبحا هما طعامى وشرابي.
- فمحفل الهموم مصبوغ بدماء القلب والعين، يا إلهى لا تفرغ زجاجى وكأسى من الخمر.
- إذا كنت تتحدث عن القرب والبعد فهذا فضول، فاطلب رضا الحبيب ولا شأن لك بالقرب والبعد.
- حينما برد قلبى من جفاء الأيام، أصبح خاطرى مضطرباً من اضطراب البشر.

1 - كليات قاري ص 265.

- وكنت أتأوه ببرود وأقول لقلبي الممزق، سيأتي الربيع وتصل إلى مشامّي رائحة الورد.

- لكن الربيع قد جاء ولم يأت الدفء، لأن هناك ثماني ستائر مظلمة على وجه الشمس.

- وقد سيطرت سحابة الحزن مكان غمامة الربيع، وأتت معها بطوفان جديد.

- وتهاوت المنازل بعدما اشتد هطول الأمطار، ولطخ الناس رؤوسهم بالطين حزناً.

- وأصبحت الجماجم تطفو كالحباب على ماء السيول[1]، حينما انهمر السيل من الجبال والصحاري.

- وحينما بكى السحاب على هذه الخرابة بكامل قوته، ارتفع صوت هطول الأمطار من أعلى المنازل.

- فكيف تجلس تحت الميزاب خوفا من الأمطار، ابتعد حتى لا يبلل طرف ثوبك.

- ففى هذا العالم المؤلم تمطر الفتن كالطوفان، ولن يستطيع أحد الاستقرار فى بيت تسقط بداخله الأمطار.

- وبعد أن نفّذت الأمطار حكمها طوال شهر، أعطى السحاب أمره لجنوده.

- وقد جاء الصيف ورحل وكذلك شهر الصوم، كما ذهب النوم من العين والصبر من القلب والراحة من البدن.

- لكن أثر الصوم وثقل الصيف كانا لا يزالان باقيين، حينما انتشر خبر الوباء بين الناس.

- وأصبت بنكبة أخرى قضاءً وقدراً، فقد عم الوباء بعد انقضاء رمضان.

- وأصبح الناس يرتدون لباس الغم بدلاً من السعادة، وتحول عيد الصوم إلى شهر المحرم.

- وطالما لا ينجو أحد من الموت، فلماذا يسيء الوباء إلى اسمه بأخذ الناس.

- واأسفاه فرغم هذه السياط المؤلمة، لا تهدأ النفس الأمارة[2].

1 - إشارة إلى أن السيول سقطت على المقابر فطفت الجماجم على سطح الماء، حيث إنهم يدفنون الموتى في باطن الأرض وليس بداخله بناية.

2 - كليات قاري ص 266.

الفصل الثانى

شعر المناسبات عند قارى

من الفنون التى طرقها قارى من خلال أشعاره شعر المناسبات، لأن كل أمة من الأمم لها مناسباتها التى تتذكرها وتختلف هذه المناسبات وتتنوع، فمنها ما يكون حزينا تذكره الأمم بما يليق به من الوقار والجلال، ومنها ما يكون سعيداً يذكر فى فرح وابتهاج، وشعر المناسبات من الأشعار التى تحتل أهمية بالغة بين سائر الفنون وذلك لأن الشعراء لا يرتجلونه ولا يتركون أنفسهم فيه على سجيتها، بل يهيئون له أنفسهم ويعدونها حتى تجود بأحسن القريض، كما أن هذا الشعر يكون موضوع منافسة بين الشعراء، ولهذا السبب نرى الشعراء يأتون فى نظمهم فى هذه المناسبة بأجود المعانى وأجزل الألفاظ، بالإضافة إلى أن هذا الشعر تتهيأ له من وسائل الذيوع والنشر ما لا يتهيأ لغيره، وهذا مما يجعل الشعراء يعدون له أنفسهم ويهيئون له قرائحهم، وأكثر الشعراء حظاً هو الذى تنتشر قصيدته ويذاع صيته، كما أن هذا الشعر يطلعنا على نوعية مناسبات الشعوب والأمم وأعيادهم واحتفالاتهم وزعمائهم الذين يحتفلون بهم، ولهذا فهو يعتبر سجلاً تاريخياً لمن يكتبون عن الحضارات والشعوب أو يؤرخون لها .(1)

وتحتفل أفغانستان بالعديد من المناسبات الدينية والقومية، مثل الاحتفال بحلول شهر رمضان المبارك، وبالعيدين، وبالمولد النبوى الشريف، والاحتفال بعيد النوروز، وعيد الاستقلال وغيرها، وقد تناول قارى هذه المناسبات فى أشعاره، ولكن سبق أن تناولتها بالبحث والشرح فى معرض دراستى للحياة الاجتماعية، وتجنباً للتكرار فلقد آثرت أن أتحدث عن مناسبات أخرى تميزت بها أشعار قارى، وهى فى أغلبها مناسبات ثقافية يؤرخ بعضها لعلاقات ثقافية بين أفغانستان وغيرها من الدول .

1 -د. عفاف السيد زيدان – شاعر أفغانستان المعاصر خليل الله خليلي – ص139 ، 140 .

وفيما يلى سوف أذكر نماذج من أشعار قارى فى تلك المناسبات على سبيل المثال لا الحصر.

فبمناسبة الاحتفال بمرور ألف سنة على وفاة الشاعر الإيرانى العظيم ابو القاسم الفردوسى المتوفى سنة (416 هـ.ق الموافق1025 م) يقول قارى

- الحكيم المقتدر عالم طوس، باسمه تقرع المزاهر والطبول
- أديب وبليغ اللغة الفارسية، الذى فتح لنا أبوابها ومغاليقها.
- من منهجه أخذ الكلام رونقاً جديداً، وحصلت اللغة الدرية على المكانة الرفيعة.
- لقد أوقد جذوة الفارسية، التى ستظل مستعرة حتى الحشر .
- لقد قام بعمل إعجاز فى نظم الشهنامه، وفتح الباب للمتكلمين .
- وعلى مدار ثلاثين عاما من الجهد والمشقة رصع الجواهر بقلمه، وجمع أبواب الخزائن.
- إن كل باب منها هو ثروة للدولة، وهو بمثابة رأس مال لكل صاحب فن .
- ولو لم ينظم هذا الأثر الفريد، فمن كان سيخلد تاريخ إيران .[1]
- ولو لم يتكلم هو فمن ذا الذى كان سيتبع الآثار، ومتى كان جمشيد[2] و كيكاوس؟[3]
- وعلى يديه اشتهر سام ونريمان [4]، وصار البطل متصدرا الميدان.

---

1 - كليات قارى ص314 .

2 -هو جمشيد بن حرمة بن نكهان من أبناء ايتمكدن بن هوشنگ، وهو شقيق طهمورث وتقلد ملك الأقاليم السبعة ولقد عمر الدنيا وأظهر أسباب الملك والحرب مثل إقامة السرادقات وصنع الحديد والأسلحة ووضع ترتيب الجيوش، وقسم الخلق إلى أربع مجموعات، فوج للعسكر والحرب والثاني للزراعة والثالث للبيع والشراء والتجارة، والرابع للعلم والشريعة والمحافظة على الدين - د. عفاف السيد زيدان - طبقات ناصري ص 253، 254 .

3 -كيكاوس هو أحد ملوك الأسرة الكيانية وهو ابن كيقباد، وكان ملكاً مظفراً انقاد له جميع الملوك وقد عاصر سيدنا سليمان وآمن به وذهب لمحاربة ملك اليمن , فهزم وأسر وظل أسيرا حتي جرد رستم جيشاً من سجستان وخلصه. - طبقات ناصرى ص 262، 263 .

4 -)سام هو اسم والد رستم ونريمان هو اسم جده - حسن عميد - فرهنگ عميد - ص 1156

- وبسببه بقى أصل التاريخ، وعرفنا اليوم من هو دارا .
- إذا مال إلى إنشاد الحماسة، أظهر نفسه بميدان الأنغام والغناء.
- يعطى الدبوس الحربى للأبطال، فتهتز جبال البرز وتتحرك .
- فمن غيره يملك هذا العضد وتلك الشجاعة، ليأخذ بيده راية الحداد[1]
- إذا ما أظهر بيانه إعداد الجيوش، أرسل البلاء على أرواح الأعداء.
- وهكذا يزيد من شجاعة الرجل، ويجعل منافسه اضعف من امرأة .
- ويجعل من الجبناء أبطالا بحيث، يضرب الثعلب بيده على رأس الأسد.
- وإذا بسط الكلام في مجلس الطرب، محا من القلوب الغم والكدر دفعة واحدة.
- ومن ترتيب أسباب محفل الطرب، يفتح للخاطر بابا من السعادة والانبساط.
- ليست الشهنامه كنز علم وفن فقط، فلقد ساق فيها السم فى الكلام .
- فلم تشتمل على سيرة الملوك فقط، بل كانت رسالة شرف لجميع إيران .
- فأى رأس مال يكون أفضل للدولة من هذا، فقد اشتهرت به فى كل أرجاء العالم .
- فلو مر عليه ألف سنة، يظل اسمه باقياً مدى الأيام .
- فإن أصحاب الأرواح المشرقة لا يموتون، لأنهم يتركون آثارهم فى العالم.
- فليغفر الله لروحه، فلقد كان سببا لفخر إيران [2]

وبمناسبة الاحتفال بالذكرى السنوية لپوشكين [3]

يقول قارى

- منبع العلم والفن، يهب الحياة لبنى البشر.
- وبالعلم يستقيم نسق العالم، وبالعلم وحده يتبدى فضل بنى آدم .

---

1 -نسبة إلي الحداد الذي قتل الضحاك .

2 -كليات قارى ص 315 .

3 -هو الشاعر الروسي الكسندر پوشكين ولد سنة 1219 هـ ق الموافق 1799م ويرجع نسبه إلى أسرة من نبلاء روسيا ، وفى سن الثانية عشرة التحق بأحدي المدارس التي أسسها الإمبراطور لإعداد شباب النبلاء للوظائف السياسية الكبرى ، وتخرج منها فى عام 1237 هـ ق الموافق 1817 م وقد بدت عليه علامات النبوغ المبكر فى إبداع الشعر ، وقد تغنت أشعاره بالحرية والحض على التمرد علي الأنظمة المستبدة مما عرضه للنفي لسنوات طويلة وتوفي في عام 1257 هـ ق الموافق 1837 م. – يوسف الشاروني - أدباء من الشاطئ الأخر – ص 35 -45 - طبعة القاهرة 2002 م .

- صار الكمال رونق سوق العالم،وهو زينة بنى آدم .
- حقاً إن العلم هو جسد وروح الإنسان، فبه تضاء عقول العلماء وتنير .
- وقد جاء العلم لتقدم البشر، وأى شيء لا يصلحهم فالجهل به أفضل .
- يجلب العلم الفلاح والعافية، وينجيك من سوء العاقبة .
- يربى العلم فى كل وقت نابغة، كما يبرز الذكى الماهر.
- إن شأن وجلال العلم أعلى من أى وصف أصفه إياه، إن وصفه اسمى من فكرنا .
- فقد جاء العلم كى يظهر رجال العمل، من أجل تحسين أوضاع الدنيا .
- أحيانا يأتي بعالم ويبرزه من جديد، بعلوم نافعة وفكر سديد .
- وأحيانا يظهر فيلسوفاً، حتى يستنير العالم بفكره .
- وأحيانا يأتى بشاعر نابغة إلى الساحة، حتى يسعد الدهر من طبعه،
- وأحيانا يمنح الاعتبار لـپوشكين، فيما بين الشعراء المشهورين .
- پوشكين ذلك الشاعر حلو الكلام،الذى يعرف قدره الرجال والنساء .
- هو الذى ارتقت به أعماله لأرفع مقام، وحصد الشهرة والعزة .
- جاء معتداً بذاته، واعترف الجميع بعظمته وفضله .
- الشاعر صاحب الفكر الحسن والذوق الرفيع، فكره صاف وخال من الصنعة،
- الشعراء ذوو المكانة السامية والخلق الرفيع، جاءوا من أجل منفعة العالم .
- إذا صدحوا بأنغام العرفان، كان العزف من بردة الروح .
- يوجهون العالم إلى الصراط القويم، ومن الخطأ أن ننسبهم لأمة واحدة .
- إن تلك الألحان والأنغام بدون تأويل، قد صارت دليلاً وهادياً للضالين،
- هؤلاء العظماء يبغون الخير للعالم، ويستشرفون ما فيه صالح البشرية .
- يالروعة أفكار هؤلاء العظماء،وما أسمى ذلك الفضل والفيض العظيم .
- كل منهم قد عمل بإخلاص شديد، وهدى الخلق إلى كل جليل .
- إن هؤلاء الشعراء المشهورين، قد اختاروا الخير للجميع .
- يصير الوجود جميلا حين يذوى الخلل، وهؤلاء هم نعمة كبرى للأمم .
- إذا ما استمعت لأصواتهم، تكشف لك مكنون أسرارهم .

- فحافظوا على ذكرهم، فلكل منهم تراث وشهرة خالدة .[1]

وبمناسبة قدوم ضيوف من الهند إلى أفغانستان [2]أنشد قائلاً :

- جاء أحبة من بلاد الهند، نزلوا ضيوفاً على أفغانستان .
- احدهم العلامة إقبال الهندي[3]، البليغ المطلع على أحوال الهند.
- أديب ومتحدث وثاقب النظر، تعد كل فكرة له أفضل من كنز .
- إن البستان من جموع نقوشه الملونة، والسكر قطعة من حلو كلامه .
- ارتقى كلامه كالطود العظيم، واحتل مرتبة العزة والفخر .
- يضارع بألحانه البرق، وكان من الداعين لنهضة الشرق .
- له نهج جديد بسبك قديم، فجمع بين قوة العلم والفن
- وعندما اختار للكلام طريقاً جديدا، وصلت رسالته من الشرق إلى الغرب .
- وعندما مزج الكلام بالعلوم، أحيا به طريقة مولوى الروم .[4]
- وعندما اتبع فكره طريق الفلاسفة، اتخذ الكلام شكلاً صوفياً .
- ومثل عندليب أغاني جبالنا، جاء من الهند هذا الببغاء الطروب .
- والثاني هو ذلك السيد المعروف، المختار من أهل الرئيس .
- فنان اسمه سر رأس مسعود، الذى منه صار لمدارس الهند نظام وقانون .
- روح الفن وحياة العلم، ومنه صارت "علي كَر" مدرسة للعلم .[5]
- إذا ما ذاع صيت هذه المدرسة فى العالم ، فإن ذلك بفضل علمه وجهده .

---

1 1-) كليات قارى ص 316 .

2 -لقد قام محمد نادر شاه (1348 – 1352 هجرية قمرية الموافق 1929 – 1933 ميلادية)
بدعوة وفد من علماء الهند كان يضم كل من الدكتور محمد إقبال و السيد سر رأس مسعود رئيس الجامعة الإسلامية في عليگره ، والعلامة السيد سليمان الندوي والعلامة هادى حسن الى كابل سنة 1933 م للبحث فى قضايا تعليمية وإسلامية ، وقد لبوا دعوته وتم استقبالهم فى فندق " أوتيل كابل" وبعد عودتهم إلى الهند كان للسيد سليمان الندوي حديثا شائقا مثيرا عن كابل ومعالمها وما تركته مقابلة الملك فى نفسه من الأثر الطيب العميق .
ـ أبو الحسن الندوي – من نهر كابل إلي نهر اليرموك – ص 13 ،18 الطبعة الثانية بيروت 1396 هـ ق 1976 م .

3 -العلامة إقبال المتوفى سنة 1357 هـ ق الموافق 1938 م.

4 -مولانا جلال الدين الرومي المتوفى سنة 672هـ الموافق 1252 م.

5 -كليات قارى ص 308 .

- رئيس المدرسة فى هذه البلاد، المطلع على أشكال العلوم .
- وسيدنا الثالث الذى هو من ندوه، قد صار بعلمه فى بلاد الهند قدوة .
- من فيض نفسه تجددت روح العلم، وفى إقليم المعرفة هو سليمان العلم .
- عندما سار فى طريق العلوم، وجدت المعارف منه رونقا جديدا .
- كانت جميع مضامينه محكمة، وكانت الكتابة بقلمه مسلمة .
- والرجل الآخر هو العالم هادى حسن، البروفيسور المطلع على العلم والفن.
- كان عالما باللغات الإنجليزية الفارسية، ومعلما للغة الدرية .
- أديب وبليغ اللغة الفارسية، إن كلامه هو لآلئ الفارسية .
- عندما يتكلم باللهجة الدرية، يفقد السكر اختياره من الشوق إليه.
- كلامه جاذب للقلب وبيانه مليح، ولهجته فصيحة مثل الإيرانيين
- من أجل السياحة فى هذا الإقليم، أخرجوا من الهند أمتعة السفر .
- أهلاً بهؤلاء الأعزاء اللذين أتوا إلينا، واستقر بهم المقام الآن فى كابل .
- إن مقدم مشاهير الهند إلينا، يزيد من الألفة والمحبة والصداقة .
- ومن هذا القدوم تفتح القلب مثل الزهرة، وقال بكل سعادة إنه خير مقدم[1]

ثانياً : الطبيعة فى شعر قارى

لقد حبى الله أفغانستان بطبيعة جميلة خلابة داعبت خيال الشعراء على مر العصور، فقد كانت الطبيعة هى المربى الأول للملكة الشعرية عند جميع شعراء هذه البلاد قديمهم وحديثهم، فلم يخل ديوان شاعر منهم من وصف الطبيعة والتغنى بها، فنظموا الأشعار الغزيرة فى وصف جمالها؛ ذلك لأن الأفغانى بصفة عامة والشعراء على وجه الخصوص يرون أن بلادهم هى جنة الله على الأرض، ولقد كان لوصف الطبيعة فى الشعر الأفغانى أهمية خاصة وقيمة ثابتة تعكس انبهار الشاعر بجمال صنع الله وقدرته، فيستغرق فى التفكير والتأمل والتدبر فى ما حوله من مظاهر الكون[2].

والشاعر الأفغانى فى انسجامه مع الكون ومظاهر الطبيعة يشعر بذاتيته، ولكنها

1 -كليات قارى ص 308 .

2 - د. محمد السعيد عبد المؤمن - أفغانستان - ص115.

ليست تلك الذاتية المنغلقة المفرطة في النزوع إلى الانزواء والعزلة، أو المتقوقعة في برج عاجي يفصلها عن ما حولها، ولكنها تلك الذاتية التي هي أشبه بمرآة تنعكس عليها كل مظاهر الحياة والكون فتخلق منها قيمة منفصلة متصلة، وتبث فيها روحاً مشعة ومتلقية فتنسكب منها المعاني الجميلة في أسلوب سلس فياض[1].

ولما كان الربيع هو الفصل الذي يمتاز بكثرة رياضة وزهوره ورياحينه، فلقد أحبه شعراء الأفغان وأصبح أثيراً عندهم محبباً إلى نفوسهم، يحتفلون بقدومه ويظهرون السعادة والسرور، وهذا أمر طبيعي يتمشى مع طبيعة الحياة في هذه البلاد، ففي فصل الربيع الذي يعقب فصل الشتاء الطويل القاسي البرد والذي تهطل فيه الثلوج تعود الحياة إلى الأشجار والنباتات فتورق وتزهر وتنمو الأعشاب والورود البرية فتكسو وجه الأرض الكالح ببساط أخضر قد طرز بمختلف الألوان[2].

ومن أوائل شعراء الأفغان الذين نظموا الشعر في وصف الطبيعة والربيع في أفغانستان الشاعر شهيد البلخي المتوفى(سنة 225 هجرية قمرية الموافق 805 ميلادية) **فيقول :**

- دائما يبكي السحاب كالعاشقين، ودائما تضحك الروضة كالمعشوق .
- ودائما يئن الرعد مثلي، عندما أتألم بحرقة وقت السحر .[3]

ويتحدث أبو القاسم العنصري المتوفى (432 هـ ق الموافق 1039 م) عن نسيم النوروز **قائلاً :** (إن نسيم النيروز في البستان قد صار مثالاً، حتى لكأن كل شجرة من براعة صنعة دمية، والحديقة مثل دكان البزاز حافلة بالديباج، والهواء كصندوق العطار ينفحُ بالعنبر، وعادت الأرض مرجاً أخضر كعوارض الحسان، واكتسى وجه الأرض كله بحلة من حرير الصين) [4]

ومن أهم من تغنى بالطبيعة بين شعراء الأفغان الشاعر فرخي السيستاني المتوفى سنة (429 هـ ق الموافق 1037 م) فيرسم صورة لبلاده في فصل الربيع **قائلاً :**

---

1 - د. محمد السعيد عبد المؤمن – أفغانستان – ص118.

2 - د. عفاف السيد زيدان – فرخي سيستاني – ص 302، 303.

3- رضا زاده شفق – تاريخ أدبيات إيران – ص 271 طهران 1313 هـ ش .

4- د. محمد غنيمي هلال – مختارات من الشعر الفارسي – ص 52 – القاهرة 2004 م.

كأن الأرض من النضارة سماء مفتوحة ممتدة وفسيحة، وكأن السماء الممتدة الواسعة بستان نضير متفتح وزهير .

والشقائق فى الصحراء تظن أنها أفواه من اليواقيت، وتظن الأشجار الخضراء كأنها ألسنة البلابل.[1]

وعن النوروز يقول أبو النجم أحمد منوچهر المتوفى سنة (432هـ ق الموافق 1040م) وهو أحد شعراء بلاط السلطان مسعود الغزنوى (421 432-هـ ق الموافق 1030 1040-م)

- جاء النوروز منذ الصباح الباكر، فليكن مجيئه مباركاً سعيداً.
- ومرة ثانية وفقت الدنيا مسرورة سعيدة، فقد مات الشتاء وولد الربيع .
- وتولد عبير الياسمين من السحاب القاتم،وصارت الدنيا وكأنها دار القرار.
- ووجدنا الدنيا مسرورة نضرة مرة أخرى، وأسرعنا صوب الياسمين والسوسن .
- وجدلنا شعر الحوريات الحسان، وشرحنا القلب من ألم الفراق.[2]

ويتحدث الشاعر على شير نوائى (844 906- هـ ق الموافق1424 – 1486 م) عن الطبيعة قائلاً:

- إن الندى الذى سكبه الهواء على الورد والياسمين، صار كحبيبات الجدرى على عارض أطفال الخميلة .
- وإذا لم تكن زهور الخميلة شهيدة من اثر الفراق، فلماذا غرقت أكفانها فى الدم مثل الشقائق .[3]

ولقد تأثر شاعرنا قارى عبد الله بجمال الطبيعة من حوله، ذلك الجمال الذى تسلل إلى شعرة فى كافة أغراضه، وبدا واضحاً جلياً لكل من يطلع على أشعاره، فقد رأينا فى غزلياته الصوفية كيف استخدم مفردات الطبيعة كالأزهار والأشجار المتنوعة والبساتين والرياض ورياح الصبا والسماء والشمس والقمر، والأرض وما تحويه من كنوز وجواهر فى وصف محبوبه، وإذا نظرنا إلى الرثاء نجده كذلك قد عمد إلى إشراك مفردات الطبيعة

1- د. عفاف السيد زيدان – فرخى سيستانى – ص 303، 304 .

2- "ديوان منوچهرى دامغاني"- ص 138 – تهران 1326 هـ ش .

3- ديوان على شير نوائي – تحقيق ركن الدين همايون – ص 13- طهران 1342 هـ ش .

هذه فى التعبير عن حزنه وأساه، وحتى فى شكواه نجد أن معظم أشعاره فى هذا الغرض كان فى الشكوى من قسوة الطبيعة وخاصة فى فصل الشتاء، وإذا مدح نجده يضفى على ممدوحه أوصافاً من الطبيعة أيضاً.

كما سحر قارى بجمال الطبيعة فى فصل الربيع، وظفر الربيع فى شعره بحظ موفور فنراه يتحدث عن ربيع بلاده فى قصيدة من أهم أشعاره، وهى قصيدة ذات أهمية خاصة فى حياة شاعرنا فقد حصل بمقتضاها على الجائزة الأولى بين شعراء عصره كما حصل بها على لقب ملك شعراء أفغانستان.

يقول قارى:

- أحاط نسيم الربيع البستان بجماله، استعداداً لاستقبال شهر الحمل.
- وترك السحاب ساحة الرياض ورحل، حينما فرشت رياح الصبا الخضرة فى الغياض والرياض.
- وجرت جداول الفضة بالماء فى كل مكان، بينما اتخذت الصحراء والوادى لوناً زمردياً.
- ومن سحابة الربيع أصبحت الأرض رطبة كأوراق الورد، فلن يرتفع الغبار بعد الآن.
- يزيل النسيم بقايا الأشجار والهشيم، وينزع ما فى قلب روضة الأزهار من أشواك.
- والآن يمطر السحاب قطراته على البستان، حتى لا يغتم النرجس صاحب العيون الناعسة.
- وقد تفتحت البراعم واتخذت حلة جديدة، حينما هلت بشائر الربيع.[1]
- وارتفعت رياح الصبا فوق روضة الأزهار شوقاً، كما ظللت سحابة الربيع الورد والبراعم
- وقد بلغت الطبيعة من اللطافة حدًّا، ليس من المستغرب لو صارت وردة المائة ورقه عشاً للبلبل الهزاري.
- ودبت الحياة فى كل أرجاء الحديقة، فليس عجباً أن تنبت الخضرة على الجدران.

---

1 - كليات قارى ص 229.

- ومن اعتدال هواء الربيع لا تتعجب، لو نبت الرمان من جذوة النيران.
- ومن كثرة ما منح النسيم للعالم من نضارة، تشتبه عليك زهرة النار بحبة الرمان.
- لقد أصبح نسيم الصبا بائعاً للعطر من نكهة السنبل، وفتح المرج جعبته من أنواع الزهور والورود.
- وعندما تفتحت الزهور الصفراء في جو الحديقة، أصبحت السيقان الخضراء وكأنها نسيج ذهبي اللون.
- ومن نضارة الصحراء والوادي، يرفع غصن الورد عنقه من أعلى الجدران ناظراً إليهم.
- وتخطف نضارة الزهور الحمراء نظر المتنزه، ويزيده طرباً **تلألؤ الربيع الدائم.**
ومن جمال الهواء يبتسم الفم، وصار العالم كالبستان من كثرة الأزهار
- يمنحنا نسيم شهر الحمل باقة زهور جميلة، ورسم الربيع على وجه العالم آلاف النقوش الجميلة.
- وحينما أظهر السنبل جديلته، كتب الدهر الاستمتاع بالحب على ورق الورد.
- لا تتعجب إذا رقصت جماعة من النساء، فإن أشجار الشنار رأت الورود ضاحكة .
- من الذى يعلم عدد الفضة النقية الآن ؟، وماذا حدث حتى امتلأت أكف البراعم بذهب لا حصر له.
- أنا فى حيرة، أى خمر هذا الذى وضع فى قدح الورد، ثمل منه البلبل ومازال البستانى منتبهً.
- واحتضنت الأشجار جداول الماء الجاري، وكأنها متعطشة للقبلات والأحضان.
- لقد أحيت رياح الصبا الموتى فى المروج، فلماذا ظل النرجس عليلاً إلى الآن.
- من كثرة ما منح الهواء اللطف للخميلة، لا ترى فرق بين شرايين الورد وأثر الأشواك.
- ومع أن الزاهد متعباً نحيلاً كعصاة جافة، لكن تكبر عمامته بفضل الربيع
- ولأننى الآن أشتاق إلى التنزه، فسوف أفتح باب الحديقة من جانب آخر[1].

ويستمر قارى فى وصف الربيع فى مطلع آخر للقصيدة فيقول:

---

1 - كليات قارى ص 229.

المطلع الثاني

- أتت سحابة الربيع وهى حبلى بالجواهر، لكى تنثرها على رأسه.
- فى بلاط الخميلة وبحضور ملك الورد، جاءت الفاتنات ذوات القدود السروية جماعات جماعات.
- ودوّى صوت رعد فروردين "معلنا الحياة" فى البستان، ورفعت جموع السرو السامقة أعلام جميلة.
- واتخذ الأفق كمانه من قوس قزح، كما أخذ غصن الورد من البراعم مقلاعاً.
- وعادت الحياة إلى الأرض، لم يعد يبقى أى أثر للذبول.
- وبدأت البذور تنبت من الأرض، وكأن الموتى قد رفعوا رؤوسهم من التراب.
- وانتشرت بشائر الربيع في كل مكان، عندما ركبت الرائحة الزكية رياح الصبا
- تستطيع أن تدرك تدفق أمواج النماء في هذا الفصل، من خلال نضارة شفاه الحسان خلال ثغرات الأسوار والجدران.[1]
- بدت الخميلة وكأنها مرآة من قطرت الندى، وأضاءت الشقائق الصحارى وكأنها مصابيح.
- انظر إلى عظمة ملك الورد فى الخميلة، وقد اتخذ على رأسه مظلة من ريش الطير وكأنه سليمان.
- وغمر ضياء القمر العالم بأسره، وصار الليل كأمواج نور من بياض زهرة النسرين.
- كيف لا يختال الياسمين بأغصانه، وقد صار مثل ليلى تجلس فى الهودج على نافتها.
- أيتها الرياح العاتية لقد رحل عنك وجه البنفسج، فلا تعصفى بالخمائل الرقيقة.
- لست أدرى بماذا همس نسيم السحر فى أذن البراعم، من كثرة ما ضحكا سوياً[2].

ويدعو قارى مواطنيه إلى التشبه بمظاهر الطبيعة فى فصل الربيع ويحثهم على الشكر والسعى والاجتهاد والعمل بما ينفع الناس كمخلوقات البستان فى الربيع فيقول:

- كن شاكراً لأن ربيع الوطن يبعث على السعادة، وأحن رأسك ساجداً كالشلال فى الغابة.

---

1 - كليات قارى ص 229، 230.

2 - كليات قارى ص 231.

- ينقضى ربيع الحياة سريعاً كعمر الورد، فلا تدع فرصة الاستمتاع به تفوتك.
- وتعال فإن الحياة قائمة بالخميلة، لماذا تنام كميت متعباً بلا عمل.
- إذا لم تزهر أغصانك فى هذا الربيع، فكيف إذاً تثمر فروع آمالك وأحلامك؟.
- إذا كنت تريد مرتعا من الآمال الجديدة، كن نافعاً للخلق مثل السحب المحملة بالأمطار.
- الحياة مجال للعمل لى ولك، فألقى بالبذور فى الأرض كى تجنى الثمار.
- وبفضل الجهد ينتج النحل العسل فى الخلية، وبالسعى يحمل النمل الطعام إلى مخبئه[1].

ويتحدث قارى عن روعة الطبيعة في بلاده، بكل ما تحويه من جبال ووديان وبساتين مليئة بالأزهار وأشجار الفاكهة المتنوعة وجداول المياه الصافية، وما في الغابات من طيور ومخلوقات برية، ويرسم لنا صورة لتتابع الفصول فى كابل ذاكراً اعتدال الهواء فى فصلى الربيع والخريف فيقول:

- إذا صارت الجبال بلون الزمرد بفضل نيسان فقد صار المرج أيضاً بلون الذهب المنثور من تساقط الأوراق فى الخريف.
- ولو ملأ الورد أطراف الخميلة من فيض الربيع، فإن البستان يمتلئ أيضاً بالأوراق والأمطار فى شهر الميزان.
- ويصير الليل والنهار متساويين مرة أخرى، ويظهر الاعتدال على طبع العالم جلياً.
- وتملأ شجرة العنب أطراف الفلك المملوء بالكواكب من ثمار العنب، وتصبغ أغصان الرمان أغصانها بلون الياقوت.
- واتخذت الجداول درعاً فضياً من الأمواج الفضية اللون، وتدثرت الأحواض بالذهب من الأوراق الصفراء.
- وعندما تتساقط قطرات الندى صباحاً على الفضة الخالصة، تصير حبيباتها كالألماس على تاج الورد.
- وقد مالت الأغصان على الأرض من حمل الأوراق والفاكهة، بينما وضعت شجرة العنب سيقانها على الفلك.

---

1 - كليات قارى ص 231.

- تذوب الفاكهة فى الفم من شدة الحلاوة، ولا تتحمل ضغط الأسنان فهى مثل شفة الحبيب الحلوة.
- وعندما يبزغ الربيع بحسنه الباهر اللطيف من الحجب، تكتسى الغياض والرياضى بالحرير الأزرق.
- وعندما صارت أوراق البستان ألواناً مختلفة من الخريف، اكتست قمم الجبال بحرير تنوعت ألوانه.
- يليق بشهر الميزان قدوم المحاصيل والثمار، وأن يضع الليل ذهبه فى الكف لينثره.
- وقد قامت الأشجار بمراسم التعظيم بمحلها، وعلى ذلك النحو مهدت طريق القطار من الجانبين[1].

ثالثاً الفخر فى شعر قاري:

الفخر اصطلاحاً: هو تمدُّح المرء بخصال نفسه و قومه و التحدّث بحسن بلائهم ومكارمهم و أكرم عنصرهم و وفرة قبيلهم و رفعة حسبهم و شهرة شجاعتهم.[2]

والفخر فى الأدب فن من فنون الشعر الغنائى يتغنى فيه الشاعر بنفسه أو بقومه انطلاقا من حب الذات كنزعة إنسانيه طبيعية [3].

والفخر من أدل فنون الأدب على فطرة الإنسان، فهو صدى تطلع النفس إلى ذاتها، والتعبير عن الأثرة التى هي أشد النزعات فيها، والإنسان سجين ذاته يديم النظر فى مرآتها، مستجلياً محاسنها، صابغاً قبائحها بما يجعلها فى ميزانه دون قبائح الناس أجمعين، مقارناً فيما بينها وبين غيرها، وهذا الإيثار للنفس إذا تجسم فى عبارات شعرية كان الفخر.[4]

والفخر الذى ينصب على تعظيم الشاعر لصفاته وتحسين سيئاتها، والتمدح بكرم الخصال والخلال، يسمى بالفخر الذاتي، وأما ما يتجاوز نطاق الذات ليفخر الشاعر

---

1 -كليات قارى ص 220، 221.

2- احمد الهاشمي - جواهر الأدب - ص 343 – الطبعة الأولى 1410هـ

3- سراج الدين محمد – الفخر فى الشعر العربي – ص 5 – سلسلة المبدعون – بيروت لبنان " بدون تاريخ طبع "

4- حنا الفاخورى – الفخر والحماسة – ص 5 – الطبعة الخامسة - دار المعارف –القاهرة – 1992 م .

بفضائل قومه، ويطرى على أمجادهم فيسمى بالفخر الجماعي، وبواعث الفخر كثيرة منها الداخلى الصادر عن نفس طموح، ومنها الخارجى وهو الذى تثيره المكايدة والعداوة والانتقاد، ومعانى الفخر متعددة ومتنوعة أبرزها، الفخر بالشجاعة والشرف، وطيب المحتد والسؤدد والكرم والحلم وحصافة الرأى والفصاحة والبيان إلى غير ذلك .[1]

ولما كان الفخر من نتائج العاطفة الشديدة والانفعال العميق، فقد حفل بالمغالاة وبرزت فيه الحقائق التاريخية بجلباب العاطفة والخيال، واشتدت فيه الأساليب الكلامية والألفاظ والحروف [2].

والفخر من صفات الشعب الأفغانى ومن الموضوعات التى تغنوا بها فى أشعارهم، لكنهم لا يبالغون فى الفخر والتمدح ولا يسرفون فى ذلك، ومن الملاحظ أن الشعراء الأفغان يستمدون مفاخرهم من المظاهر الصادقة دون مغالاة أو مبالغة، وأن مفاخرهم مستمدة من الأخلاق الإسلامية فى الأعراق الأفغانية التى ينتمون إليها ولا يفاخرون بمظاهرهم الشخصية الخاصة [3].

والفخر من أقل الفنون الشعرية التى نظم فيها قارى، فرغم غزارة إنتاجه الشعرى إلا أن أشعار الفخر عنده لا تتعدى خمسة وعشرين بيتا من الشعر، وهى أبيات متناثرة فى بعض غزلياته وقصائده، حتى إنها دائما ما تأتى فى نهاية الغزلية أو القصيدة ولم تستقل بواحدة منها، فلم يكن قارى متعاظما ولا مغروراً بل كان شديد التواضع والتقى .

وقد انحصرت أبيات الفخر عند قارى فى فخره بأشعاره وأسلوبه فى النظم مطرياً فصاحته ورصانة أسلوبه ومتانته، مما يجعل عشاقه يمتدحونه ويعلون من قدره وفى ذلك يقول :

- إن العاشق قد مدح فضائلى وطبعى السليم، إن طبع قارى الشعرى يتميز بالرصانة

1- د. يحيى شامي - أروع ما قيل فى الفخر - ص 5،6،7 – الطبعة الأولى - دار الفكر العربي بيروت 1992 م.

2- حنا الفاخورى – الفخر والحماسة – ص 6 .

3- د . محمد أمان الصافي – أفغانستان والأدب العربي عبر العصور – ص 573 .

والمتانة.[1]

ويفخر بتفرده وقوته فى النظم وعدم قدرة أحد آخر على بلوغ مرتبته **فيقول** :

- لا يضاهيك أحد فى هذه المعركة يا قارى، فقد رأيت قوة ساعدك فى الكلام [2].

ويفتخر بأنه يأتى بكل جديد ولا يسعى للتكرار أو التقليد **فيقول** :

- تسعى لإيجاد المعانى الغريبة يا قارى، فقد سمعنا أن حديثك ليس معاداً أو مكرراً.[3]

وفى التعظيم من شأن أشعاره يشبهها، بمثنوى «سحر حلال» للشاعر آهلى الشيرازى هذا المثنوى الذى يعد أحد عجائب فن الشعر الإيرانى وطلاسمه ويمكن قراءة هذا المثنوى بوزنين وكل بيت منه له قافيتان.[4]

فيقول :

- هكذا جاء حديثى سحراً حلالاً يا قارى، فلماذا لا يعد الطبع الموزون إعجازا.[5]

ويفخر بأشعاره التى يجعل منها حديقة غناء نضرة غنية بثمار الأشعار **فيقول** :

- الآن أصبحت حديقة الكلام، نضرة يانعة من أشعارى الفصيحة يا قارى[6]

وهو يحب أن يتمثل بشعراء الهندى أمثال بيدل المتوفى (1133 هجرية قمرية الموافق 1711 ميلادية) وكليم كاشانى المتوفى (1061 هـ ق الموافق 1641 م) ويقر بشغفه بأسلوبهما الشعرى واصفا أشعاره بأنها وصلت الى مرتبة الكمال بسبب تأثره بهما **فيقول** :

- هكذا أصبحت شغوفا بأسلوب بيدل يا قارى، فإذا لم تكن مثل كليم فى النظم والكلام فكيف يكون كمالك [7].

---

1 -كليات قارى ص66

2- كليات قارى ص24

3- كليات قارى ص85 .

4- يحيى آرين پور – از صبا تا نيما - ص 11- چاپ هفتم انتشارات زوار- تهران 1372 هـ ش

5- كليات قارى ص44

6- كليات قارى ص68

7- كليات قارى ص54 .

- وفى تمثله بكليم الكاشانى أيضا يتغنى بشاعريته ويذكر مقدرته فى الغزل ويؤكد على أن نظمه هو درباً من دروب الإعجاز **فيقول** :

لقد وجد كلامك فيضا من الشاعر كليم ذوى النغم الجميل يا قارى، إن طبعك وقريحتك فى الغزل والكلام تتحقق فيها المعجزة [1].

ويؤكد قارى على رفعة شعره حتى أنه يدعى بأن " كليم " نفسه قد يغيب عن وعيه إذا قرأ أشعاره **فيقول** :

- يا قارى قد يغيب كليم عن وعيه من ذوق كلامي، لو حملوا هذا الغزل الجديد مني إلى إيران [2].

ويشبه أشعاره بالجواهر النفيسة التى تجذب الآذان **فيقول** :

- حديثك الأخاذ لا يجذب العاشقين يا قارى، مع أن كلامك هو الجواهر ذاتها.[3]

ومشبها أشعاره بأنها اللآلئ التى تأتى من باطن البحار **فيقول** :

- يحق لطبعك أن يأتى بالجواهر يا قارى، وان يغوص فى بحر محيط الخيال.[4]

ويقيم أشعاره بوضعها فى مرتبة عالية ويجعل دونها بقية الأشعار **فيقول**:

- تتحطم قيمة النظم الذى يجذب قلبى يا قارى، لو تستمع إلى هذا الجوهر الثمين[5].

وجاعلاً الجواهر النفيسة دون حديثة العذب فى القيمة **قائلاً** :

- لا يعرف جوهر حديثك العذب يا قارى، كل من يتحدث أمامك عن مخزن الجواهر[6].

وكم نسمعه يتغنى بمكانته الشعرية مصورا أفكاره بأنها فى شده سطوع الشمس وبأن كلماته كلآلئ **فيقول** :

1- كليات قارى ص60 .

2- كليات قارى ص170 .

3 -كليات قارى ص64 .

4- كليات قارى ص97 .

5- كليات قارى ص67 .

6- كليات قارى ص73.

- أصبحت الشمس مطلعي يا قارى ، وأصبح الكلام مضاء من طبعي[1].

ويفخر قارى بأشعاره ويصفها بأنها الماء الباعث على الحياة **فيقول** :

- يا قارى ينساب ماء الجوهر فى بحر أشعاري، إذا ما قمت بنظم هذا اللون من شفتيه الياقوتيتين [2].

ويوضح جمال أسلوبه وتفرده في النظم **فيقول**:

- كيف يتأتى لك هذا الأسلوب الجميل والحديث البليغ، إذا لم يكن لك في النظم أسلوب مميز يا قارى [3].

وواصفا أشعاره بأنها لا تصدر عن القلم وإنما هى جزء منه كأبنائه الأحباء، فيقول:

- لا يقطر الحديث من عين القلم يا قارى، فالحديث فى نظرى مثل الابن الحبيب [4].

وفى تقرير بعلو قدره يجعل أهمية أشعاره مرتبطة بكونها من إبداعه، وأن أهميتها تنبع من مكانة قارى نفسه يتحدث **قائلاً** :

- لقد أقمت وزن الكلام يا قارى، إن مضامينك العالية قد سلبت العنان من الأيادى والأكف[5]

وبين قدرته على امتلاك الصنعة وتمكنه من النظم والتضمين **فيقول** :

- إن لمضامينك مكانة عالية يا قارى، بما تضمنه من مصاريع موزونة راقية [6]

ويشبه روعة كلماته بسيقان النرجس **فيقول** :

يصير قلمي عوداً من النرجس يا قارى، عندما أكتب حديث عيونه الثملة [7].

والشاعر دائما ما يحب أن يكون شخصية متفردة وهو يحاول أن يؤكد تفرده بأن يسعى بكل طاقته لأن يترك بصمته الشخصية على أعماله الأدبية التى يضطلع بها وما

1- كليات قارى ص28 .

2- كليات قارى ص176 .

3- كليات قارى ص75 .

4- كليات قارى ص75

5- كليات قارى ص36 .

6- كليات قارى ص196

7- كليات قارى ص176 .

يتركه من آثار وأشعار [1]

ويؤكد قارى على ظهور آثار بصمته على أشعاره **فيقول :**

- إننى أفخر بقلمك الموزون يا قارى، حيث ترك آثاره على الديوان[2].

ويقول :

- لو ينسبون المرآة إلى الإسكندر، فقد تركنا علامات فى هذا العالم من طبعنا الفياض الوضاء [3].

فقد جعل إنتاجه الأدبى هو أثره الخالد والعلامة المضيئة التى تخلد ذكره عبر الزمان، كما أن مرآة الإسكندر هى من آثاره الخالدة.

وإذا نظرنا إلى الأبيات السابقة لا نرى بينها ما يفخر فيه قارى بقومه مباهيا بمكارمهم أو معدداً مناقبهم، ورغم أنه كان متدينا حافظاً للقرآن تقيا ورعا متصوفا لم يفخر بنفسه ولا بخلقه القويم، وترفعه عن الدنية مهما كان من اشتداد النوائب وإيقاعها به أو بنفسه الأبية أو بعلمه، وغير ذلك من الصفات المعروفة عنه والتى شهد له بها معاصروه – وسبق أن تحدثنا عنها – كما لم نلمح فى أشعاره علامات الزهو والكبرياء، ولم يفخر بصفات أدبية كالشجاعة والكرم والذكاء كما لم نراه يفتخر باتصاله بأمراء وحكام عصره رغم اقترابه منهم واحتلاله مكانه المرشد والمعلم لأبنائهم كما سبق أن ذكرنا أيضا .

وإذا حاولنا طرح سؤال يفرض نفسه الآن : وهو لماذا لم ينظم قارى الكثير من أشعار الفخر مثلما نظم فى غيره من الفنون والأغراض الأخرى؟

نستطيع القول بأن ذلك قد يرجع إلى أنه لم يكن لديه علة يريد تحويل الأذهان عنها، أو يخشى أن تحول دون تقدير الناس له، فهو شاعر محبوب امتلأت حياته بالأصدقاء وطلاب العلم كما كان شديد التفاعل مع مجتمعه محبا لكل من حوله، فإذا نظرنا إلى

---

1 -يوسف ميخائيل أسعد – سيكولوجيا الإبداع فى الفن والأدب - ص 77 - القاهرة – 1986 م.

2 -كليات قارى ص95 .

3- كليات قارى ص25

بعض الشعراء الذين يكثرون الفخر بأنفسهم، كأبي الطيب المتنبي[1] مثلا الذى كان شاعرا عظيما خُلّد مع فنّه و شعره، فقد كان شاعراً كما يبيّن فى شعره متكبراً أبيّاً معجباً بذاته،و قد سيطرت عليه أخلاقه هذه و لعبت بحياته. فجعلته متعالياً على شعراء وقته عزوفاً عن مسايرتهم، و كان عدا ذلك حاقداً على الناس يحقرهم و يطوى كشحه لهم على الموجدة و الضغينة، و ذلك أثرٌ من آثار اعتداده بنفسه و طموحه إلى السؤدد ثمّ قصوره عن بلوغ أمله، و ممّا أثر عن المتنبى أنه كان بخيلاً، حريصاً على المال ليبلغ به غايته و يستعين به على تحقيق آماله الجسام و أحلامه الواسعة.[2]

وقد كانت روح الفخر – و الفخر بنفسه – شائعة فى جميع أغراض شعر المتنبى، فهو لا ينسى نفسه حين يتحدّث عن أى غرض شعرى فقد كان صريحاً جريئاً فى التعبير عنها وأثناء قراءتنا لقصائده الفخرية فإننا نتلمّس فيها روحه و طموحه.[3]

فالأشخاص كثيرو الفخر بأنفسهم دائما ما يكون لديهم علل نفسية كامنة فى ذواتهم وهو ما يسمى فى علم النفس بالنرجسية .

ويمكن تمييز الشخص النرجسى من خلال نمط واحد هو نمط الشخص الذى يظهر كل علامات الإعجاب بالذات، وهو عندما يقول بعض الكلمات التافهة يشعر كما لو قال شيئاً ما ذا أهمية عظيمة، وهو عادة لا يصغى لما يقوله الآخرون، كما يمكن تمييز الشخصية النرجسية أيضا من خلال حساسيتها لأى نوع من النقد، وقد يتم التعبير عن هذه الحاسة من خلال إنكار صحة أى نقد، أو الرد بغضب أو اكتئاب، وأيا كانت مظاهر

1 -أبو الطيب أحمد بن الحسين المعروف بالمتنبي من أصل عربي ينتهي إلي كهلان من القحطانية، وُلد في الكوفة سنة (915م، 303هـ) مِن أسرة وضيعة في محلة تدعي «كندة» فنُسب إليها ، و كان أبوه سقّاء في الكوفة يستسقي علي جمله لأهل محلة كندة و يعرفه القوم بعبدان السقاء ، و المرجّح أنّ أمه ماتت و هو طفل فقامت له جدّته مقام الأم، ونشأ الفتي في الكوفة أحد مواطن الحضارة العباسية و أهمّ موطن للشيعة ، وقد اشتهر بقوة الذاكرة و شدة النباهة و الذكاء والجدّ في النظر إلي الحياة و المقدرة علي نظم الشعر، وقتل بالقرب من مكان يسمي دير العاقول بين واسط وبغداد فى سنة 354هـ- شوقي ضيف تاريخ الأدب العربي

(عصر الدول والإمارات) ص341 – دار المعارف مصر 1919 م ،. طه حسين – مع المتنبي - ص 374 – الطبعة الثالثة عشر – دار المعارف القاهرة1986 م.

2 -عبد الرحمن البرقوقي - شرح ديوان المتنبي جـ 1 – ص 46 ، 47 - بيروت،1422هـ

3 -سمير محمد كبريت - روائع الشعر العربي (أبو الطيب المتنبي ، حياته وخصائصه) - ص50 – لبنان 1422 هـ .

النرجسية فان نقص الاهتمام الأصيل بالعالم الخارجي يشكل سمة مشتركة بين كل أشكال النرجسية .(1)

ويحيل فرويد تصرفات الإنسان إلى مراحل الطفولة، فيذكر أن الحالة الأصلية للإنسان منذ كونه جنيناً وفى طفولته المبكرة هى حالة النرجسية الأولية التى لا توجد فيها أية علاقة بالعالم الخارجي، وفى سياق التطور الطبيعى يبدأ الطفل بزيادة علاقاته بالعالم الخارجي، والشخص الطبيعى هو شخص تناقصت نرجسيته إلى الحد الأدنى المقبول اجتماعياً.(2) والنرجسية هى شغف لا يمكن مقارنة شدتها فى العديد من الأفراد إلا بالنزعات الحسية والرغبة بالبقاء أحياء (3)

ولم نر فى أشعار قارى ما يوحى بوجود نزعات حسية لديه، كما لم يكن شديد الحرص على الحياة، بل كان شخص مؤمناً بالقضاء والقدر **فهو القائل** :

- ولأن فرصة البقاء فى هذه الحياة المؤلمة قد صارت منعدمة، فطوبى لمن يقدم على ذلك بخطىً ثابتة.
- فالدنيا مقام غرور وليست للراحة، فلماذا تفكر فى البقاء فى هذه الخرابة ؟!
- وأقطع أشجار الروضة القدسية من هذه الخميلة، فلا تكن مثل نبتة خضراء نمت بأصول غريبة .(4)

والنرجسية المتطرفة تجعل الإنسان غير مبال بالآخرين، وعاجز عن منح المركز الثانى لحاجاته، وهى تجعله غير اجتماعى وذلك عندما تصل حدها المتطرف.(5)

ولم يكن قارى كذلك، فعلى الرغم من أنه قد افتخر بأشعاره إلا أننا نجده أيضا يمدح غيره من شعراء عصره ويثنى على أشعارهم أمثال شائق ومستغنى وبيتاب وغيرهم ممن سبق الحديث عنهم فى الباب الثانى عند ذكر علاقة بأصدقائه .

والنرجسية على شكلين: حميد وخبيث، **فى الشكل الحميد** يظهر موضوع

---

1 -إيرش فروم – جوهر الإنسان – ترجمة سلام خير بك – ص 91 ، 92 –الطبعة الأولي اللاذقية سوريا 2011 م.

2 -إيرش فروم – جوهر الإنسان – ص 82 ، 83 .

3 -نفس المرجع – ص 94.

4 - كليات قارى ص 265.

5- إيرش فروم - جوهر الإنسان – ص 95 .

النرجسية نتيجة لجهود الشخص، وبالتالى قد يمتلك النرجسى فخراً بعمله، وبقدر ما تكون نرجسيته بقدر ما يوازن باستمرار اهتمامه الحصرى بعمله وإنجازه " هو " وبالتالى فإن آلية النرجسية الحميدة هى آلية فحص الذات، والطاقة التى تحدث العمل هى إلى حد كبير ذات طبيعة نرجسية، إلا أن العمل نفسه يخلق ضرورة ارتباط بالواقع، فتكبح تلك النرجسية باستمرار وتبقيها محدودة، وقد يفسر ذلك سبب وجود العديد من النرجسيين الذين يتميزون فى الوقت ذاته بإبداع هائل .[1]

وهذا الشكل من النرجسية الحميدة قد يتطابق مع شخصية شاعرنا إلى حد ما، فإن اعتزاز قارى بشاعريته التى سمت به إلى أرفع مقام بين شعراء عصره إنما هو اعتزاز بما تحقق فى واقع الحياة وليس أملاً يراود خاطره، وهو تغنٍ واعتزاز بما كسبه بنفسه وحققه، لا بما ورثه عن أب أو تلقاه عن جد، والناس أكثر تقديراً للعصاميين الذين شقوا طريقهم فى الحياة بأنفسهم .

أما النرجسية الخبيثة فلا يكون موضوع الفخر فيها بأى شيء يفعله الشخص أو ينتجه، بل بشيء يمتلكه على سبيل المثال جسمه، مظهره، صحته، ثروته إلخ، وتكمن الطبيعة الخبيثة لهذا النمط فى حقيقة افتقاره للعنصر الإبداعى الذى نجده فى النمط الحميد، فإذا كنت عظيماً بسبب صفة ما أمتلكها وليس بسبب شيء ما أنجزته، لن أحتاج للارتباط بأى شخص أو شيء آخر، كما لن أحتاج لبذل أى جهد،وفى محاولة للحفاظ على صورة عظمتى أعزل نفسى شيئا فشيئا عن الواقع.[2]

وبتحليل هذا الشكل من النرجسية نراه بعيدا كل البعد عن شخصية شاعرنا قارى عبد الله خان، فعلاوة على أننا لم نجد بين طيات أشعاره أى بيت من الشعر يدل على انه افتخر بشيء غير إنتاجه الأدبي، فقد كان أيضا شخصاً اجتماعياً ولم ينعزل مطلقاً عن واقع الحياة وكان يدعو إلى مواصلة الجد والعمل بصورة جماعية .

ويرجع ذلك إلى نشأة قارى الدينية وحفظه للقرآن الكريم منذ صغره، وتلقيه للعلوم الدينية واتجاهه فى النهاية إلى التصوف – كما سبق إن ذكرنا عند الحديث عن نشأة قارى – فإنتاج كل شاعر هو انعكاس صادق لمراحل حياته المختلفة .

1- نفس المرجع – ص 100 ، 101 .

2 - إيرش فروم – جوهر الإنسان – ص 101 .

فالشعر هو صورة معبرة تعبيرا حقيقياً عن المجتمع الذى يحيا فيه الشاعر والذى تربى فى أحضانه منذ نعومة أظفاره، وقد تفاعل مع مقوماته المتباينة .[1]

" فكيف لا يشعر الشاعر الذى لا يصدر كلامه إلا من وحى إحساسه وقبض قريحته بوجود صلة بين أحداث حياته الواقعية وبين ما يرد فى قصائده من أحداث وصور.[2]

وعادة ما يكون جلُّ إنتاج الشاعر متصلاً اتصالاً وثيقاً بحياته، ولا يستلزم هذا أن تكون حياته بكل حوادثها مصورة فى شعره، إذ هو حين يحاول النظم فى موضوع ما فهو ينظر إليه من خلال نفسه متلمساً فى سبيل ذلك كل صلة ممكنة بين حياته وأفكاره التى هى جزء منها، فإذا ما خلا بنفسه استعداداً للنظم يكون غير مقيد بمنهج خاص أو خطة مرسومة، وحين يلج إلى عتبات القصيدة تنكشف أمام ناظريه صورة حياته كلها فينتقل من واحدة لأخرى، حتى يبلغ أشدها مساساً بموضوعه فيقف عندها وحينئذ تشرق ساحتها إشراقا تاماً ويتضاءل ما عداها. [3]

ومما يتقدم يتبين لنا شدة الصلة بين شعر قارى ووقائع حياته، فليس شعره فى ذاته إلا تعبيراً عن هذه الوقائع دون تصرف – فى أغلب الأحيان – يستثنى من ذلك بالطبع أشعاره الصوفية التى عادة ما يكون مبعثها ثقافته وقراءته ووجهة نظره الخاصة فى التاريخ والتراث والدين، وعلاقة الفرد بالآخرين وبنفسه وبخالقه .

---

1 -يوسف ميخائيل أسعد – سيكولوجيا الإبداع في الفن والأدب – ص 69 .

2 -د . مصطفي سويف – الأسس النفسية للإبداع الفني ، فى الشعر خاصة –ص 221 – الطبعة الثالثة - دار المعارف القاهرة 1969 م .

3 -د . مصطفي سويف – الأسس النفسية للإبداع الفني ، في الشعر خاصة – 227 ، 228 .

الفصل الثالث

أسلوب قارى وخصائص أشعاره

أسلوب قارى:

على الرغم من أن قارى قد نظم العديد من الأشعار بالسبك الخراسانى والعراقي، فإن السمة الغالبة على شعره أنه كان يتبع السبك الهندي، وخاصة فى غزلياته التى جاءت على غرار شعر بيدل، ويرجع ذلك إلى افتتانه وإعجابه وتأثره الشديد بهذا الشاعر، وعن ذلك كتب فيض محمد خان زكريا قائلاً:

"لقد كان قارى يحب سبك شعراء الهند كثيراً، وكان كلام ميرزا عبد القادر بيدل يخلق ذوقاً ووجداً خاصاً فى طبيعة ومزاج قارى ويجعله يرتجف ويذرف الدمع من عينيه"[1].

وكان قارى من أبرز الدارسين والباحثين فى تراث بيدل، وقد كتب العديد من المقالات حول فكر بيدل وآثاره، ولأن شاعرنا كان عارفا باللغات التركية والعربية والأوردية فقد ترجم العديد من المقالات التى كتبت بتلك اللغات عن بيدل[2]. كما شارك فى تحقيق وكتابة مجموع مقالات تحت عنوان: سى مقالة دربارة بيدل "ثلاثون مقالة عن بيدل" وهى تحتوى على ثلاثين مقالاً كتبها مجموعة باحثين من أفغانستان وإيران والهند وباكستان فى حوالى أربعمائة وواحد صفحة وتناولت موضوعات مختلفة ومتنوعة[3].

ولقارى مقالة باللغة الفارسية تحت عنوان "ميرزا عبد القادر بيدل" تم نشرها فى مجلة كابل سنة 1351 هجرية قمرية الموافق 1931 ميلادية، كما ألف أيضاً كتاباً فى

---

1 - فيض محمد خان زكريا – مقالة في مقدمة كليات قارى – ص 8.

2 - صدر الدين عيني – ميرزا عبد القادر بيدل – ص 45 - چاپ أول تهران 1384 هـ ش.

3 - صدر الدين عيني – ميرزا عبد القادر بيدل – ص 49.

الأدب بعنوان "ميرزا بيدل" كان يُدرَّس للصف الثاني الإعدادي، وتم طبعه بالمطبعة العامة بكابل سنة 1352 هجرية قمرية الموافق 1932 ميلادية. كما ترجم مقالاً آخر عن اللغة التركية تحت عنوان ميرزا عبد القادر بيدل، تم نشره في مجلة آينيه عرفان العدد التاسع سنة 1352 هجرية قمرية الموافق 1932 ميلادية[1].

ومن هنا وجد شعر بيدل رواجاً بين شعراء أفغانستان وصار ديوانه يدرس في أكثر مدارسها، كما كان وجوده شيئاً أساسياً في المنازل، وفي كلية الآداب بجامعة كابل توجد مادة في قسم اللغة الفارسية السنة الرابعة تعرف باسم "بيدل شناسي"، وعندما طبع ديوان بيدل للمرة الأولى في عهد الأمير حبيب الله خان 1319 – 1337 هجرية قمرية الموافق 1901 – 1919 ميلادية، كان ذلك بتحقيق ملك الشعراء قارى عبد الله وجمع من فضلاء بخارا[2].

ويصرح قارى في مواضع عديدة من أشعاره بتأثير بيدل عليه وبإتباعه للسبك الهندى **فيقول:**

- هكذا صرت عاشقاً شغوفاً لسبك بيدل يا قارى، فلو لم تكن مثل كليم في الكلام فكيف يكون كمالك[3].

ويقول أيضاً:

- عندما يسمع قارى كلام بيدل ويتمعنه، تنساب الكلمات البليغة من فمه في كل وقت[4].
- ويستشهد قارى في أشعاره بقول بيدل متخذاً منه الحكمة والموعظة **فيقول:**
- لا تترك الغفلة تتمكن منك يا قارى لأن بيدل قال، إن الإنسان إذا غفل قليلاً يصبح حماراً[5].

ونستطيع القول بأن هذا التعلق بفكر بيدل وسبكه جعل بعض أشعار قارى وخاصة

---

1 - صدر الدين عيني – ميرزا عبد القادر بيدل – ص 51.

2 - سيد رضا محمدي – مقال تحت عنوان – بيدل گرايي در فارسي معاصر – على الرابط الإلكتروني – جديد آنلاين – دانش نامه آريانا.

3 - (كليات قارى - ص 52)

4 - (كليات قارى - ص 93)

5 - (كليات قارى - ص 122).

غزلياته تتسم بالتعقيد والميل إلى اتجاهات فلسفية وصوفية أحيانا، ويتحدث بيدل عن سبكة الشعرى قائلاً:

- إن معانى الدقيقة تحتاج إلى فهم ثاقب، سير فكرى ليس سهلاً فأنا جبل وتل[1].

ولم يقتصر إعجاب قارى بالسبك الهندى على تقليده وتأثره ببيدل فقط وإنما امتد ذلك إلى شعراء آخرين ممن نظموا أشعاراً بنفس الأسلوب أمثال كليم كاشانى المتوفى عام 1061هجرية قمرية الموافق 1642 ميلادية، وصائب التبريزى المتوفى عام 1279 هجرية قمرية الموافق 1859 ميلادية فنراه يصرح بتأثره بكليم قائلاً:

- لقد وجد كلامك فيض من كليم ذى النعم الجميل يا قارى، إن طبعك وقريحتك فى الغزل والكلام يتحقق فيها المعجزة[2].

وعن تأثره بصائب يقول قارى:

- لقد أصبحت مريداً لصائب حلو الكلام يا قارى، وأصاب نفسه الحار القلب بآلاف من الفيوض والمعاني[3].

- ويقول أيضاً:

- على الرغم من أن طبعك فى النظم يشبه سبك الهند يا قارى، فإننا أيضاً نكتسب الفن عن الإيرانيين[4].

ولقد انعكست أصداء المتغيرات السياسية وحصول أفغانستان على الاستقلال، على الناحية الفكرية، فأدى ذلك إلى ميل الشعراء للكتابة بأسلوب بسيط يتماشى مع أجواء العصر، فاتجهوا إلى النظم بأسلوب ما يسمى بفترة "العودة إلى القديم" ونهج قارى هذا الأسلوب في بعض كتاباته[5].

---

1 - د. محمد محمد يونس – أبو المعاني ميرزا عبد القادر بيدل مدخل إلى دراسته - ص 216 - القاهرة 1991م.

2 - (كليات قارى - ص 60).

3 - (كليات قارى - ص 140).

4 - (كليات قارى ص 128).

5 - مقدمة كيات قارى ص2.

يقول قارى:

- لقد تركت محيط السبك القديم الذى كان رائجاً، بعد أن كان لقلمى فيه مكانة بارزة.
- نعم فإن طبع المحيط جياش الأمواج وتقلبها، وهكذا يكون حال العالم دائماً عدم الاستقرار[1].

وقد كتب پاينده محمد زهير جامع كليات قارى فى ذلك قائلاً:

- جاء نظمه محموداً بالسبك الهندى، بلون بيدل وصائب وكليم وكمال.[2]
- وكان مقتدياً بسبك كليم، ونظم بهذا السبك ثلاثين عاماً.
- ولكن وجد نظمه لوناً آخر، عندما حصلت مملكتنا على الاستقلال.
- فأخذ النظم والنثر طريقاً سلساً وبسيطاً، سوى ما ظهر بسبك الأخذ عن الغير[3].

وعلى كل حال فإننا إذا نظرنا إلى الخصائص التى وضعها النقاد للسبك الهندى "والذى سبق الحديث عنها فى الحياة الفكرية والأدبية" لوجدنا أنها موجودة عند شاعرنا قارى عبد الله بشكل ملحوظ خاصة فى غزلياته التى جاءت تجسيداً واضحاً لهذا السبك.

خصائص أشعاره:

ويمكت تقسيم خصائص شعر قارى إلى ثلاثة أنواع:

1. أولاً: خصائص لغوية.
2. ثانياً: صناعات أدبية.
3. ثالثاً: خصائص فنية.

---

1 - (كليات قارى - ص2)

2 - كمال خجندى المتوفى (803 هـ ق الموافق 1385 م)

كليم كاشانى المتوفى (1061 هـ ق الموافق 1642م)

صائب التبريزى المتوفى (1279 هـ ق الموافق 1859 م)

3 - (كليات قارى - ص2)

أولاً: الخصائص اللغوية:

من أهم الخصائص اللغوية لشعر قارى:

أ) دقة الخيال والمضامين الجيدة، والبحث عن المعانى الغريبة التى تميزت بها لغته وبيانه الخاص وزخرت بها كتاباته[1].

ويصرح قارى باستخدامه هذه الخاصية فى الشعر قائلاً: -

- كانت لى دقة زائدة فى ربط المضامين، ولى فى رقة الخيال خطاً فى دقة الشعرة[2].

وفى الأبيات التالية تتضح أستاذية قارى ومدى تفوقه فى هذا اللون.

يقول قارى:

- يا رب لكم صرت أتمنى قبلة من شفتيه الياقوتيتين؟، فإن وهج حباب "فقاعات" الخمر ينبع من كأس هذه الشفاه[3].

ويقول أيضاً:

عندما تتفتح الزهور الصفراء فى جو الحديقة، تصبح السيقان الخضراء وكأنها نسيج ذهبى اللون[4].

ويقول:

- عندما يتوجه الزاهد إلى زاوية محراب حاجبيك، فإن قلبه يقطر دماً "كحبات المسبحة[5].

ويتضح لطف بيانه بلون آخر فى هذا البيت، حيث يقول:

1 - شمس الحق آريا نفر – آشنايي باشخصيت هاي كلان أفغانستان – ملك الشعراي قارى عبد الله – مقال على الربط الإلكتروني پيام مجاهد.

2 -كليات قارى - ص 162).

3 - (كليات قارى - ص 186)

4 - (كليات قارى - ص 229)

5 - (كليات قارى - ص 105)

- عندما ارتقيت وتجلى القمر أمام وجهك، وأمام ضحكتك المضيئة لا ينبلج الصباح ثانية[1].

(ب) عمل التراكيب الجديدة:

ومن الخصائص اللغوية في شعر قارى عمل التراكيب الجديدة، فقد استخدم في لغة شعره العبارات والألفاظ المركبة والجديدة والتى لم تكن متداولة على هذا النحو قبل ذلك، أو كان استعمالها يعد أمراً نادراً[2]، ويذخر فضاء شعر قارى بتلك التراكيب نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر. "خوش نگهان" بمعنى فاتنات اللحظ.

يقول قارى:

- أنثر الدمع من العين وأعد نجو الليل، إن التفكير في فاتنات اللحظ أبعد النوم عن عيني[3].

- جامة زيبان بمعنى طهارة الثياب: وقد ورد هذا المعنى في فرهنگ اصطلاحات وتعبيرات عرفاني بلفظ جامه شوئى بمعنى طرد صفات الرذيلة[4].

يقول قارى:

- اجذب طرفك من الأيدى المدنسة، هكذا يكون السلوك إلى طريق طهارة الثياب[5].

آهو نگهان بمعنى نظرات الغزلان

يقول:

لقد صارت كل نظرات الغزلان أسيرة لنظرتك، لا أيها الغزال المدلل إن نظم الغزل ليس طبعاً لك[6].

---

1 - (كليات قارى - ص 158)

2 - محمد رضا شفيعي كدكني – شعر فارسي معاصر در أفغانستان، قارى عبد الله ملك الشعرا – مقال على الرابط الإلكتروني – جديد آنلاين.

3 - (كليات قارى - ص 27)

4 - سيد سجادي– فرهنگ لغات واصطلاحات وتعبيرات عرفاني – ص 151 .

5 - (كليات قارى - ص 58)

6 - (كليات قارى - ص 57)

وحشى غزالان بمعنى الغزال الشارد ولفظ " وحشت" من وجهة نظر المتصوفة بمعنى الوحدة وعدم الاستئناس[1].

يقول قارى:

- مثل المجنون أعشق هذا الغزال الشارد، وفى النهاية يتركنى فى الميدان[2].

"سنبلستان" بمعنى أرض السنبل.

يقول قارى:

- يليق الجنزير بجدائلك المجعد، لو مر بفكره بأرض السنبل عن طريق الخطأ[3].

جـ) امتلاك ناصية اللغة والمهارة فى استخدام الألفاظ المناسبة.

فمن مميزات شعر قارى أنه قوى رصين، وأسلوبه اللغوى مكين متين، مما يدل على دراية تامة باللغة وأساليبها وألفاظها واشتقاقاتها ومترادفاتها، فكان يأتى بالألفاظ الجيدة ويصوغها فى أسلوب رصين[4].

ويعتقد قارى أن وضع المعانى الموزونة فى قالب جيد يؤدى إلى إنتاج أسلوب جيد وغريب، وقد أنشد فى هذا الصدد يمدح أسلوب المستغنى قائلاً:

- ذلك الذى كان يتمتع بالمعانى الرصينة والألفاظ الأصيلة كان له أسلوب جميل وغريب.

- لم تمض لحظة دون حديثة الجميل، فقد كان له فى أسلوب الكلام أطوار عجيبة.

- إن طبعه الذى يهب الحياة عندما يبدأ الكلام، يقوم بعمل المسيح بدون كلام[5]

وتتجلى قوة البيان عند قارى وامتلاكه ناصية اللغة ومقدرته على إيجاد المفاهيم

---

1 - سيد سجادي – فرهنگ لغات واصطلاحات وتعبيرات عرفاني ص 485.

2 - (كليات قارى - ص 95)

3 - (كليات قارى - ص 94)

4 - شمس الحق آريانفر– آشنايي باشخصيت هاي كلان أفغانستان، ملك الشعرا قارى عبد الله – سايت پيام مجاهد.

5 - (كليات قارى - ص 327)

الدقيقة واللطيفة واستخدام الألفاظ والمترادفات بمهارة فى هذا البيت حيث يقول:

- إن وجهه الوردى يجعل وجه البستان وردياً مزهراً، وعارضه الأخضر سيجعل الريحان أسود ذات يوم(1).

ثانياً: الصناعات الأدبية:

يعد قارى عبد الله من أعظم الذين نظموا الشعر الفارسي، فقد نظم أشعاره فى القالب القديم ولكن بمحتوى جديد يتناسب مع مقتضيات عصره، وقد اهتم قارى بالصناعة الأدبية والمحسنات البديعية والبيانية، وأوردها كثيراً فى أشعاره ومنها على سبيل المثال:

أ) التناسب أو مراعاة النظير:

وتكون هذه الصنعة بأن يورد الشاعر فى شعره أشياء متناسبة مع بعضها فى المعنى، وإما أن يكون هذا التناسب من حيث اتحاد الجنس مثل: الشفة والعين والفم، الشمس والقمر والنجم، أو يكون هذا التناسب من حيث التشابه أو التضمين وملازمة أحد هذه الألفاظ للآخر عندما يرد فى الشعر، مثل: الشمع والفراشة، العين والنرجس، القد والسرو وما شابه ذلك(2).

ولقد كان قارى أستاذاً مقتدراً وصاحب مدرسة فى هذا الفن، وقال العلامة صلاح الدين السلجوقى عن تلك المدرسة، "لقد لاقت مدرسة قارى الشعرية التى أسسها فى أخر حياته شهرة واسعة، وأستطيع أن أسمى هذه المدرسة باسم مدرسة التناسب والتداعى وربما لا يوجد نموذج واضح لمثل هذه المدرسة فى الأجواء واللغات الأخرى، وكان لأدب كليم الكاشانى ركناً مهماً فى هذه المدرسة، وأول أسس هذه المدرسة، مراعاة التداعى والتناسب بين الألفاظ والمفاهيم، ولو اعتبرنا هذا الأسلوب من لوازم الشعر، فإن هذه المدرسة بهذه اللوازم تعد من الأساسيات الأولى للشعر.......... ويتابع العلامة

---

1 - (كليات قارى - ص30)

2 - رشيد الدين الوطواط – حدائق السحر في دقائق الشعر – ترجمة د. إبراهيم أمين الشواربي – ص 130 – القاهرة 1945م.

جلال الدين همايى – فنون بلاغت وصناعات أدبي – ص257 -تهران 1345 هـ ش ، 1966م.

سلجوقى حديثه قائلاً:

ومثلما وصل سقراط بالسوفسطائية إلى أوج الفلسفة، ارتقى قارى بهذه المدرسة التى تهتم لغوياً بالتناسب اللفظى ومعنوياً بالحقائق إلى أوج الكمال"[1].

ومن أمثلة التناسب قول قارى:

- سوف أقول لعارضه وجهاً لوجه، إن لك خصلات شعر وجدائل متمردة[2].

فهنا نجد تناسب بين ألفاظ عارض، وجديلة، خصلات الشعر.

ويقول أيضاً:

- بينما يستمتع المتنزهون فى الروض برؤية باقات الزهور اليانعة، تتمايل الزهور وتتماوج من نغمات البلبل الشجية[3].

وفى هذا البيت نجده يراعى التناسب بين كلمات "روضة" "باقات الورد" "شجية" "مضطرب".

ب) الإيهام:

والإيهام فى اللغة بمعنى التخيل وتكون هذه الصنعة بأن يذكر الشاعر فى نظمه ألفاظاً يكون لها معنيان، أحدهما قريب والآخر غريب، فإذا سمعها السامع انصرف خاطره إلى المعنى القريب بينما يكون المراد منها هو المعنى البعيد[4].

- ومن أمثلة الإيهام فى شعر قارى قوله:

- من كثرة نضارة خده الوردى النضير، سلب وجهه الماء من وجه الياسمين[5].

فالشاهد هنا فى كلمة آبَ "بمعنى ماء" فيها إيهام حيث لم يقصد معناه القريب ماء وإنما كان المقصود به النضارة أو القدر والقيمة.

1 - مقدمة كليات قارى - ص 4، 5 مقالة العلامة صلاح الدين السلجوقي.

2 - (كليات قارى ص41).

3 - (كليات قارى - ص42)

4 - د. إبراهيم أمين الشوابي – حدائق السحر في دقائق الشعر ص 135.

حسن عميد – فرهنگ عميد ص 225 – جاب دوازدهم تهران 1377 هـ ش.

5 -كليات قارى - ص 50)

ويقول أيضاً:

وأمام تلك العين المتحدثة بالنظر إلى الحيوان، امض أيها الصينى فقد رأيت غزالك بالخطا[1].

فالإيهام فى هذا البيت فى كلمة خطا حيث إن المعنى القريب للكلمة أن خطا هو اسم إقليم فى تركستان الشرقية الواقعة تحت احتلال الصين، وهى تشتهر بغزلانها المسكية وجمال نسائها[2].

أما المعنى البعيد للكلمة وهو مقصود شاعرنا، أن خطأ بمعنى السهو والاشتباه.

جـ) حسن التعليل:

وتكون هذه الصنعة بأن يذكر الشاعر فى بيت من أبياته صفتين من الصفات ويجعل الواحدة منهما علة للأخرى، وغرض ذلك هو مجرد ذكر هاتين الصفتين، ولكنه يذكرهما بهذه الطريقة حتى يزداد بذلك جمال أسلوبه وإبداع عباراته[3].

ومثال ذلك فى شعر قارى.

- من حسد خال جبينه يا قارى، اضطرب البخور على النار[4].

فإن عدم استقرار حبات البخور على النار هو أمر طبيعي، ولكن قارى جعل علة ذلك الاضطراب هو حسد البخور لجمال خال محبوبه.

ويقول أيضاً:

- من الصعب إدراك مدى طيبة خاطره ولطفه وجماله، فإن خصله شعر الحبيب لا تتجعد بلا سبب[5].

فقد جعل الشاعر، جمال المحبوب وطيبة خاطره سبباً لتجعد جدائله.

---

1 -كليات قارى - ص24)

2 - د. إبراهيم أمين الشواربي – الترجمة العربية لكتاب – حدائق السحر في دقائق الشعر – ص 94.

3 - نفس المرجع، ص189.

4 - (كليات قارى - ص 69)

5 - (كليات قارى - ص 87).

د) تجاهل العارف:

ويكون هذا الفن بأن يورد الشاعر أو الكاتب شيئاً في نظمه أو نثره، ثم يقول لا أعلم إن كان هذا الشيء هكذا أو هكذا؟ فيدعى الجهل به وهو يعلم حقيقته تماماً[1].

ومن أمثلة شعر قارى فى ذلك الفن.

- لا أعلم أين ذهب سروى القامة من هذا البستان، فإن فى البستان قمرى عاشق ولهان يغرد لنا فى كل لحظة[2].

ويقول أيضاً:

- إن له رقةً كتموج الخمر فى الكأس، فما عدت أعلم أهذا زجاج نقى صافٍ أم هو جيده[3].

ويقول:

- هل صار لون الشقائق أرجوانياً من دم قتلى عشقه، ام أنه تلون من لون معشوقى[4].

هـ) إرسال المثل:

ويكون هذا الفن بأن يذكر الشاعر فى بيته مثلاً أو ما يشبه المثل أو حكمة من قول الحكماء، ويكون الهدف من ذلك هو جذب انتباه السامع إلى مقدرة الشاعر الفنية[5].

يزخر شعر قارى بهذا الفن،نذكر منه على سبيل المثال قوله:

– من كثرة ما لدغنا من رؤية جدائلك المجعدة الملتوية، صرنا نرى السنابل حيات ونضطرب[6].

---

1 - جلال الدين همايي – فنون بلاغت وصناعت أدبي – ص 285

– د. زكية الشربيني وآخرون – قواعد اللغة الفارسية وبلاغتها – ص 176 – القاهرة 2009م.

2 - (كليات قارى - ص 194)

3 - (كليات قارى - ص 171).

4 -كليات قارى - ص 206).

5 - د. إبراهيم أمين الشواربي – حدائق السحر في دقائق الشعر ص 155

– جلال الدين همايي – فنون بلاعت وصناعات أدبي – ص299، 300.

6 - (كليات قارى - ص 26).

- ويقابل هذا البيت المثل العامى القائل "من يلدغ من الحية يخشى الحبل".

ويقول قارى:

- من يتابع بالسيف سياسة زمانه، مثل من يمد قدمه بلا مكان كافٍ فى فراشه[1].

ويقابل هذا فى العامية المثل القائل "على قدر لحافك امدد ساقيك".

و) التشبيه:

وتكون هذه الصنعة بأن يشبه الكاتب أو الشاعر شيئاً بشيء آخر فى صفة من صفاته، ويسمى أهل اللغة الشيء الذى يشبهونه "بالمُشبه" والذى يشبهون به "بالمُشبه به"، وأجمل التشبيهات وأكثرها قبولاً لدى الطباع هى تلك التى إذا انعكست وشبه فيها المشبه به بالمشبه فإن الكلام يستقيم مع صحة المعنى وسلامته[2].

ومن أمثلة التشبيه فى شعر قارى قوله:

حفظ الله حسنك الصافى عن النظر والحاسدين، فإن عارضك كالورق الأخضر فى اللبن "الحليب"[3].

وهنا شبه قارى صفاء وجه محبوبة باللبن الحليب وشبه العارض بالورق الأخضر فى اللبن.

ويقول أيضاً:

- إذا صار حاجبك من الدلال كالقوس، فسوف يصبح قلبى المحزون هدفاً لسهامك[4].

وهنا تشبيه مشروط حيث شبه الشاعر الحاجب بالقوس، وجعل ذلك شرطاً حتى يكون القلب مثل مرمى لسهام ذلك القوس.

ز) الاستعارة:

1 - (كليات قارى - ص121).

2 - جلال الدين همايي - فنون بلاغت وصناعات أدبي - ص227.

محمد رضا شفيعى كدكنى - صور خيال در شعر فارسي - ص 47 - كابل 1368 هـ ش= 1989م.

3 - (كليات قارى - ص 66).

4 - (كليات قارى - ص 98).

والاستعارة فى اللغة بمعنى طلب العارية، وفى الاصلاح هى أن يكون للفظ معنى حقيقى فينقله الشاعر من معناه الحقيقى إلى معنى آخر يستعمله فيه على سبيل العارية[1]

ومن أمثلة الاستعارة فى شعر قارى قوله:

- بذكر ياقوتك يقطر الدم من عيني، حتى اجتمعت فيها كل معادن بدخشان.[2].

وفي هذا البيت نجد أن لفظ لعل "الياقوت" مستعار منه والمراد به شفة المحبوب القرمزية التى تشبه الياقوت.

ويقول أيضاً:

- كيف يفتح بنفسه جناح القلب وحاشيته، فليس لمعشوقى اهتمام بالقلب[3].

- وفى هذا البيت استعارة بالكناية، حيث إن لفظ طائر هو مستعارمنه محذوف ولفظ قلب هو المستعار له، فإن الجناح والريش يتعلقان بالطائر لا بالقلب.

ح) السؤال والجواب:

ومن الصناعات الأدبية فى الشعر أن يضمن الشاعر كل بيت سؤالاً وجواباً، أو أن يجعل ذلك فى كل مصراع، والفرس يقدرون هذه الصنعة حق قدرها ويستعملونها فى القصيدة من مطلعها إلى نهايتها على نسق واحد[4].

وقد أنشد قارى قصيدة كاملة فى هذا الفن ومنها قوله:

- قلت له: ما معنى الإنسان فى نظرك؟
قال نور فى بضعة من الجسد من المعرفة.[5]

ثالثاً: الخصائص الفنية:

أ - موسيقى شعره:

1 - د. إبراهيم أمين الشوارب – حدائق السحر في دقائق الشعر – ص122.
2 -كليات قارى - ص 146)
3 - (كليات قارى - ص 124).
4 - د. إبراهيم أمين الشواربي – حدائق السحر في دقائق الشعر – ص 159.
5 - (كليات قارى - ص 281).

إن الشاعر فى كل أمة هو هبة الطبيعة التى ترسل إلى سمعه بأنغامها فتنساب فى داخله وتسبح كالعطر من حوله فإذا هو يحاكيها فى كلامه، وإذا كلامه أناشيد، إنه ليس الكلام الذى ننطق به، إنه كلام يتراقص، كلام لا تزال فيه بقية الأنغام الأولى التى كنا نتناجى بها فى أصل وجودنا، وحين أخذنا نحول صياحنا إلى ألفاظ ذات حروف ومقاطع وحركات، ومع نمو حياتنا الإنسانة ونمو سيطرتنا على هذه المواد التى اتخذناها للبيان مواد الألفاظ والكلمات أخذ الشعر ينمو، ولكن لم يفارقه النغم والنشيد فهو لبه وصميمه[1].

والشعر الفارسي يرتبط منذ أقدم عصوره بفن الغناء ارتباطاً وثيقاً، فالكثرة الغالبة من قصائد هذا الشعر كانت أغاني ترنم بها المغنون وشدا بها الملحنون، ومن الأشياء التى تلفت الانتباه في أفغانستان أن كبار المغنين فيها لحنوا للغناء والشدو مثنويات جلال الدين الرومى المتوفى (672 هـ الموافق 1252 م) وشعر كُلستان وبوستان سعدى الشيرازى المتوفى (691هـ ق الموافق 1272 م) وغزليات حافظ الشيرازى المتوفى (791 هـ ق الموافق 1299 م) ويوسف و زليخيا لعبد الرحمن الجامى المتوفى (898 هـ 1492 م) وأشعار بيدل المتوفى (1133 هـ الموافق 1713 م)، وإذا أخذ المغنى فى الغناء والشدو يصمت السامعون ويهزون رؤوسهم نشوة وطرباً، وكان أكثر الشعراء منذ القدم ينشدون القصائد ثم يلحنونها حتى يتغنون بها[2].

والمتفحص لشعر قارى يجد أنه كان عاشقاً للموسيقي وللنغم الجميل ويهتز نشوة ويميل طرباً إذا أشجاه لحن جميل أو أطربه مغن ماهر، ويصرح قارى بذلك فى غزلية أنشدها في وصف صوت برشنا[3].

قائلاً:

- لقد ارتفع صوت برشنا بلحن جديد هذه الليلة، فدوَّى صوته الخلاب من حنجرة تحيى الأرواح والأفئدة.
- وبلا مغن ضرب مقصورة للعشاق، فأخرجت أصابعه الساحرة أنغاماً آسرة للقلوب.

1 - د. شوقي ضيف – في النقد الأدبي – ص 99 – الطبعة الخامسة – القاهرة – 1977م.

2 - د. عفاف السيد زيدان – شاعر أفغانستان المعاصر خليل الله خليلي – ص 28، 29.

3 - برشنا: هو السيد عبد الغفور برشنا مدير معهد نجات للموسيقى – كليات قارى ص 120.

- إن صوت أنغامه أرق وأرهف من أوراق الورد، وكأن الأصوات الضاحكة للورود أتت من أنغامه.
- لقد نفخ صوته الجذاب الروح في الموسيقى، وأخرجتها أنفاسه العيسوية من الناي.
- لقد جعل الجو راقصاً من اهتزازاته، فإلى أين امتد صدى صوته الذى يمتلئ بالتأثر والشجن.
- ومن شدة براعته في فن التصوير، رسم صورة جميلة من الأنغام والموسيقى على موجات الأثير.
- وتوقف الطائر عن طيرانه والماء عن جريانه، حتى تخرج هذه الأنغام من حنجرته المواتية النضيرة.
- وأخيراً أخبرنا بالله عليك ما هذا النغم ؟، فلقد اقتلع بلحنه الخلاب قلوبنا من مكانها.
- لم يصور عاشق من قبل الصوت بألوانك المبهجة، ولكن الرسام حين رآها رسم للصوت شكلاً وصورة[1].

وإذا تعقبنا قارى فى أشعاره نرى روعة شديدة فى موسيقاه، وهى روعة ترجع إلى احتفاظه بخصائص الموسيقى فى الشعر القديم التى حفرت ألحانها الخالدة في ذاكرته، وقد ألهم قارى منذ تفتحت قريحته الشعرية أن ينهل من الينابيع الأصيلة فى الشعر الفارسى حتى ارتوى من هذه الينابيع وملأ نفسه.

ويعد هذا أمراً لزوميًا حيث لا يستطيع شاعر أو أديب أن يُحدث عملاً أصيلاً بدون ثقافة عميقة، فالأديب لا ينبت فجأة من تلقاء نفسه، بل هو كالشجرة الطيبة تضرب جذورها فى أعماق بعيدة من تربة صالحة ثم تأخذ فى النمو والتكوين، وليست التربة التى تضرب فيها جذور الأديب إلا ما سبقه من نماذج الأدب، وإلا ما شفعت به هذه النماذج من أصول وقواعد وتقاليد لا ليستعيرها فى عمله، وإنما لتفتح أمام عينه الآفاق، فهى وطنه الذى يشب فيه ويغذيه حتى يستوى على ساقه، وليس بصحيح أن أديباً يستطيع أن يقف على قدميه دون أن يثبتها على صخور القلاع التى بناها الأدباء السابقون بسواعدهم[2].

1 - (كليات قارى - ص 120).

2 - د. شوقي ضيف – في النقد الأدبي – ص 176.

فينبغى على الشاعر أن يطلع على ما أحدثت الإنسانية قبله فى فنه حتى تتجمع فى نفسه العزيمة لكى يأتى بما لم يأت به الأولون، وكيف يأتى بالجديد الخالص إن لم يعرف القديم؟[1].

إن الأصالة الحقيقية ليست هى التى ينفصل فى تضاعيفها الشاعر عن التراث الشعرى لقومه، فإن ذلك يعنى الانفكاك من الروح الشعرية لقومه، وهو انفكاك أشد خطراً من الجمود والتقليد، لأنه ينتهى إلى ضرب من الاختلاط والتشويش، من شأنه أن يفصل صاحبه عن أمته، ويقطع علاقته بها، وإذا كنا لا نرتضى هذا الانفكاك فإننا أيضاً لا نرتضى التقليد المسرف ؛ لأنه يؤدى إلى توقف التطور فى حياة الأمة الشعرية، إنما نريد التمثل الحى الذى يعكف فيه الشاعر على ينابيع الشعر القديمة لأمته عكوفاً ينفذ فى أثنائه إلى إحاطة دقيقة بأسرار موسيقاها الشعرية وتذوق مرهف لألحانها وأنغامها[2].

وقد أخذ قارى موسيقى الشعر القديم بكل مقوماتها وخصائصها، ثم تفجرت ملكة الإبداع الموسيقى عنده فأخذ يطوعها ويشكلها وينظم على أنغامها وألحانها حتى تتلاءم مع موسيقى عصره، وعلى هذا النحو استطاع أن يكون لنفسه أسلوباً أصيلاً لا يتحرر من القديم، ولكن فى الوقت نفسه يعبر عن الشاعر وعصره بكل ما يرد من معان وأفكار، وهو أسلوب يقوم على الجزالة والرصانة والمتانة بحيث تؤلف الكلمات ما يشبه البناء الضخم الشاهق، وربما كانت موسيقى شعر قارى من أروع خصاله الفنية، فالدارس لشعره لا يستمع إلى شيء منه حتى يعرفه وإن لم يذكر اسمه، ما دام أنه قد تعود سماع شعره وثبتت فى نفسه نغماته التى تتوالى نغمة حلوة إلى جانب أخرى، إذ نراه يعتصر من الألفاظ والأساليب خير ما فيها من ألحان تسعفه فى ذلك فطرة شعرية رائعة.

ونلمح فى شعر قارى قدرة وبراعة فائقة فى التعبير عن حالته النفيسة وما يختلجها من أفراح وأتراح، ويظهر صدى ذلك فى شعره بشكل جلي، فنراه يعبر عن لحظات

---

1 - نفس المرجع ص 187.

ت. س . إليوت في الشعر والشعراء – ص 25 – ترجمة محمد جديد – دمشق – 1991م.

2 - د. شوقي ضيف - البارودي رائد الشعر الحديث – ص 206 – الطبعة السادسة القاهرة 2006 م.

سعادة ومرح مرت به فيقول:

- أيها المعشوق اليوم يوم البهجة والنشاط، فانهض وأحضر كأساً واثنين للخمر من أجلى.

- لقد تجمعت كل أسباب السعادة، فأقبل أنت أيضا أيها المطرب واعزف الألحان أيها المحبوب.

- وصب لنا الخمر الإفرنجية فى الأقداح أيها الساقي، فقد ثملت الرأس من عين محبوبى الإفرنجي.

- فاليوم يوم هناء وطيب عيش وسرور، وربما أصبح من وصلك متفائلاً محظوظاً[1].

إلا أننا لا نلمح أنغام السعادة والمرح فى شعر قارى إلا حينما يمدح أحد ملوك وأمراء عصره، أو حينما يتغنى فى وصف الوطن وأعياد الاستقلال، ولكن السمة الغالبة على طبيعة قارى هى الحزن والألم، ولذلك لا بد لنا أن نشعر بنغمات الحزن تملأ شعره ويسيطر الأسى عليه، فقد توفى والده وهو فى سن الصبا، ثم رحل عنه معظم أفراد أسرته وأقرباؤه وحتى أبناؤه وأبناء أخواته وهو ما زال على قيد الحياة يتجرع كؤوس الألم والوحدة والحرمان، ومن هنا أحب المراثي وكثرت فى شعره بشكل ملحوظ، فالقارئ لشعره يستطيع بسهولة أن يلمح من خلاله ملامح الحزن والألم فى طبيعة قارى.

ب) أخيلته وصوره الشعرية:

إذا قلنا إن الشعر هو تعبير عن اللحظات الفائقة فى الحياة، فلا بد له من عدة دلالات تكمن فيه، وهى دلالة اللفظ ودلالة الإيقاع ودلالة التصوير، ونقص أى من هذه الدلالات فى الشعر يؤثر فى مدى تعبيره عن التجربة الشعورية الفائقة التى يتصدى لتصويرها، ويغض من قوة الإيحاء عند الآخرين[2].

ونحن الآن بصدد الحديث عن دلالة التصوير والتصوير فن من الفنون الرفيعة، وهو

1 - (كليات قارى - ص 237، 238).

2 - سيد قطب - النقد الأدبي أصوله ومناهجه - ص 80 - الطبعة السادسة - القاهرة 1990م.

يعتمد على دقة وبراعة المصور الذى يستطيع بخياله وقدرته أن يضفى على المناظر المألوفة ألواناً وظلالاً وروحاً حية نابضة تلهب العاطفة وتشحذ الفكر، والخيال أحد الأعمدة الأساسية فى الشعر وهو يستمد صوره ونتائجه من الأشياء الموجودة فى الكون[1].

والخيال هو النافذة التى نستطيع من خلالها أن نصور الأشخاص والأشياء والمعانى ونمثلها شاخصة أمام من نخاطبه ونستثير مشاعره، وهو كذلك عنصر من عناصر الأدب وهو قوة لا بد منها للأديب شاعراً كان أو كاتباً [2].

ومع هذا فهو لا يكون محاكاة حرفية دقيقة للطبيعة أو النفس، فللفنان الحق في تغيير بعض النسب ليخرج لنا صوراً رائعة، وليس فناناً كل من يصور تصويراً حرفياً دقيقاً، لأنه فى هذه الحالة يكون قد قتل روح الإبداع عنده وأصبح كآلة التصوير يصور ما يراه دون أن ينفعل به[3].

فإن الشاعر البارع لا يصور تصويراً عضوياً، بل عليه أن يبتكر ويبدع من الأساليب ما يجعل المتلقى يتماس مع ما يقدمه من الخيال الفنى، فإذا تحدث عن عينين جميلتين لا يقول لك إن جمالهما ينبع من سوادهما، وإنما يقول مثلاً أنه ينبع من النظرة الحلوة الفاترة التى تشبه نظرة الغزلان، وإن الحب يخفق حولهما ويطلق سهامه من أهدابهما[4].

وقارى فى أشعاره يبهرنا بملكة فريدة فى الخيال والتصوير، فإذا أطلق لخياله العنان ليتأمل فى الكون ومحسوساته صور لنا بقلمه آيات الإبداع والجمال التى تكتنف هذا الكون، وإذا غاص فى أعماق النفس البشرية يصور لنا أدق تفاصيلها، وما يختلجها من مشاعر وأحاسيس، وما يكتنفها من غموض، وما ينعكس عليها من مؤثرات خارجية، كل هذا فى دقة خيال وتصوير بارع.

وروعة الخيال عند الشاعر لا تعتمد على كثرة ما يورد من استعارات وكنايات وتشبيهات، ولكنها تشمل روح القصيدة وموضوعها، فإن المجازات والتشبيهات ليست

---

1 - د. عفاف السيد زيدان – خليل الله خليلي – ص 318.

2 - أحمد أمين – النقد الأدبي – ص 38، 39 – القاهرة 1952م.

3 - د. عفاف زيدان – خليل الله خليلي – ص 318.

4 - د. شوقي ضيف – النقد الأدبي – ص 95.

غاية فى ذاتها، إنما هى غاية لمعان تمثلها، معان تصور انطباعات روح الكون فى خيال الأديب، ولكل أديب انطباعاته، وكذلك لكل أديب استعاراته وتشبيهاته ومجازاته، بحيث نستطيع القول بأنها صورة نفسية للشاعر وما انعكس عليها من روح الوجود[1].

وكان قارى بارعاً فى إيراد الصور الشعرية، إذ كان يعرف كيف يفيد من كنوز التشبيهات والاستعارات القديمة، ولم يكن يكتفى بذلك، بل إنه يضيف إلى هذا الاستغلال القديم كثيراً من الأخيلة الحالمة ويتضح ذلك فى جوانب كثيرة من شعره، وخاصة حين يعمد إلى الوصف أو التاريخ.

والصور الشعرية هى رسمٌ قُوامه الكلمات المشحونة بالأحاسيس والعاطفة[2].

ولا بد للشاعر عند رسم صوره والتحليق بخياله من لغة تعينه على التصوير وعاطفة تعينه على الانفعال والتأثر، فللخيال ارتباط كبير بالعواطف، وكلما كانت العاطفة قوية احتاجت إلى خيال قوى يعين عليها وضعف أحدهما يؤثر فى ضعف الآخر[3].

وقوة الصورة الشعرية تكمن فى إثارة عواطفنا واستجاباتنا للعاطفة الشعرية[4].

وقارى فى شعره يرسم لنا صوراً ولوحات فنية رائعة، يبهرنا فيها بصدقة فى وصف أحاسيسه وما مر به من خطوب وتصاريف الحياة، يسعفه فى ذلك خيالٌ خصب وعاطفة قوية تمكناه من تصوير المشاهد الحسية إلى جانب تجسيد المشاعر والأحاسيس الوجدانية[5].

وقد نظم العديد من الأشعار التى تفيض بالحسرة واللوعة واللهفة، فأخذ يصور حزنه وجزعه الدائمين، وهو غالباً ما يجسم ذلك فى شعر الشكوى، فتارة يشكو من الشتاء وشدة البرد، فيشبه الجليد بالأسد الضارى الذى يفترس البشر بقسوة، ويشبه الفحم الذى يشعلونه للتدفئة بمعشوقة سوداء نحيلة دميمة طال مكوثها أمامه فيقول:

---

1 - د.شوقي ضيف – النقد الأدبي – ص 173.

2 - سي . دي . لويس – الصور الشعرية – ترجمة – أحمد نصيف الجنابيني – ص 23 – بغداد 1982م.

3 - أحمد أمين – النقد الأدبي – ص 397.

4 - أحمد نصيف الجنابيني – الصور الشعرية – ص 44.

5- د . آمال حمزة محجوب بحث حول قارى عبد الله خان وشعره ص469 .

- أيها الشتاء لقد رأينا أسدك الجليدي، وصرنا فرائس له فارفع يدك عنا.

- إلى متى سيظل ذلك الغول الأسود قابعاً أمامنا بسببك، وكأنه المعشوقة السوداء النحيلة الدميمة[1].

وتارة أخرى يجسد حزنه في الشكوى من الشيخوخة، وما يترتب عليها من ضعف قوى الجسد وفقدان السمع والبصر وتساقط الأسنان، وقد صور انحناء جسده بالقوس، فالشيخوخة والعجز وضعف الجسد والاضطراب بسبب الوحدة هو الجحيم الذى لا يطاق، فلم يعد هناك طعام على خوان الدهر سوى دماء القلب، وأشعار قارى فى هذا الصدد غزيرة جداً، ولكن سوف أذكر منها نموذج واحد فيقول:

- جاء وقت الشيخوخة وضعف بصري، وينبغي ألا أقيم للحياة وزناً.
- لم يبق لى حسن في عينى ولا فى أذني، إن أنين الكهولة جعلنى أعمى وأصم.
- لقد ضربت الشيخوخة لكمة على فمي، فانفصل على إثرها صفا جواهر أسناني.
- ومن شدة الآلام تمزقت أوصالي، وناء ظهرى بحمل هموم الحياة.
- ما من طعام على هذا الخوان سوى دماء القلب، فأين اللقمة النقية الخالية من الهموم؟[2].

ولا يكاد الشعراء يتركون شيئاً فى الطبيعة إلا وينفسون فيه عواطفهم وخواطرهم ومشاعرهم متخذين من التصوير الفنى وسيلة لهم، وتمتعنا هذه الصور عند الشعراء وكأننا نقوم فى أثنائها بسياحات سارة، بل كأننا نبث فيها انتصارنا على سجون الحياة المادية التى نحياها، فنخرج منها إلى حياة طليقة هى حياة الروح الفسيحة التى لا تقف عند أفق ولا تحتجز عند حد، ومن ثم لا نعيش فى عالمنا المألوف بل، نعيش فى عالم مليء بالخوارق يصرفنا إلى جو روحى تسعد به القلوب والأفئدة[3].

وقد وقف قارى فى أشعاره أمام الطبيعة يتأملها بفطرته وأصالته، فجاء تصويره لها صادقاً أصيلاً، لأنه عاش في أحضانها، وسلك دروبها، وتعرف على سائر أحوالها فى

---

1 - (كليات قارى - ص 198).

2 - (كليات قارى - ص268، 269).

3 - د. شوقي ضيف – في النقد الأدبي – ص 172.

أرضها وسمائها، وحاول بث الحياة والحركة فى ثناياها الصامتة لتتجاوب مع مشاعره فرحاً وترحاً، ومن ثم تلونت الطبيعة فى شعر قارى بسمة مميزة، حيث انعكست عليها نفسيته، فيرسم لنا فى إحدى قصائده لوحة فنية بديعة لسهل پغمان، يورد خلالها العديد من الصور الفنية الرائعة والأخيلة الشعرية التى امتزجت بالعاطفة لدى الشاعر متمثلة فى حبه الشديد لوطنه.

فيقول:

- يا إلهى هذا سهل پغمان الأخضر، الذى يحار فيه العقل والشعور.
- يا إلهى هذه روضة أزهار إرم[1] إن هواءه العليل يهب الحياة كأنفاس المسيح.
- إن ترابه الطاهر النقي يجذب القلوب، فالقلب مسرور ثمل من مائه وهوائه.
- إن قلعة جبله الشاهقة أثر قيم، وسماؤه صافية من التراب والغبار.
- ومن أشجاره السامقة بفاكهتها الجميلة، تبدو جباله ألطف من السهول الخضراء.
- إن نهره جار بين الوديان، وعلى ضفتيه صفحات من البساتين.
- وأرضه قطع مسطحة مستوية، ولكن على سطح كل قطعة مراتب ومتدرجات.
- أطراف كل قطعة مزينة منسقة، بخضرة نمت على جدارٍ أخضر.
- وفى كل زاوية أشجار السدر المثمرة، وتحت كل طرفٍ شلال.
- وأغصانه الخضراء ذات طراوة جميلة، تبدو نضارتها للناظرين.
- من مائه الجارى وخضرته النضيرة، تهب ضفة النهر السعادة للقلوب.
- إن حسن حديقة پغمان العامة، يجلو عن القلب الصدأ والشوائب.
- وصفوف أشجار الشنار على أطراف تلك الحديقة، تبدو للناظر وكأنها جدار من الزمرد.
- وإلى جانبه جدول مياهه صافية، يضرب بأمواجه كأنه لجة من الذئبق[2]

1 هنا إشارة إلى الآية الكريمة { إرمَ ذاتِ العماد، التي لم يُخْلَقْ مثلُها في البلاد} قرآن كريم سورة الفجر آية 7، 8.

وإرم ذات العماد هي مدينة بين صنعاء وحضرموت، من بناء شداد بن عاد، وروي أن شداد كان جباراً من الجبابرة ولما سمع بالجنة وما وعد الله فيها أولياءه من قصور الذهب والفضة والمساكن التي تجري من تحتها الأنهار، قال إني متخذ في الأرض مدينة على صفة الجنة وأمر ببناء تلك المدينة، ثم أجرى إليها نهراً ساقه إليها من أربعين فرسخاً تحت الأرض ، وأجرى من ذلك النهر سواقي في الطرق والشوارع، ونصب على حافتي النهر والسواقي أشجاراً من الذهب وجعل ثمارها من الجواهر واليواقيت – زكريا بن محمد القزويني آثار البلاد وأخبار العباد – الجزء الأول – ص 15، 16 بتصرف"

2 (كليات قارى ص 311، 312).

- "فتتناثر" على سطح حوضه، قطرات الدر فتنثر اللآلئ والجواهر.
- وصار يقول لقد نشر الملاك جناحه، حتى يطير العالم إلى أعلى.
- حقاً إن فى اندفاع أمواجه قوة الفيضان الهائل، وكأن القيامة تخرج من فيضانه.
- يرتفع بأمواجه إلى عالم الأفلاك، لكن قبضة فيضانه مثل قبضة الإنسان الطاهر.
- ثم تنساب قطراته مثل عناقيد الثريا [1]، إنه ليس فيضان إنه سرو فضي.
- إن لصبح يغمان رؤيا فى نظر النجوم.
- ففى هوائه العليل نسيم السحر، وبه يصير القلب خالياً من الآلام والكدر
- صار الأفق مضيئاً من فيض صباحه، وصار الوقت سانحاً للتنزه والتجوال فى صفاء روضة أزهاره.
- ففى كل طرف تغرد الطيور بأنغام مختلفة، من أعالى الأشجار.
- لقد استيقظ الطير مبكراً مع انبلاج الصباح، فارفع الرأس أنت أيضاً وانهض من النوم والكسل.
- وافتح القلب لعبير نسيم الصباح الوضاء، انهض وتعلق بتلابيب الصباح
- قبلما تنتابك الكوابيس، فلماذا تنتظر أذان الديك حتى تنهض؟!
- ينثر السحر التراب على النائمين فى العالم، ويشق قميصه من الغم.
- وحتى ينشرح القلب من هواء النسيم، سلم نفسك للصباح الباكر [2].

وعناصر التصوير فى هذه القصيدة متعددة ففى كل بيت نرى صورة جمالية أو أكثر فهنا.

- روضة أزهار كحديقة إرم.
- هواء عليل يهب الحياة كأنفاس المسيح عليه السلام.

---

1 الثريا هى ستة كواكب متقاربة ومعها سابع خافت، سميت بهذا الاسم لما ينجم عن مطرها من الثروة والغنى، وطلوع الثريا أو سقوطها زمنان يحدث فيهما تغير فى حالة الطقس، لأنهما زمنان متقاربان من انقلابي الربيع والخريف، ولذا فهما يحدثان أعراضاً وآفات معينة لا حظها العرب فى نوء الثريا فقالوا " ما طلعت ولا ناءت إلا بعاهة فى الناس والأبل " - د. يحيى الشامى - النجوم فى الشعر العربى القديم - ص 93، 95 - دار الأفق الجديدة بيروت (بدون تاريخ طبع)

2 - (كليات قارى - ص 312).

- سماء صافية.
- أشجار سامقة قطوفها دانية.
- نهر جارٍ ينساب بين الوديان.
- مساحاتٌ شاسعة من الخضرة.
- أغصان نضرة غزيرة الخضرة.
- صفوف من أشجار الشنار بقوامها الممشوق وشكلها الذى يتيح استخدامها في عمل الأسيجة والتشكيلات الفنية داخل الحديقة، وقد اصطفت وكأنها جدار من الزمرد.
- جدول من المياه الصافية يضرب بأمواجه الذئبقية الجدار الزمردي، فتتطاير قطراته التي تشبه الدر على صفحته فتنثر الجوهر في الأرجاء.
- والنهر في فيضانه وهياجه كأن القيامة تخرج منه فترتفع الأمواج لتصل إلى الأفلاك، ثم تتساقط القطرات وكأنها عقد من الثريا يهبط إلى الأرض، إنه لم يكن فيضان إنه شجر السرو الفضى على حافة النهر.
- طيور تغرد فوق الأشجار من كل اتجاه.
- صباحٍ ينبلج من براثن الظلام.
- وأخيراً دعوة من الشاعر للتعلق بتلابيب هذا الصباح.
- وسحرٌ يشق ثيابه مغموماً وينثر التراب على رؤوس الكسالى.

ومن الملاحظ في هذه اللوحة الفنية البديعة أن حاسة البصر قد استأثرت على أغلب تفاصيلها، بالإضافة إلى الأخيلة الحالمة لدى الشاعر، وأن الألوان والأصباغ موزعة بين الأبيض والأخضر والفضى وهي الألوان الطبيعية في الحديقة.

وقصائد قارى في مجملها تعالج معانى إنسانية عامة تنبع من قلب صادق الإحساس بمشاعره، وبما توحى به الطبيعة من حوله، وغالباً ما يقترن شعر قارى بلون من الحزن والتشاؤم، فالحياة تستغرقها الآلام، والبشرية تتقاذفها أتراح وأحزان لا عدد لها ولا حصر، وقارى يصور ذلك في حزن عميق، بحيث لو أمكن أن نعطى شعره لوناً لقلنا إنه شعر قاتم، فهو شعر يجلل بالسواد والكآبة في أغلبه.

ويتجلى هذا اللون من التصوير في شعر الرثاء الذي يستحوذ على جزء كبير من كليات قارى، وفيه يصور فاجعته وآلامه وجزعه لفقد الأهل والخلان.

قائلاً:

- إذا لم يكن الدهر مأتماً وعزاء، فلماذا شق السحر ثوبه.
- إن العالم طوفان من الحوادث، فكيف ينقذ الشخص روحه من أمواج الخطر.
- إلى متي نظل هدفاً لسهام الدهر، فلم يبق من فلذات الأكباد فلذة أخرى؟[1].

وأحياناً تغلب على قارى طبيعته الحزينة فتنعكس في شعره الصور الجميلة إلى صور حزينة مؤلمة، فنجده يصور المناظر الجميلة المبهجة على أنها مناظر تشى بالحزن والغم، فنراه يصور منظر الشلال الرائع الخلاب وصوت الماء الهادر منه وكأنه إنسان يسكب الدمع الغزير من عينيه ويئن وينوح بمئات الأصوات الحزينة، ويشبه منظر أوراق الريحان اليانعة ذات الخضرة الداكنة وكأنها نسوة في مأتم يتشحن بالسواد.

فيقول:

لقد صار الشلال يسكب الدمع نائحاً بمئات الأصوات، واتشح الريحان بالسواد مثل أهل المأتم[2].

ومن الملاحظ في شعر قارى أنه دائماً ما يصور الجدائل بالقيود والسلاسل، والسنبل بالثعابين، والأهداب بالأشواك وكذلك يشبه الحاجب بالقوس، والفم بالبرعم، وقامة المحبوب بالسرو الباسق، ووجهه بالقمر،والشفاه بالياقوت، والدموع بالدم الذى يقطر من العين، ويصور المعشوق بالغزال وبالملاك وبالوثن، ويشبه تراب قدمه بالتوتيا وبالتبر، وهو يكرر ذلك كثيراً في أشعاره، وربما مرد ذلك إلى طبيعته المتصوفة، فهذا هو حالهم وتلك تشبيهاتهم.

وعلى هذا النمط تكثر الصور في شعر قارى كثرة مفرطة، ومما يسترعى النظر في شعر قارى أن لديه قدرة فائقة على التقاط الصور البعيدة والقريبة فقد كان ينظر إلى ما حوله فينطبع ما يراه في وجدانه – وفي لاوعيه – الفني ثم يخرجه بعد ذلك فإذا الصور تطابق

1 - (كليات قارى - ص 226).

2 - (كليات قارى - ص 306).

الشعر، ومجمل القول إنه كان فناناً من طراز رفيع، يستطيع تصوير المشاهد المختلفة والوصول إلى بواطن الأحاسيس والنفاذ إلى عالم اللاشعور، وذلك فى سهولة ويسر، مما يقطع بعبقريته فى هذا المجال.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر العربية

- القرآن الكريم
- **ابن حوقل النصيبى:**

كتاب صورة الأرض ـ بيروت لبنان 1992م.
- **ابن هشام: .**

السيرة النبوية ـــ الجزء الأول ـــ بيروت 1969م.
- **ابن هشام الأنصاري:**

حاشية الباجوري على شرح بانت سعاد ـــ القاهرة 1317 هـ.
- **أبو إسحاق "الإصطخري":**

المسالك و الممالك – الطبعة الأولي – ليدن 1937 م .
- **أبو الحسن محمد بن الحسن "الشريف الرضي":**

نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب – شرح الشيخ محمد عبده – تقديم مصطفى لبيب عبد الغني (دكتور) – الجزء الأول – طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة– القاهرة 2004م.
- **أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي "ابن كثير":**
  - تفسير القرآن العظيم – الجزء الثامن – طبعة سنة 1422 هـ – 2002م.
  - البداية والنهاية – المجلد الثاني – الطبعة الأولى – القاهرة – 1411 هـ – 1991م.
- **أبو القاسم عبد الكريم "القشيري":**

الرسالة القشيرية – تحقيق– عبد الحليم محمود(دكتور)– الجزء الأول و الثاني – طبعة دار المعارف –القاهرة 1994م.
- **أبو القاسم عبيد الله "ابن خرداذبه":**

المسالك و الممالك ـ ليدن 1889 م .
- **أبو القاسم محمود بن عمر "الزمخشري":**

أساس البلاغة – الجزء الثاني – طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة 2003م.
- **أبو بكر أحمد بن محمد "ابن الفقيه الهمذاني":**

مختصر البلدان – ليدن 1967م.
- **أبو حامد محمد الغزالي:**

إحياء علوم الدين – الجزء الثاني – دار نهر النيل للطبع – القاهرة–(بدون تاريخ طبع)

- **أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي:**

رياض الصالحين "بدون تاريخ طبع".

- **أبو عمر يوسف عبد الله "ابن عبد البر":**

الاستيعاب في معرفه الأصحاب –الجزء الأول –حيدر آباد مطبعة دائرة المعارف النظامية – 1936 م

- **أبو نصر السراج "الطوسي":**

اللمع – تحقيق عبد الحليم محمود(دكتور) – القاهرة 1960م.

- **أحمد بن يعقوب "اليعقوبي":**

البلدان – ليدن 1981 م.

- **الخوارزمي:**

المناقب – تحقيق الشيخ مالك المحمودي – الجزء الأول– طبع 1414 هـ .

- **زكريا بن محمد القزويني:**

آثار البلاد وأخبار العباد – الجزء الثاني – طبعة القاهرة – 2003م.

- **شهاب الدين عمر بن محمد "السهروردي":**

عوارف المعارف – تحقيق عبد الحليم محمود(دكتور)– القاهرة – 1993م.

- **عبد الوهاب الشعراني:**

الطبقات الكبرى – دار الفكر العربي– القاهرة "بدون تاريخ طبع".

- **عثمان بن بحر الجاحظ:**

البيان والتبيين – الجزء الثاني – الطبعة الرابعة القاهرة – 1395 هـ.

علي بن محمد الجرجاني:

التعريفات – القاهرة 1306هـ.

- **محمد بن عبد الله الطنجي "ابن بطوطة":**

تحفة النظار وغرائب الأمصار وعجائب الأسفار – باريس 1874 م.

- **محيي الدين بن عربي:**

فصوص الحكم– والتعليقات عليه بقلم أبو العلا عفيفي – دار الكتاب العربي بيروت لبنان ـ الجزء الأول "بدون تاريخ"

- **يوسف بن إسماعيل النبهاني:**

– المجموعة النبهانية في المدائح النبوية – الجزء الثاني – مطبعة العارف بيروت1320 هـ .

لمراجع

- **إبراهيم الدسوقي شتا (دكتور):**

التصوف عند الفرس – دار المعارف – القاهرة 1978م.

- **إبراهيم أمين الشواربي (دكتور):**

مقدمة ديوان حافظ الشيرازي – 1998 م .

- **أبو الحسن الندوي :**

من نهر كابل إلي نهر اليرموك– الطبعة الثانية- بيروت 1396 هـ ق 1976

- **أبو العلا عفيفي (دكتور) :**

مقدمة فصوص الحكم للشيخ محي الدين بن عربي – دار الكتاب العربي بيروت لبنان 1946م.

- **أبو العنين محمد فهمي:**

أفغانستان بين الأمس واليوم – القاهرة 1969م.

- **أبو الوفا الغنيمي التفتازاني :**

مدخل إلى التصوف الإسلامي – القاهرة 1979م.

- **أحمد الهاشمى :**

جواهر الأدب– الطبعة الأولى- القاهرة 1410هـ.

- **أحمد أمين :**

النقد الأدبي – القاهرة 1952م.

- **أحمد بدر(دكتور) :**

أصول البحث العلمى ومناهجه – الطبعة التاسعة – القاهرة 1996 م .

- **أحمد حسن الزيات:**

تاريخ الأدب العربي- الطبعة الخامسة والعشرين– دار نهضة مصر– (بدون تاريخ)

- **أحمد محمد نادي (دكتور):**

أفغانستان في التاريخ الحديث والمعاصر– القاهرة – 2005م

- **أحمد محمود الساداتي :**

• تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتها– الطبعة الثانية – 1970م.
• تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها– القاهرة – 1987م

- **أحمد معوض (دكتور) :**

ألوان من الشعر الفارسي– الطبعة الأولى –القاهرة 1983م.

- **إسعاد عبد الهادي قنديل (دكتورة):**

فنون الشعر الفارسي – الطبعة الثانية – بيروت 1981م.

- جوزيبي سكاتولين ، أحمد حسن أنور (دكتور) :

التجليات الروحية فى الإسلام – القاهرة 2008 م .

- حسن محمد جوهر و عبد الحميد بيومي :

أفغانستان (سلسلة شعوب العالم)- دار المعارف – القاهرة – 1961م.

- حنا الفاخوري:

الفخر والحماسة –الطبعة الخامسة - دار المعارف – القاهرة 1992 م.

- زكي مبارك:

- التصوف الإسلامي – القاهرة 1938.م
- المدائح النبوية في الأدب العربي – الطبعة الأولى – القاهرة 2003م

- سمير محمد كبريت :

روائع الشعر العربي (أبو الطيب المتنبي ، حياته وخصائصه)– لبنان 1422 هـ .

- سيد عبد التواب عبد الهادي (دكتور):

الرمزية الصوفية في القرآن الكريم – دار المعارف – القاهرة – 1979م.

- سيد قطب:

النقد الأدبي أصوله ومناهجه – الطبعة السادسة – القاهرة 1990م.

- شوقي ضيف (دكتور):

- البارودي رائد الشعر الحديث – الطبعة السادسة – دار المعارف- القاهرة 2006 م.
- البحث الأدبي (طبيعته – مناهجه-أصوله – مصادره) الطبعة الرابعة- دار المعارف- القاهرة 1979 م.
- في النقد الأدبي- الطبعة الخامسة – القاهرة – 1977م.

- طه حسين(دكتور):

مع المتنبي- الطبعة الثالثة عشر – دار المعارف –القاهرة1986م.

- عبد الحكيم حسان:

التصوف في الشعر العربي – مصر 1954م.

- عبد الحليم محمود (دكتور):

- أبو بكر الشبلي – الطبعة الثانية – القاهرة – 1993م.
- قضية التصوف المنقذ من الضلال – الطبعة السادسة– القاهرة 2008م.

- عبد الرحمن البرقوقي :

شرح ديوان المتنبي الجزء الأول - بيروت1422هـ .

- **عبد العزيز مصطفى :**
السبك الهندي في الشعر الفارسي - دار الثقافة العربية 1986م.
- **عبد المجيد الشرنوبي:**
شرح حكم الإمام ابن عطاء الله السكندري – ص12 – دار ابن كثير – بيروت 1431 هـ ق = 2010م.
- **عبد المنعم خفاجي (دكتور):**
الأدب في التراث الصوفي – القاهرة 1980م.
- **عفاف السيد زيدان (دكتور):**
- الحب في الشعر الفارسي – طبعة القاهرة 1977م.
- شاعر أفغانستان المعاصر خليل الله خليلي– القاهرة – 1402 هـ– 1982م.
- فرخي سيستاني - شاعر المشرق الإسلامي - القاهرة 1429 هـ 2008م
- **فاروق حامد بدر:**
تاريخ أفغانستان قبيل الفتح الإسلامي حتى الوقت الحاضر – القاهرة 1980م.
- **محمد السعيد جمال الدين (دكتور):**
- أعلام الشعر الفارسي في عصور الازدهار- الطبعة الثانية 1999م.
- قصائد مختارة من ديوان شمس تبريز لجلال الدين الرومي القاهرة 2008م.
- **محمد السعيد عبد المؤمن (دكتور):**
أفغانستان – القاهرة – 1997 م
- **محمد آمان الصافي (دكتور):**
- أفغانستان والأدب العربي عبر العصور– الطبعة الأولى– القاهرة – 1988م.
- أفغانستان النور والنار – الطبعة الأولى – 1417 هـ – 1996م.
- **محمد سراج الدين:**
الفخر فى الشعر العربي– سلسلة المبدعون – بيروت لبنان " بدون تاريخ طبع"
- **محمد عبد الفتاح إبراهيم :**
أفغانستان – كتب سياسة "بدون تاريخ طبع
- **محمد عبد القادر أحمد (دكتور):**
المسلمون في أفغانستان– الطبعة الأولى– القاهرة 1984م.
- **محمد عبد المنعم الشرقاوي وإبراهيم أمين الشواربي (دكتور):**
أفغانستان – مطبوعات معهد الدراسات الإسلامية- تقديم محمد طه النمر "بدون تاريخ طبع".

- **محمد غنيمي هلال (دكتور) :**
مختارات من الشعر الفارسي — القاهرة 2004 م.
- **محمد مصطفى حلمي (دكتور) :**
ابن الفارض والحب الإلهي — الطبعة الثانية — القاهرة 1985 م.
- **محمد هنائي عبد الهادي :**
أفغانستان الحديثة — كتب سياسة (بدون تاريخ طبع)
- **محمد يونس (دكتور) :**
• أبو المعاني ميرزا عبد القادر بيدل مدخل إلى دراسته - القاهرة 1991م.
• حكاية الملك والساحر — القاهرة 1993م.

- **محمود شاكر: أفغانستان — القاهرة 1980م.**
- **محمود على مكى (دكتور) :**
المدائح النبوية ــ الشركة المصرية للنشر ــ لونجمان 1991 م .
- **مصطفي سويف (دكتور) :**
الأسس النفسية للإبداع الفني — الطبعة الثالثة — دار المعارف القاهرة 1969 م.
- **يحيي شامي (دكتور) :**
• أروع ما قيل فى الفخر — الطبعة الأولى - دار الفكر العربي بيروت 1992 م.
• النجوم فى الشعر العربي القديم — دار الأفق الجديدة — بيروت — (بدون تاريخ طبع)
- **يوسف الشارونى**
أدباء من الشاطئ الأخر — القاهرة 2002 م
- **يوسف ميخائيل اسعد :**
سيكولوجيا الإبداع فى الفن والأدب - القاهرة — 1986 م.

المصادر و المراجع المترجمة إلى اللغة العربية

- **أبو القاسم الفردوسي :**
الشهنامة — الجزء الأول — ترجمة الفتح بن علي البنداري — تحقيق عبد الوهاب عزام — الطبعة الثانية — القاهرة 1993م.
- **إدوارد جرانفيل براون :**
تاريخ الأدب في إيران من الفردوسى إلى سعدي — ترجمة إبراهيم أمين

الشواربي (دكتور)– مصر 1373 هـ ق 1954م.
- إيرش فروم :
جوهر الإنسان – ترجمة سلام خير بك– الطبعة الأولي– اللاذقية سوريا 2011 م.
- ت. س. إليوت:
في الشعر والشعراء – ترجمة محمد جديد – دمشق – 1991م.
- رشيد الدين الوطواط:
حدائق السحر في دقائق الشعر– ترجمة إبراهيم أمين الشواربي (دكتور) – القاهرة 1364 هـ – 1945م.
- سي .دي. لويس :
الصور الشعرية – ترجمة – أحمد نصيف الجنابيني – بغداد 1982م:.
- سيد أبو القاسم شيرازى:
عادات وتقاليد الشتاء فى أذربيجان– ترجمة آمال على حسن سلامه(دكتورة) الجزء الثاني – القاهرة 1993 م .
- ش. ن. حق شناس:
العلاقات الأفغانية الروسية – ترجمة عفاف السيد زيدان (دكتورة)– الطبعة الأولى – 1412هـ – 1922م.
- كارل بروكلمان :
تاريخ الشعوب الإسلامية – ترجمة أمين فارس ومنير البعلبكي – الطبعة الخامسة – بيروت – 1968م.
- كي لسترنج :
بلدان الخلافة الشرقية ـ ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد "بدون تاريخ طبع"
- الكَرديزى:
زين الأخبار ـ ترجمة عفاف السيد زيدان (دكتورة) – الطبعة الأولى القاهرة 2006 م.
- محمد إقبال:
كتاب روضة الأسرار – قدم له وشرحه وترجمه عن الفارسية –حسين مجيب المصري (دكتور) – مكتبة الأنجلو– القاهرة 1977م.
- محمد رضا شفيعى كدكنى(دكتور):
الأدب الفارسي المعاصر– ترجمة بسام ربابعة – سلسلة عالم المعرفة–

الكويت 2009 م .
- **محمد علي :**
عادات الشعب الأفغاني وتقاليده – ترجمة – محمد نور الدين عبد المنعم (دكتور) – القاهرة 1981م.
- **منهاج الدين عثمان بن سراج الدين:**
طبقات ناصري– ترجمته عن الفارسية وقدمت له عفاف السيد زيدان (دكتورة) – الجزء الأول – الطبعة الأولى – القاهرة 2013 م .

المعاجم ودوائر المعارف العربية

- **إبراهيم ذكي خورشيد وعبد الحميد يونس:**
دائرة المعارف الإسلامية – المجلد الثاني – مادة أفغانستان – القاهرة 1936م.
- **حسن الأمين:**
دائرة المعارف الإسلامية الشيعية – المجلد الثالث – الطبعة الخامسة – القاهرة – 1996 م.
- **عبد المنعم الحفني :**
معجم مصطلحات الصوفية، الطبعة الثانية بيروت 1987م.
- **محمد فؤاد عبد الباقى:**
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - دار الكتب المصرية– القاهرة 1364هـ ق.
- **ياقوت الحموي :**
معجم البلدان – الجزء الرابع – بيروت– 1977 م .

الموسوعات والدوريات العلمية العربية

- **رفيق العجم (دكتور):**
موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي – الطبعة الأولى – بيروت 1999م.
- **لجنة دعم شباب أفغانستان بلجيكا:**

أفغانستان بلاد الإسلام- 1981م.

- **مكتب الصحافة والاستعلامات بالسفارة الملكية الأفغانية :**

أفغانستان- القاهرة - 1380 هـ - 1960م.

الأبحاث والرسائل الجامعية

- **آمال حمزة محجوب (دكتورة)**

• أثر البيئة الأفغانية و العصر علي شعر عبد العلى مستغنى (رسالة دكتوراه) جامعة الأزهر - القاهرة 1422 هـ 2001 م .

• دراسة حول قاري عبد الله خان وشعره بحث منشور بمجلة كلية الدراسات الإنسانية العدد 24 عام 2006م.

• محمود الطرزي رائد الصحافة الأفغانية- بحث منشور بمجلة الدراسات الإنسانية العدد التاسع يناير 2012م.

- **زكية عبد الحميد الشربيني (دكتورة)**

مدح حضرة الرسول الأكرم في ديوان صباحي بيد كَلي - بحث منشور في مجلة كلية اللغات والترجمة - جامعة القاهرة - العدد الأربعون سنة 1427 هـ - 2006 م.

- **عبد المنصف محمد بكر مجدى بكر(دكتور) :**

المدائح النبوية فى الأدب التركى - رسالة دكتوراه - جامعة عين شمس 1985م.

- **عبد الوهاب عزام (دكتور) :**

أوزان الشعر وقوافيه - مجلة كلية الآداب- المجلد الأول جامعة القاهرة القاهرة 1933 .

- **يوسف عبد الفتاح فرج**

مصادر عربية وإسلامية للتصوف عند الفرس - بحث منشور بمجلة الدراسات الشرقية - العدد الثالث والعشرون - يوليو 1999م - القاهرة.

الوثائق التاريخية

- وثيقة رقم -57 ملف 2 - محفظة 105 - وحدة الحفظ 131 - ديوان جلالة الملك - دار الكتب والوثائق القومية المصرية.

- وثيقة رقم 94 - ملف2 - محافظة رقم 105 - وحدة الحفظ 131 - ديوان جلالة الملك - دار الكتب والوثائق القومية المصرية.

المصادر الفارسية

- **پاينده محمد زهير، وسيد محمد يوسف**

دافغانستان د معارف تاريخ – جلد أول ، جلد دوم – چاب 1339 هـ ش.
(هذا المصدر مؤلف باللغتين الفارسية و اليشتو وتنقسم الصفحة إلى قسمين، قسم باللغة الفارسية و قسم باللغة اليشتو، ولكن عنوان الكتاب كتب بلغة اليشتو)

- **جلال الدين همايى :**
  - تاريخ أدبيات إيران – جلد أول – چاب تبريز – 1308 هـ ش.
  - فنون بلاغت وصناعات أدبي – جلد أول ص 102 – چاب بانزدهم – قم 1377 هـ ش.
- **رضا زاده شفق :**
  تاريخ ادبيات ايران – طهران 1313 هـ ش .
- **رضا قلي هدايت :**
  رياض العارفين – تهران 1316 هـ ش
- **شمس قيس الرازي :**
  المعجم في معايير أشعار العجم ص 394 – تهران 1335 هـ ش.
- **عبد الرحمن خان "أميرعبد الرحمن خان" :**
  - تاج التواريخ- باهتمام آقا محمد حسين - جلد أول- طبع مشهد 1322هـ ق.
  - سفر نامه وخاطرات أمير عبد الرحمن خان وتاريخ افغانستان أز (1747 تا 1900م)- ص 246 – ترجمة غلام مرتضى خان قندهاري- به كوشش ايرج افشار سيستاني - چاب 1369 هـ ق.
- **علي شيرنوائي :**
  ديوان على شيرنوائي – تحقيق ركن الدين همايون – طهران 1342 هـ ش.
- **فيضى محمد كاتب هزاره :**
  سراج التواريخ – جلد دوم – چاب كابل 1331 هـ ق.
- **قارى عبد الله خان :**
  كليات قارى- تدوين – پاينده محمد زهير، عبد الغفار قارى- رياست دار التأليف- چاب ابل 1334 هـ ش .
- **محمد إبراهيم خليل :**
  استخراج تاريخ در نظم – كابل 1337 هـ ش.
- **منوچهرى دامغاني :**
  "ديوان منوچهرى دامغاني "- تهران 1326 هـ ش .
- **مولانا حسين ازاد :**
  سخندان فارس – ترجمة قاري عبد الله خان ملك الشعراء –

نشرات انجمن كابل 1310هـ ش.
- **مولانا خسته:**
معاصرين سخنوران - چاب كابل 1339هـ ش.
- **ميرغلام محمد غبار:**
أفغانستان در مسير تاريخ – چاب چهارم – تهران 1368 هـ ش.
- **يعقوب علي خان خافي:**
پادشاهان متأخر أفغانستان - جلد أول - چاب كابل -1336 هـ ق.

المراجع الفارسية

- **أحمد جاويد :**
سخن سرايان افغانستان از اغاز قرن دوازدهم تانيم دوم قرن چهاردهم هجري- دانشگاه تهران- 1334 هـ ش.
- **أسد الله حبيب :**
دورة أماني - چاب كابل 1368 هجرية شمسية
- **پوهاند سيد سعد الدين هاشمي :**
تاريخ معاصر افغانستان – چاب كابل "بدون تاريخ طبع".
- **ذبيح الله صفا :**
تاريخ ادبيات در ايران – جلد پنجم – تهران 1362 هـ ش.
- **رضا چهرقاني :**
شعر معاصر افغانستان از بيداري تا جمهوري – كابل "بدون تاريخ طبع".
- **سر محقق غلام حسين فرمند:**
دوملك الشعراى همروزگار قارى وبيتاب– چاب أول – كابل 1385 هـ ش.
- سيد إبراهيم خاتمي خسرو شاهي ،
ويژه افغانستان پس از طالبان – چاب أول 1383 هـ ش تهران.
- **سيد حسن أحمدي نژاد :**
سيماى كابل – چاب 1373.
- **سيد محمد خيرخواه :**
أفغانستان ضعفها وقوتها – (بدون تاريخ طبع)
- **سيروس شميسا :**
سبك شناسي شعر– چاب نهم- تهران 1382 هـ ش.
- **صابر ميرزايف ، وسلطان محمد پويان:**

ادبيات معاصر دري افغانستان – جلد دوم – كابل 12364 هـ ش.
- صدر الدين عيني :
ميرزا عبد القادر بيدل - چاب أول - تهران 1384 هـ ش.
- صفا إخوان :
تاريخ شفاهي افغانستان(1900 – 1992 م) چاب تهران 1383 هـ ش.
- عبد الحسين زرين كوب :
شعر بي دروغ ، شعر بي نقاب - چاب چهارم 1363 هـ ش.
- عبد الحي حبيبي :
• تاريخ مختصر افغانستان – جلد دوم – كابل 1970م.
• – تاريخ تجزيۀ شاهنشاهي افغان – چاب 2001م.
• جنبش مشروطيت در افغانستان – چاب كابل 1372 هـ ش.
- علي ميرفطروس :
تاريخ در ادبيات – چاب باريس 2000م.
– مجموعة مقالات دومين سمينار افغانستان – تهران 1370 هـ ش.
- محمد حقوقى:
ادبيات امروز إيران– تهران 1377 هـ ش.
- محمد رضا شفيعي كدكنى :
صور خيال در شعر فارسي – كابل 1368 هـ ش 1989م.
- محمد كاظم كاظمي:
شعر پارسي – مشهد – 1379 هـ ش .
- مونت استوارت الفنستون :
افغانان – ترجمة محمد آصف فكرت – چاب أول –1376هـ ش.
- ميرمحمد صديق فرهنگ:
أفغانستان در پنج قرن أخير– جلد أول ، دوم ، سوم– چاب قم1371 هـ ش.
- نجيب مايل هروي:
تاريخ وزبان در أفغانستان – چاب دوم – تهران – 1371 هـ ش.
- نسرين محتشم خزاعي:
كليات فخر الدين عراقى – چاب دوم 1382 هـ.ش.
- يحيى آرين پور:
از صبا تا نيما - چاب هفتم - انتشارات زوار– تهران 1372 هـ ش.

المعاجم ودوائر المعارف الفارسية

- آريانا :

انجمن دائرة المعارف أفغانستان - كابل 1334 هـ ش = 1955م.

- حسن عميد :

فرهنگ عميد – چاب دوزدهم- تهران 1377 هـ ش.

- سيد جعفر سجادى:

فرهنگ لغات واصطلاحات وتعبيرات عرفاني - چاب دوم – تهران 1354 هـ ش.

- علي أكبر دهخدا:

لغت نامه – جلد 39 – 1365 هـ ش.

- محمد التونجى :

فرهنگ طلاى – الطبعة الثالثة – القاهرة 1992 م.

المصادر الأجنبية

-Edwa. G. Prown The Persian Revolution of 1905 – 1902- P 185 London 1910.

- Farah and south western Afghanistan Graz، 1973 – 35.

- hasan kawunkakur Government and society in Afghanistan p.135- 1979.

- H.L. De Dianous، "la literature afghane de language persane،" orient، 1964، p.138 – 144.

- imperial gazetteer of Afghanistan – by.the British General staff – Calcutta، 1968 – 14.

-Knysh، Alexander، Islamic mysticism. A short History، Leiden: Brill، 2000 p.26، 32، 48.

- L.B. Poullada، Reform and Rebellin Afghanistan، 19191929-، Ithaca، 1973.

- L.Du pree، Afghanistan edition – p.123 – 128 – Princeton، 1980

- R . Gopalakrishnan- The geography and politics of Afghanistan- NEW DELHI p.p 17.-

- Schinasi Afghanistan at the beginning of twentieth century، p.155 – Naplcs – 1979.

- Yar shater، Ehsan "The indianar safavid style، progress or Decline"? in person literatar، pp. 252، 253.

يضم هذا الكتاب بين دفتيه دراسة علمية رصينة تتناول حياة ملك شعراء أفغانستان قارى عبد الله خان وشعره ، فى سعى لربط قراء العربية برافد مهم وأصيل من روافد ثقافتنا الإسلامية ألا وهو الأدب الفارسى .

ويحتل قارى عبد الله خان 1869 ـ1943 م مكانة متميزة فى ديوان الشعر الفارسى الحديث والمعاصر ، وجعلته أشعاره يقف جنبًا إلى جنب مع أعلام الشعر الفارسى أمثال الفردوسى وسعدى الشيرازى و حافظ الشيرازى والجامى وغيرهم ، كما كان صوتًا صادقًا ومعبرًا عن مجريات الأحداث فى بلاده لاسيما وأنه قد عاصر مرحلة مهمة ومفصلية فى تاريخ أفغانستان و فى تاريخ الشرق عامة .



اللوحة من الفن الفارسي
الغلاف للفنان احمد الجنايني